رواية
الطبعة 2

شريف ثابت

القيامة

عالم أفضل

كيان

شريف ثابت

القيامة

عالم أفضل

دار كيان للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة©

«الطريق إلى عالمٍ أفضل، يبدأ بالأنين»

(قبل خمس وعشرين عاماً):

اللون الغالب هو الرمادى الشاحب، وكأنه مشهد منتزع من فيلم بالأبيض والأسود..

جالساً على درابزين السطح بتلك البناية الأثرية المطلة على ميدان التحرير، أحد الميادين المكدسة بالمعتصمين..

وقفت تتأمله.. سيلويت جسده من الخلف، فى مواجهة سماء شاحبة ملبدة ببقايا سحب من دخان ناجم عن محاولة قوات الداخلية فض الاعتصام بالأمس، وما استتبعته من معركة عنيفة..

السماء تزداد شحوباً مع نفاد الدقائق المتبقية من الفجر، الدقيقة تلو الأخرى..

انتبهت لمرور الوقت، فخطت بين الكراكيب وأحواض الزهور المبنية بالطوب على جوانب السطح.. اقتربت منه.. شعر بها رغم خفة خطواتها.. التفت لها، وارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيه..

- صباح الخير.

-صباح النور.

استندت إلى حافة السور بجواره بحيث صار ظهرها مواجهاً للميدان.. تأملت قوالب الطوب التى راحت تتفتت وكأن أصابع قوية غير منظورة تسحقها وتحولها إلى ذرات من تراب راحت بدورها ترتفع وتسبح فى الهواء بحركة دائرية منتظمة.

- بتحِس بإيه؟

نظر لها بعينين مستفسرتين، فأشارت بسبابتها إلى الذرات السابحة فى الهواء، مستطردة:

- بتحِس بإيه وانت بتعمِل كدا؟

صمت لوهلة، ثم قال:

- ولا حاجة.

-يعنى إيه اللى بيحصل بالظبط؟ (تبتسم) بتؤمر قالب الطوب مثلاً انه يتفتت فـبيتفتت؟!.. والا بتتخيل انه فـ إيدك، وبتضم صوابعك عليه فبيتفتت، والا إيه بالظبط؟

هز رأسه قائلاً:

- ولا حاجة من دى.

ورفع رأسه، يرمق السماء الرمادية الشاحبة، وقال:

- بَحِس ان قالب الطوب دا جزء منى.. كل ذرة من ذراته هى جزء منى، مش محتاج عشان احركها أو اتحكم فيها غير انى ابقى عايز دا.. كإنى باحرك دراعى أو رجلى.. مجرد انى اعوز بس.

ران عليهما الصمت للحظات، رمقته خلالها بعينين لم تخل من الافتتان.. تجاهلت القشعريرة التى سرت فى جسدها بسبب تيارات الهواء الباردة التى تصفع ظهرها، وتساءلت بابتسامة رقيقة:

- وقاعد لوحدَك ليه بقى؟

تأمل (من ارتفاع خمسة طوابق) المشهد البانورامى للميدان الذى امتلأ بآثار معركة الأمس من كسر الحجارة وفوارغ رصاص وإطارات لازال بعضها مشتعلاً، وبقايا زجاج مهشم.. بقع من الدماء.. المعتصمون يعيدون

نصب ما تهاوى من خيامهم.. بعضهم يردد الهتافات، والبعض الآخر يردد أغنيات نجم والشيخ إمام.. وثمة مسيرة صاخبة راحت تطوف حول الصينية بوسط الميدان، يقودها شاب وسيم ملتح هو خالد عباس (إبن الدكتور محمد عباس رجل الأعمال والقيادى الإسلامى الشهير).

قال:

- مبعرفش افكر كويس وسط الدوشة اللى تحت.

-وبتفكر فـ إيه؟

صمت ولم يرد.

رمقته بنظرة طويلة ثم همست:

- الحوار نفسه؟!

هز رأسه ببطء مجيباً.

- مش قررت انك تأجل التفكير لغاية ما معركتنا تنتهى؟!

تنهد قائلاً:

- القرار سهل.

- والتنفيذ؟

صمت مجدداً، فرددت:

- صعب انك ماتنشغِلش بالماضى؟!

أجاب بخفوت:

- اللى ملوش ماضى، ملوش مستقبل.

- نظرى أوى!

- أنا محتاج اعرف انا مين وجيت منين.. محتاج

اعرف اسمى!

قالت بلهجة محتدة:

-إنت هو انت.. mix اللحم والدم والخلايا والعضلات والعقل والمشاعر اللى أودامى وأودامنا كلنا!.. انت البطل، صاحب القوة الخارقة اللى ربنا بَعَتُه عشان ينقذنا ويُقف جنبنا، ومن غيره كان كل شيء انتهى امبارح! إنت!

وانخفض صوتها وتهدج وهى تردف:

- إنتَ أدهم!

حدق فى وجهها.. غاص بعينيه فى عينيها السوداويتين.. بسمة حانية تسللت إلى شفتيه وهو يقول:

- وانتى أمل!

تضرج وجهها بحمرة خفيفة.. استطرد هو:

- أملى!

وفى اللحظة التالية سرت قشعريرة لذيذة مختلفة فى جسدها، وخفق قلبها بمزيج مركب من الدهشة والسعادة والخجل والعاطفة وهى تتأمل الزهرة البيضاء التى انسلتت من جذورها فى تربة الحوض القريب، وسبحت فى سماء الصبح الوليد كأن أصابع خفية تحملها، لتدنو منها وتداعب طرف أنفها برقة، فتملأ روحها برائحتها الزكية..

ومن ورائها اكتمل المشهد بسرب من الطيور حلق عابراً السماء الرمادية الشاحبة.

*****

الجزء الثانى

القيامة

لم يكُ عددهم ليقل عن العشرين..

كلهم مراهقون، بالكاد تجاوز أكبرهم عقده الثانى، باستثناء واحد أو اثنين تفصح ملامحهما وبعض الخصلات البيضاء فى رأسيهما الأشعثين عن تجاوزهما حاجز الثلاثين ببضعة أعوام.. الأجساد سمراء، نحيفة، مشدودة، لم تخلُ من صحة وفتوة.. الملامح متشابهة، والأعين فى المحاجر تقذف بالنظرات، ما بين شرسة وجائعة ومترقبة.. متحلقون حول جذوة من النار، يلقمونها جذوعاً جافة بين الحين والآخر حتى لا تنطفئ، ويسود الظلام فى تلك البقعة من الصحراء جنوب البلاد، اللهم إلا من الأضواء البعيدة لأبراج الحراسة المنتشرة على حدود محافظة قنا، والتى ترقد على بعد عدة كيلومترات شرقاً.

الجو بارد، تكاد الريح أن تُطفئ الجذوة الصابرة الباسلة.. ثمة جوزة بدائية تدور عليهم.. تتناوب شفاههم الغليظة على البوصة، فتلتقمها وتسحب منها أنفاساً قليلة، ثم تنتقل مبتلة باللعاب إلى الشفاه التالية وسط سحب من الدخان تغادر طاقات الأنوف.

يتحدثون بسرعة.. وبلهجة غريبة تشبه كثيراً العامية المصرية السائدة داخل حدود المحافظات الجنوبية، ولكنها مدغومة، متآكلة النهايات، وأغلبها مكون من شتائم بذيئة وأصوات حلقية.. يضحكون بابتهاج يخفى مزيجاً من ترقب وقلق.. الليلة هى الثالثة.. ثالث ليلة

يخلفون فيها عشيرتهم وراء ظهورهم، ويقطعون عدة كيلومترات فى الصحراء حتى يصلوا إلى مكان التلقى.. ثالث ليلة يقضونها فى العراء بانتظار المدد، ونفوسهم ممتلئة بالحيرة والقلق من أن يعودوا صباحاً إلى العشيرة بخفيّ حُنَين..

(غنى عن الذكر طبعاً أن أياً منهم أو من عشيرتهم لم يسمع من قبل عن حُنَين وخُفيه!)

يسحب كبيرهم، واسمه بصلة، نفساً أخيراً من الجوزة، وينفث دخانه خارج منخاره، ويسرح بناظريه باتجاه أضواء أبراج الحراسة البعيدة، التى يعلم أن الاقتراب منها هو انتحار مؤكد.

(أوشا ابن العبيطة غامر بالاقتراب قبل سنوات، فمزقه أحد الألغام المزروعة بكثافة حول حدود المحافظة، إرباً).

غير أنه لا يراها، وذهنه مشغول بالتساؤل عمَ هنالك.. هل أخطأوا حساب التوقيت؟! (فعلوا من قبل عدة مرات، ربما لنفاد مؤنهم ولهفتهم على الغذاء).. أم أن المدد الشهرى قد تأخر بالفعل؟! وإذا كان قد تأخر لسببٍ ما لا يعلمه.

(أصابع جاره، ذات الأظافر الطويلة المتسخة، تسحب منه الجوزة).

فإلى متى سيدوم التأخير؟ أم أن المدد لن يجيئ ثانيةً؟!

أفزعه الخاطر، وقفزت إلى ذهنه مناظر وجوه نساء

وأطفال العشيرة.. امرأته التى تركها حبلى فى شهرها الرابع.. أطفاله السبعة، وأصغرهم الّذى لفظته بطن أمه قبل بضعة دورات قمرية، والذى يبكى بجنون لدى نفاد اللبن من صدر أمه مع انتهاء التموين.

قطع خواطره هدير محركات، ميزته أذناه الحادتان رغم بعد المسافة، وصراخ الرياح، فرفع عينيه لأعلى.

وعلى ارتفاع مئات الأمتار، بين طبقات السحب فى السماء المظلمة، وعلى مسافة عدة كيلومترات، كانت الطوافة تقترب بسرعة. ضخمة، سوداء حالكة، لا تكاد تَبين فى الظلام لولا إضاءة مصابيحها القوية.. وثمة E.N. عريضة لامعة على جانبها الأيمن.

فى كابينة القيادة، الثرثرة اللاسلكية لا تتوقف بين الطيار والمحطة التى خرج منها بحمولته، يوافيها بتطورات رحلته الروتينية أولاً بأول، وكذلك مع وحدات الدفاع الجوى الخاصة بكل محافظة يقترب من مجالها الجوى فى مسار رحلته المرسوم بدقة.. يبلغهم بهويته ورقم رحلته ومسارها، وهى المعلومات التى يعرفونها مسبقاً، فيبلغونه أنه مسموح له بالتحليق.. عملية روتينية يتولى كمبيوتر الطوافة أداءها بكفاءة، ويهتم بعض الطيارين أحياناً بتأديتها بأنفسهم لتزجية الوقت، خلال رحلاتهم الشهرية التى تجوب مصر وفق جداول زمنية دقيقة ومسارات محددة.

أضاءت لمبة خضراء دقيقة فى لوحة أزرار القيادة، وارتسمت نقطة مضيئة على الخريطة الهولوجرامية

المقسمة إلى مناطق.. ارتفع صوت الكمبيوتر معلناً اقتراب الوصول من:

- District Qena-932..

انخفض الطيار بالطوافة مقترباً من الصحراء الغارقة فى الظلام، بينما بدأ الكمبيوتر عداً تنازلياً سريعاً، ضغط الطيار إثر انتهائه زراً دقيقاً، فانزاح جزء من قاع مؤخرة الطوافة، لتسقط منه حمولة ضخمة غاصت كالحجر خلال مئات الأمتار من الهواء الأسود، قبل أن ترتطم برمال الصحراء بدوىً مكتوم ابتلعه صفير الرياح.

وبينما عاود الطيار الارتفاع بطوافته، ومال بمسارها ٣٠ درجة شرقاً متجهاً نحو هدفه التالي، لم ينتبه للأجساد التى هرولت نحو موضع الحمولة التى أسقطها خلفه.. تسابقوا صائحين فَرحين حتى بلغوا عشرات الأجولة التى تكومت وتناثرت وانفزر الكثير منها بفعل السقطة، فتناثرت محتوياتها من قمح وحبوب وسكر وأكياس لبن مجفف والكثير من الجرجير! لدقائق راحوا يتقافزون ببهجة عارمة حول الحمولة الراقدة على الرمال، يضحكون، يقذفون بعضهم بعضاً بحفنات من الحبوب، حتى قاطعتهم صيحة عالية من بصلة، الذى اقترب على متن واحدة من عربتيّ كارو خشبيتين يجرهما حماران، بينما اعتلى رفيقه الثلاثينى الكارو الأخرى.

إثر هذه الصيحة التى، بدأوا على الفور فى ضوء مِشعَلين فى جمع ولملمة ما تناثر من الحبوب فى

الأجولة، ثم إحكام ربط الأجولة وتستيفها على عربتىَ الكارو..

وقت كاف –فكَّر بصلة الذى ابتعد منذ زمن عن وحدات قياس الزمن من ساعات ودقائق وثوان- ليصلوا للعشيرة قُبَيل الشروق.. لو سار التوزيع بلا مشاكل، فسيظفر الجميع بإفطار طيب.. الكارو تهتز من تحته باستمرار فتصارع عظام مؤخرته شحيحة اللحم، ولكنه لا يشعر.. يسحب نفساً من الجوزة شاعراً بالرضا والامتنان للسادة الكرماء الطيبين الذين لحم أكتافه وأكتاف أطفاله وإخوته وأخواته من خيرهم الشهرى.

(لم يك يعلم بالطبع أن هؤلاء السادة، مصدر التموين الشهرى، هم المسئولون عن اختفاء ثلاثة من رفاقه اختفوا مع عدد من أبناء العشيرة قبل عام، وقضوا نحبهم قتلاً داخل ماكينات هؤلاء الكرماء الطيبين)!

نفث مزيداً من الدخان عبر طاقتىَ أنفه.

*****

«الإسلام!»..

يقول الشيخ أبو نضال بصوت رخيم ونبرة هادئة، بينما حبيبات مسبحته الكهرمانية الزرقاء تتوالى بين أصابعه..

«دين الله الّذى ارتضى لعباده.. يقول عز وجَل فى محكم التنزيل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيث لكم الإسلام ديناً).. آخر رسالات السماء لأهل الأرض حتى تحين الساعة».

«عماد الرسالة الأخيرة هى (لا إله إلا الله، محمدُ رسول الله).. عليها نحيا وعليها نموت.. وهىَ ليست حروف مجردة نلفظها بأفواهنا.. ولكنها يقين يستقر فى القلب ويصدقه العمل.. العمل فى العبادات، فى المعاملات، فى كل نواحى الحياة.. المسلم الحق هو الّذى تجسد أقواله وأفعاله وحتى أنفاسه الّتى تتردد فى صدره، شهادته بألا إله إلا الله».

«(لا إله إلا الله).. حروف قليلة ولكنها ثورة حقيقية من أجل الحرية فى عالم سادته العبودية.. من أجل العدل فى عالم ساده الظلم والجور.. من أجل الرحمة فى عالم تحكمه القسوة..

خلق الله عباده متساوين كأسنان المشط، فاستعبد بعضهم بعضاً بأسماء وأشكال وحجج مختلفة.. دينية وسياسية واقتصادية وعرقية.. تفنن الطغاة فرادى وجماعات على مر التاريخ فى استعباد الإنسان الّذى

كرمه الله وجعله خليفةً فى الأرض».

«ثم جاء الإسلام.. الثورة القادمة من عند الله لكسر قيود عبودية الناس للناس، وقصرها على العبودية لرب الناس، وحده لا شريك له.. وهذه هى الحرية الحقيقية.. ألا يكون المرء عبداً لمخلوقٍ غيره أياً كان، وتكون عبوديته للخالق وحده عَزَ وجَل».

«ومن هنا كانت الحرب الضروس التى شنها الطغاة على الإسلام على مر القرون.. المعركة معركة بقاء.. طغاة لا يقبلون الحرية، ودين لا يقبل إلا الحرية».

«لقرون، خاض المؤمنون معاركهم لتحرير البشرية من الرق.. البشرية التى رسخت فى أغلال الذل والعبودية طويلاً.. حاربت الجماعة المسلمة الثائرة طواغيت المشرق والمغرب، فنصرهم الله فى مواطن كثيرة، وخذلتهم البشرية فى كل المواطن».

وضاقت حدقتاه وهو يتابع:

«البشرية الغارقة فى جاهلية أسوَد من الجاهلية التى عاصرها الإسلام فى عهده الأول».

«لماذا خذلت البشرية الجماعة المسلمة؟ لماذا رفضت حريتها التى يقدمها لها الإسلام؟»..

تعلقت به عشرات الأزواج من العيون.

«الإجابة ببساطة: لأن طول عهدها بالعبودية شوه فطرتها التى خلقها الله عليها.. جعلها تستمرئ الذل والعبودية، وتخاف من الحرية.. أصبحت العبودية للأنظمة السياسية والاجتماعية التى عاش الناس فيها

وانتظموا بينها ورضعوا ذلها والخضوع لها.. الحرية التى قدمتها الجماعة المسلمة بَدَت لهم شيئاً مجهولاً.. والإنسان عدو ما يجهل.. رفضوها ورفضونا ووقفوا يتفرجون علينا ونحن نخوض معاركنا من أجلهم».

ازدادت حركة الحبيبات الكهرمانية بين أصابعه سرعة وعصبية..

«آخر معركة خضناها ضد النظام العالمى كانت قبل ربع قرن.. كانت مواجهة حاسمة بين الخير والشر.. الحق والباطل.. الأبيض والأسود».

وصمت هنيهة، شردت خلالها عيناه قبل أن يستطرد بنبرة حملت شيئاً من المرارة:

«Egy- Nergy.. الشركة الدموية التى تقتل وتعذب المساكين والمستضعفين فى الأرض، وتقدمهم قرباناً للطواغيت.. كانت ما تزال فى طور الصعود، وكنا أقوياء.. وفى مصر.. قلب المعركة.. كان النصرُ قاب قوسين أو أدنى.. عندما..»

والتمعت عيناه بالبغض..

«تركونا.. تخلوا عنا.. وَلَوا الدُبُر».

- من تقصد يا أبا نضال؟

جاء السؤال من بين الصفوف المتراصة أمامه، فصمت للحظات وكأنه يستعيد ذكرى قاسية، قبل أن يقول من بين أسنانه:

«المصريون.. عوام المصريين.. السفهاء واللصوص والقوادون والعاهرات.. خشاش الأرض الذين ملأوا

الميادين لأيام، ثم وَلوَا الأدبار، وتركوا الجماعة المسلمة تقاتل وحدها جنود الشيطان.. جُند فرعون».

وأسبل جفنيه مرتلاً:

«بسم الله الرحمن الرحيم: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئِذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باءَ بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير».

*****

باب «شئون خارجية» بموقع Egypt Now الإخبارى:

«بعد سبعة عشر يوماً تحل الذكرى العاشرة للاجتماع التاريخى للجمعية العامة للأمم المتحدة، والتى نوقِشت فيها قضية الاعتماد المطرد على الآلة فى أداء مهام الإنسان، وانعكاسات تمدد دور الآلة فى حياتنا مقابل انكماش الروابط البشرية التقليدية القائمة بصور مختلفة منذ فجر الحضارة.

قبل عشرة أعوام إلا قليلاً وقف السنيور خوسيه دى لافيجا، المتحدث الرسمى باسم الاتحاد الأوروبى، وتكلم بوضوح عن الكابوس الذى ينتظرنا فى المستقبل مع استمرار وتزايد توغل الآلة فى حياتنا، جاء كلامه بالتزامن مع توسع أنشطة أنظمة The Eye وانتشارها على أصعدة خدمية مختلفة.. أشار إلى أن العلماء والأدباء والفنانين حذروا مراراً من وصول الاعتماد على الآلة إلى درجة تجنح بها إلى التطلع للسيطرة.. هو يتحدث هنا طبعاً عن الآلة المزودة بالذكاء الاصطناعى.. الآلة التى امتلكت قدراً من الاستقلالية فى التفكير واتخاذ القرار.

الآلة.. الشرائح والدوائر.. الأسلاك والموصلات.. الدقة والسرعة.. الكفاءة والشمولية.. القوة التى متى امتلكها الإنسان، بدأ سعيه نحو السيطرة.. فماذا لو امتلكت هذه القوة إرادتها الخاصة؟ ماذا لو امتلكت من المنطق

والذكاء ما يدفعها تحت أى مسمى للسيطرة على العالم وإزاحة أية عقبة تقف فى سبيلها، وأولها سيدها وصانعها: الإنسان؟! الإنسان الضعيف الهش، الذى فقد قوته ومهارته، ولم يعد بمقدوره فعل أى شيء من دون الآلة؟!!

كان التساؤل جَد مخيف، وطرق وتراً حساساً لدى الجميع، الأمر الذى كان له أثر فى القرار الصارم الذى اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة وأوصت به المشرع الدولى ليصيغه فى صورة قانونية ملزِمة للجميع.. نَص القانون على عددٍ من البنود، أهمها فى رأيى ثلاثة بنود:

الأول: حظر إنتاج الـ robots إلا لأغراض محدودة، واقتصار تصميمها على المطلوب لأداء المهام الموكلة إليها.

الثانى: حظر تزويد أى جهاز كمبيوتر أياً كان حجمه أو موقعه أو وظيفته بوحدات ذكاء اصطناعى تفوق المستوى ٤.

الثالث: اعتبار أى تجاوز أو محاولة لتجاوز البندين السابقين، جريمة ضد الإنسانية يخضع مرتكبها للعقوبات التى ينص عليها القانون الدولى.

كان قراراً شجاعاً ولا شك، خاصةً أنه تعرض لمزايدات لا نهاية لها من المتشدقين بأوهام براقة وشعارات التقدم وحركة التاريخ، بلا بلا بلا.. هؤلاء الحمقى الذين لا يرون أبعد من أنوفهم، ولو تُرِكَ لهم القرار لذهبوا بهذا

الكوكب إلى الجحيم فى غضون ساعات.. المسئولية الحقيقية هى فى النظر للصورة ككل واتخاذ القرار وتنفيذه بناءً على رؤية واقعية مستمدة من نظرة شمولية.

تكلمت عن كل هذا، لأننا وبعد كل هذه السنوات فوجئنا بهذا الموضوع يُثار مجدداً بين جنبات الكونجرس هذه المرة، وبضجة عالية، اصطف فيها الديمقراطيون إلى جانب الجمهوريين فى مشهد غير مسبوق (أية معجزة!!)، أنتج موقفاً موحداً ترجمته مطالبة مندوب الولايات المتحدة الأمريكية فى الأمم المتحدة بعقد جلسة عاجلة لمناقشة قانون الآلة، والحاجة لتعديل بعض بنوده!!

بعض البنود.. bullshit!! المتابع للمحاورات التى دارت فى الكونجرس فى الأسابيع الأخيرة سيفطن بسهولة أن كل الطنطنة المتعلقة ببنود كـ «تغليظ العقوبات» و«قصر استعمال الـ robots على بعض الأعمال الإغاثية ورحلات الفضاء» وغيرها، ليست إلا cover للغرض الحقيقى من وراء هذا الأكشن، وهو رفع الحد الأقصى لوحدات الـ A.I المسموح بدعم أجهزة الكمبيوتر بها من المستوى ٤ للمستوى ٦ دفعة واحدة!!

درجتان كاملتان من الذكاء.. من القوة.. من السيطرة، يسعى أبطالنا المنتخبون فى الكونجرس لمنحها للآلة عن طيب خاطر، وتبريرهم لهذا المسعى الأحمق هو الحاجة للمزيد من المرونة والكفاءة فى مواجهة

تحديات جديدة تفرض نفسها على حاضرنا ومستقبلنا!!

عن أى مستقبل يتحدث السيناتور تينانت وصديقه السيناتور برادلى؟!! مستقبل أسود تستحوذ فيه الآلة على كل عناصر القوة والسيطرة بإرادة خاصة مستقلة؟! عن مستقبل يتحول فيه الإنسان من سيد مطاع لعبدٍ رخو بلا قوة ولا قدرة على الأداء أو البقاء حتى؟!! وما هى نوعية التحديات التى تحتاج مواجهتها لآلة ذكية تمتلك قرارها المستقل عن قرار صانعها؟!! ما المشكلة التى عجز العقل البشرى عن مواجهتها وحلها حتى تخرج الآلة من حيز وظيفتها كأداة للحل، إلى موضع صاحب الحل؟!!

هل هذه التحديات لها علاقة بما يدور تحت السطح حول الأزمة العنيفة التى تمر بها أنظمة The Eye؟! هل لها علاقة بالاضطرابات الأمنية الأخيرة فى أكثر من دولة أوروبية، وآخرها التفجير الذى استهدف مبنى الـ MI6 فى قلب لندن قبل ثلاثة أسابيع؟! لماذا السيناتور جو تينانت تحديداً وهو من هو من حيث علامات الاستفهام حول علاقته بمجموعة The Eye وما يثار حول تمويلها لحملته الانتخابية بالكامل؟!!

أسئلة عديدة أعِد قارئى العزيز بإجابات شافية لها قريباً، كما أعده بعدم الخضوع لمزايدة المزايدين وتنطع المتنطعين. اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة المخصص لمناقشة هذه المسألة سيحين موعده بعد أيام. نطالب جميع الشرفاء والعقلاء برفع أصواتهم.

فليقولوا علينا رجعيين.. فليقولوا متخلفين.. فليقولوا ما يشائون، ولكننا لن نقول إلا ما لا يخالف ضمائرنا ورؤيتنا لمستقبل حضارتنا».

روبرت آتوود

واشنطن بوست

ترجمة وإعداد: يارا البديرى

*****

امتلأ الجامع الكبير بالناس. «جامع» و»كبير» هذان تُطلقان على هذا المسجد البسيط اعتباطاً لكونه المسجد الوحيد بالعزبة، وتمييزاً له عن الزاوية المبنية من الخوص عند طرف العزبة الشرقي. رغم أن مساحته المحتواة بين جدرانه المبنية بالطوب لم تزد يوماً عن الستين متراً مربعاً منذ أن ابتناه الحاج محمد أبو حطب، عين أعيان الدايرة وممثلها فى مجلس الشعب، حباً وكرامة لأهل العزبة البسطاء الذين يفتقرون لبيت يُذكر فيه اسم الله، ويبث البركة فى حياتهم التى خنقها الفقر.

تكفل الرجل ـ جزاه الله خيراً ـ ببناء المسجد من الطوب، وتبييضه ببوية الزيت وفرشه بالحصير الأخضر، وتزويده بعدد من الأرفف الخشبية والمصاحف التى لم تبارح موضعها منذ استقرت فيه، حتى علتها الأتربة (اللهم إلا مصحفاً أو مصحفين جرت سرقتهما، ورددت جدران المسجد زعيق الشيخ طلبة وهو يتوعد ابن المَرَة المومس «على حد قوله» الذي سرقهما بإنه هَيطلَع ميتين أمه فـ الدنيا والآخرة!)، وأجرى اتصالاته بوزارة الأوقاف التى استجابت مشكورة، وعينت واعظاً شاباً من أبناء المركز القريب ليكون إماماً للمسجد ومرجعاً لأبناء العزبة فيما يغمض عليهم من مسائل دينهم.. صحيح أنه لم يكُ يأتى للعزبة إلا يوم الجمعة ليخطب ثم يَؤم المصلين فى صلاة الجمعة، إلا أن

الشيخ طلبة (متطوعاً) سد الفراغ الذى خلفه غياب الإمام الشاب (المشغول بمساعدة والده فى زراعة القيراطين ببلدتهم القريبة) فصار إماماً يصلي بالناس لستة أيام على مدار الإسبوع، ثم يعود فراشاً للمسجد لسويعات قليلة من نهار الجمعة تنتهى برحيل الإمام الشاب، ويرجع بعدها الشيخ طُلبة لعرشه، إماماً وفقيهاً وواعظاً، رغم أنه بالكاد يقرأ اسمه، ولا يحفظ من القرآن الكريم إلا بضع سور قِصار.

المهم.. امتلأ المكان بالزوار.. و«زوار» ـ هذه ـ من المصلين وغير المصلين الذين احتشدوا بعد صلاة العصر من يوم الجمعة لحضور عقد قرآن حسن عبد المتعال، الشاب العشرينى (مالك توكوتوك) بالآنسة هيام، ابنة المرحوم خليل عِتمان، وابنة خاله فى نفس الوقت..

على الحصير الأخضر الخشن، وإلى يسار الإمام الشاب، تربع حسن فى بذلة سكرية بدت متنافرة مع سمرته الغامقة التى صبغت جسده النحيف، وشعره المفلفل الّذى التمع بالجيل.. وفى مواجهته، على يمين الإمام، تربع الحاج (حاج باللقب لا بالفعل طبعاً) يوسف عِتمان، عم العروس (وعم العريس كذلك) ووكيلها.. استمعا واستمع الحشد المتربع على مقربة منهم إلى خطبة الإمام الشاب التى بدأها بحمد الله والثناء عليه، ثم الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، ثم أسهب فى الحديث عن سنة الزواج، فضلها وأجرها وواجباتها..

استغرق دقائق قليلة بدت للجالسين فى الحر والزحام ردحاً من الزمن.. تتابعت هجمات الذباب على الوجوه التى جرت عليها أنهار العرق، واختنق المكان بمن فيه.. لذا يمكن فهم تيار الارتياح العام الّذى جرى بمجرد أن طلب الإمام منديلاً أبيض غطى به كفىَ الشاب وعمه المتشابكين، ثم طلب من الشاب الّذى التمعت سمرة وجهه بالعرق أن يردد وراءه الكلمات الأزلية:

- «زوجتك ابنة أخى على كتاب الله وسنة رسوله....».

-«قَبِلتُ زواجها....».

لم يتوقف أحد عند صفة «البكر الرشيد» التى طرقت مسامعهم وأعادت لأذهانهم الّذى كان والّذى يعرفونه جميعاً، واتفقوا ضمنياً على ألا يتناولوه فى مجالسهم العامة كما ظلوا يفعلون طيلة الأسابيع السابقة.. مرت الكلمة سريعاً فى السياق فأثارت ما أثارت فى نفوس الجميع من دون أن يطفو أثر لذلك على الوجوه، اللهم إلا من امرأتين أو ثلاث ممن جِئنَ للواجب والمجاملة، وتحلقن عن قرب خارج المسجد، تخاطفن نظرات صامتة حملت مزيجاً عجيباً من الشفقة والتهكم والشماتة، سرعان ما غابت وسط التهليل والزغاريد التى انفجرت بعد أن انتهى الإمام الشاب من مراسم عقد القرآن.. واستسلم العريس الشاب لعشرات الأذرع التى تناوبت عليه بالأحضان، وأنهار اللعاب التى أغرقت وجنتيه بارزتىَ العظام مع كل قبلة تهنئة تلقاها من أقاربه وأصحابه وزملائه من أصحاب التكاتِك وسائقى

الميكروباصات.

أفرغ الشيخ طلبة كوب الشربات الثالث فى جوفه، وتجشأ بصوت مسموع.. تأمل المشهد بعينين ضيقتين تفوحان خبثاً ومكراً ثم هز رأسه وغمغم:

- سبحان الله!..

سمعه جاره، عليوة الكهربائى الوحيد بالعزبة، فالتفت له مستفسراً.. لوَّح الشيخ طلبة بكفه قائلاً:

- كل فولة وليها كيال أعمى!

تنهد عليوة وقال:

- بت خاله يا شيخ طلبة.. يعنى لحمه ودمه.

- عايز تقول لى انك ممكن تجوز ولدَك لبت خاله لو رجعت بيت أهلها بالمنظر اللى المحروسة رجعت بيه لأهلها (مشيراً بكفه تجاه العريس) من كام شهر؟!!

صمت عليوة ولم يرد، فبصق الشيخ طلبة وهمس:

- لا انت ولا غيرك.. محدش يرضى على نفسه كدا!

-الواد جدع يا عم الشيخ.

خطف الشيخ طلبة كوباً رابعاً مملوءاً بالسائل الأحمر من على صينية مارة عن قرب، وقال:

- ماعَدش فيه جدعان فـ الزمن دا يا حاج عليوة.. لولاش ان الواد معفن ومش لاقى ياكل، وشوية الفكة اللى اتبعتوله م الحاج ابو حطب عشان يشترى التوكتوك ويبنى العشة اللى هيتلم فيها، مكانش لط نفسه مع واحدة، العيال الصَيّع فشخوها وخلوها لا تنفع لا فـ جواز ولا فـ خِلفة.

ثم فى اللحظة التالية رفع عقيرته محيياً الحاج يوسف، عم العريس والعروسة، وقد اقترب من مجلسهما:

- ألف ألف مبروك يا حاج يوسف.. بالرفاء والبنين ان شاء الله.

*****

استغرقت المراسم سويعات قليلة، ما بين الوليمة التى أولمها أهل العروس وضمت أطباق الأرز والخضار المطبوخ، ولحم الضأن الّذى كان خروفاً أرسله الحاج ابو حطب -زاده الله من فضله- مباركةً منه للزيجة التى اهتم بنفسه بإتمامها.. وبين وصلات الرقص والتهييس التى قام بها أصحاب العريس على أنغام الدى جى الذى أحيا الليلة مجاملةً لحسن.

انقضت الليلة على خير ولله الحمد، وانصرف المدعوون فرادى وجماعات وألسنتهم تلهج بالتهنئة والدعاء للعروسين بالرفاءِ والبنين، قبل أن تتغير لكنتها –الألسنة- وزاوية تناولها للزيجة ككل بمجرد اطمئنان أصحابها لابتعادهم عن عشة الحاج يوسف، وكيل العروس وعمها.

انهمكت النسوة فى رفع آثار المعركة/الوليمة، وتعبئة البقايا فى أوانٍ لاستغلال الصالح منها كطعام للأيام القادمة، وغير الصالح كعلف للدواجن اللواتى تربيهُن بالعشة.

انتظر الحاج يوسف حتى اطمأن لانصراف الجميع،

ونهض يلقى نظرة مدققة عبر كوة الحائط على الساحة الخالية المظلمة بالخارج ليتأكد من خلو الطريق، ثم التفت إلى حسن، العريس.. تعانقا، وشد الحاج يوسف بقوة على كتفيه الضامرين وهو يبارك له ويدعو له بحرارة.. كذا فعلت زوجة أخيه (أم العروس) التى بكت وهى تحتضنه وتقبله وتدعو له بالصحة والستر، محاذرة أن تلوث أصابعها الملتمعة بالسمن والزيت، جاكتة بذلته سكرية اللون.

من على باب العشة، وبطرف عينه، ألقى الشاب نظرة خاطفة على الباب المغلق فى ركن المكان، قبل أن يبتسم للعيون المسلطة عليه، يلقى عليهم التحية، ثم يتجه بخطوات سريعة نحو التوكتوك الخاص به المتوقف عن كثب، وهو يسحب علبة سجائره الخالية إلا من سيجارتين من جيب قميصه.

*****

تكاثفت الغيوم فى تلك الليلة الخريفية على سماء تلك المنطقة شبه المهجورة الكائنة عند أطراف إحدى مدن الصعيد، فحجبت أشعة القمر نصف المكتمل، ليسود ظلام شبه دامس، خاصةً مع عمليات السرقة التى تعرضت لها أعمدة الإنارة فى المنطقة قبل أعوام طويلة عندما ضربت الفوضى البلاد.

فى هذه السماء الحالكة، لم تكُن الطوافة الضخمة التى تحمل شعار E.N. لتبين بسبب الطلاء الداكن الذى غطى جسدها، ومصابيحها التى تستخدم الإضاءة الليلية.. شَقَت طريقها بسرعة أسفل سقف من الغيوم، حتى صدر أزيز من الكمبيوتر، وارتسم هولوجرام لمبنى مستطيل فى فراغ كابينة القيادة.. تبادل الطيار نظرة سريعة مع قائد فريق الصيد الذى تساءل:

- باقى أد إيه؟

أجاب الطيار:

- أقل من دقيقة.

أومأ الكابتن برأسه، ضغط زراً فى جانب خوذته، وتكلم عبر المايك المثبت فيها، فتردد صوته فى سماعات الخوذات التى يرتديها رجاله العشرون المتأهبين فى المقصورة الخلفية:

- العد التنازلى هيبدأ يا شباب.. كل واحد يتِمِم على معداته.

النزول على بُعد كيلومتر واحد من الهدف.. خمسة

مننا هيفضلوا فـ الطوافة وهتسقطهم على سطح الهَنجَر.. العدد المحتَمَل للبطاريات حسب التقرير الاستخباراتى وصور القمر الصناعى حوالى سبعين بطارية.

راحت الأصابع تمر على الأسلحة والمعدات المعلقة إلى البذلات الميدانية السوداء، بينما ارتفع صوت كمبيوتر الطوافة بالعد التنازلى، بالتزامن مع الانخفاض التدريجى فى سرعتها وارتفاعها معاً.

مع آخر أرقام العد التنازلى، انفتحت أرضية الطوافة فى خمسة عشر موضعاً، ليسقط خمسة عشر جسداً ملثماً مدججاً بالسلاح.

غاصوا فى الهواء الأسود البارد لعشرات الأمتار، ليتوقف سقوطهم قبيل أمتار قليلة من الأرض بفضل الكابلات التى تربط أحزمتهم بمقاعدهم فى الطوافة.. ضغط كلّ منهم بأصابعه الحلقة المعدنية التى تربط حزامه بالكابل ليفتح مشبكها، فينفصل الحزام عن الكابل.. ينقذف الكابل لأعلى بفعل سوستة بكرته عائداً للطوافة، ويهوى الجسد صاحب الحزام ليستقبل الأرض من على ارتفاع بضعة أمتار بساقين مرنتين، تنثنيان لامتصاص صدمة الهبوط، ثم تنفردان..

أدار الكابتن عينيه بينهم من وراء منظار الرؤية الليلية.. أحصى أربعة عشر رجلاً، ثم أشار لهم ليبدأوا المسير باتجاه الهدف..

مرت الدقائق طويلة.. نظر مصطفى إلى أرقام ساعة

يده.. الثالثة والربع بعد منتصف الليل.. رغماً عنه قفز ذهنه إلى هانيا التى تركها بين ذراعى أمها بحرارة تقترب من الأربعين درجة.. زفر بصوت خفيض التقطته أذنا شادى الذى يسير إلى جواره فى الظلام.. التفت يرمقه من وراء منظاره، وتساءل همساً:

- مالك؟!

-هانيا..

-مالها؟!

-سِبتها تعبانة.. عندها حرارة.

تمتم شادى أن «ألف سلامة عليها».. ثم تساءل:

- الميديكال إنشورانس بتاعك وصل لفين؟

هز مصطفى رأسه مجيباً:

- مايشملهاش.. لسه ماكملتش ٣ سنين.

وصمت قليلاً ثم استطرد:

- مش دا اللى شاغلنى.. أنا كنت عايز بس افضل جنبهم.. نجلاء مش بتعرف تتصرف لوحدها.

- كلِمت الإدارة؟

- ورفضوا ولاد الوسخة يدونى أجازة ٢٤ ساعة حتى!

- غريبة!

نظر مصطفى للطريق المظلم الموحِش الممتد أمامهم وقال:

- فيه جو قلق مش مفهوم فـ الأدوار العليا! الناس فـ الإدارة بقالهم فترة متعنتين جداً وقافشين على أى أجازات.. تخيل ان صلاح.. صلاح طلبة بتاع قسم

التشغيل.. اضطر يأجل فرحه!!

أضاف شادى:

- دا غير مواعيد العمليات وخطوط الطيران اللى بتتغير فى اللحظات الأخيرة.

-شُفت؟

ساد الصمت بينهما للحظات، قبل أن يومئ شادى برأسه تجاه الكابتن ويهمس:

- ماتكلمه يتوسطلَك.

-مابيخدِمش.

خرجت من بين شفتى مصطفى مثقلة بالكراهية والاحتقار.

غمغم شادى:

- الله يمسيك بالخير يا كابتن خالد.

امتزج صوت مصطفى بخروشة تهشم أغصان جافة تحت حذائه العسكرى الثقيل:

- كان جدع أوى أوى، وبيخدم جامد فـ المواقف اللى زى دى.

والتفت لرفيقه متسائلاً:

- أخباره إيه؟

تنهد شادى وقال:

- آخر مرة كلمته على تليفونه كان كويس.. بس رافض العروض اللى جاتله من شركات السيكيوريتى، رغم ان فلوسها كويسة، وهو محتاج لأن الإدارة قصت جامد من مستحقاته المالية.

جز مصطفى على أسنانه:

- آخر خدمة الغُز علقة.

سرح شادى ببصره فى القفر المظلم المحيط من دون أن تتوقف قدماه (أو قدما أى من زملائه) عن المسير..

- سرحت فـ إيه؟

تساءل مصطفى، فأجابه شادى شارداً:

- إنتَ خسرت كتير من مزايا تأمينك الطبى عشان درجتك نزلت.. وانا كنت على وشك الترقية، فـ راحت منى. الكابتن خالد فـ سنه دا اتفَنِش وخرج بعد سنين الخدمة الطويلة بملاليم! ووليد آخر حاجة سمعتها عنه ان إصابته أثرت عليه وهيكمِل حياته مشلول.

والتقط نفساً ثقيلاً ثم أردف بمرارة:

- كل دا كان ليه؟!

تمتم مصطفى بحروف تقطر كراهية:

- زين..

لم يعقب شادى.. أطرق برأسه مسترجعاً ذكريات معركتهم الأخيرة مع زميلهم القديم زين فى الطوافة قبل اختفائه منذ شهور، وعاد مصطفى ليغرق فى أفكاره حتى انتزعتهما إشارة من كف الكابتن المغطى بقفاز أسود.

حدق شادى عبر منظار الرؤية الليلية فى المبنى الخرسانى العملاق الجاثم فى الظلام على بعد بضعة عشرات من الأمتار.. سمع صوت الكابتن يخاطب الجميع عبر السماعة المثبتة إلى خوذاتهم:

- إبدأ التنفيذ..

بدأوا انتشارهم باحترافية حول الهَنجَر القديم وقد شهروا أسلحتهم المحشوة بالطلقات المخدرة، ولمح مصطفى ظلالاً تتحرك لزملائهم الخمسة الذين أسقطتهم الطوافة أعلى سطح الهَنجَر.

أشار الكابتن لاثنين من رجاله، فألصقا أكثر من جهاز بأكثر من موضع على جدران المبنى الخرسانى، وعندما انتهيا، نظر الكابتن فى شاشة جهاز صغير مستقر فى راحة يده، ثم خاطب رجاله عبر موجة الاتصال المحدودة:

- الفحص الحرارى متوافق مع صور القمر الصناعى.. العدد من ستين لـ سبعين.. إبدأ العد التنازلى.. عشرة.. تسعة.. تمانية..

أزاح أحد الخمسة بالأعلى ضلفة زجاجية تغطى فتحة بسقف الهَنجَر..

- سبعة.. ستة.. خمسة..

أحكم مصطفى وضع القناع الواقى على وجهه..

- أربعة.. تلاتة.. اتنين..

جذب شادى إبرة سلاحه..

- واحد..

عشرة قنابل غاز مسيل للدموع سقطت عبر فتحات السقف إلى داخل الهَنجَر..

- صفر..

جسم بحجم قبضة اليد يتدحرج حتى باب الهَنجَر

المصنوع من الحديد..

- (صرخة عاتية): إهجم.

طلقة غادرت فوهة مسدس الكابتن، أصابت الجسم فانفجر بدويٍ عنيف وأطاح بضلفتى الباب.. وفى اللحظة التالية تعالت صيحاتهم وهم يقتحمون المكان من أعلى ومن أسفل بأسلحة مشهرة.. تناثرت خيوط الليزر الخضراء من البنادق لتحدد الأهداف.. طلقة أو طلقتين غادرتا فوهتى بندقيتين بشكل انفعالى، قبل أن يتجمد الجميع فى أماكنهم مذهولين، وقد ضربت أنوفهم رائحة فضلات كريهة..

- إيه دا؟!!..

همس شادى غير فاهم، وهو يحدِق فى عشرات الحمير التى تناثرت فى أرجاء الهَنجَر، وراحت تعدو هنا وهناك فوق أرضية مفروشة بالتبن، وقد أفزعها الهجوم وسحب الغاز المسيل للدموع..

نهيق.. نهيق.. نهيق..

تبادلوا النظرات المذهولة، والتقى حاجبا مصطفى بشدة عندما التقطت أذناه تكتكة خافتة قريبة..

ثم دوى الانفجار..

وفى الطوافة التى تحلق فى مسار دائرى حول الموقع على ارتفاع عشرات الأمتار، شهق الطيار برعب وهو يحدق فى كرة اللهب الهائلة التى انبلجت بغتة لتضيئ السماء المظلمة مصحوبة بدويٍ عنيف.. صرخ.. كاد لوهلة يفقد السيطرة على طوافته.. ارتفع قليلاً بها وهو

ينظر بعينين جاحظتين إلى الهَنجَر الذى صار أثراً بعد عين، وللجثث المشتعلة التى تناثرت هنا وهناك.. شعر برغبة عارمة فى البكاء.. فى الصراخ.

مد يده ليفتح اتصالاً مع مركز العمليات، عندما لمح خيطاً من الدخان يرتفع بسرعة من بين أنقاض قديمة متجهاً نحوه مباشرة!.

وقبل أن يفهم، بلغت القذيفة هدفها، وانفجرت الطوافة فى سماء المكان.

*****

ارتسمت علامات الجدية على القسمات القوية للرجل الوقور أشيب الشعر فى بذلة أنيقة وهو يقول:

- البقية فـ حياتك يا آدم بيه.

نظر آدم المصرى صوب الهولوجرام المعلق أمامه فى فراغ مكتبه ثم هز رأسه مغمغماً:

- حياتك الباقية يا سيادة اللوا.

- (يهز رأسه بتأثر): الرجالة اللى راحوا شهداءَ عِندَ ربهم يرزقون ان شاء الله..

-أنهى رجالة؟

قالها آدم وهو يتراجع بظهره فى مقعده ويضع ساقاً على ساق.. حدق فيه اللواء لوهلة، ثم قال بهدوء:

- الرجالة بتوعَك اللى استشهدوا النهاردة الفجر فـ الصعيد!

-طب وبالنسبة للى استشهِدوا من يومين فـ البحر الاحمر؟!

صمت اللواء ولم يرد، فتابع آدم:

- واللى اندبحوا الإسبوع اللى فات فـ دمياط؟!

لا رد.. ساد الصمت بينهما قليلاً قبل أن يقول آدم بتؤدة:

- محيى باشا.. ممكن اعرف سبب الاتصال دا؟

ابتسم اللواء بركن فمه وهو يقول:

- واجب العزا مش سبب كافى؟!

اكتفى آدم بهزة رأس نافية وهو يشعل سيجاراً،

فتساءل اللواء:

- إيه اللى بيحصل عندكو بالظبط يا آدم بيه؟

رفع آدم حاجبيه قائلاً:

- بيتهيألى المفروض انا اللى اسألك السؤال دا. معاليك رئيس أكبر جهة معلوماتية فـ البلد.

-المصلحة واحدة يا آدم بيه، والمليان يكُب ع الفاضى.

-(بدهشة مصطنعة): فاضى.

ونفث سحابة من دخان السيجار ومال للأمام قليلاً وهو يردف:

- معاليك متخيل انى مش عارف انكو بتعِدوا علينا أنفاسنا؟!

- دا إجراء طبيعى.. مصر دولة، ودولة قوية.. ومينفعش بيزنس بحجم Egy- Nergy يبقى بعيد عن عين الدولة.

هز آدم رأسه وهو يردد:

- دولة قوية.

وحدق مباشرة فى عينى الهولوجرام مستطرداً:

- أكيد مش محتاج افكر معاليك ان البيزنس بتاعنا جزء رئيسى من قوة الدولة.

-(يعقد حاجبيه): تقصد ايه؟

-أقصد اننا مش أى استثمار أجنبى على أرض مصر يا محيى باشا.. إحنا Egy- Nergy.. أكبر IPP (independent power producer) فـ العالم.. أكتر من ٦٥٪ من طاقة مصر بتخرج من عندنا.. المشروعات

العملاقة والصناعات الكثيفة اللى بتدخل للبلد عملة صعبة قايمة على الـ power المدعومة بتاعتنا.

قال اللواء بصرامة:

- بتاعة ولاد مصر.

انفرجَت شفتا آدم عن ابتسامة متهكمة خافتة وهو يقول:

- إحنا مش فـ توك شو.

-(ببرود): ولا فـ إعلان مدفوع الأجر عن شركتكم.

قال آدم بهدوء:

- اللى قصدت اقوله اننا شركاء فـ حاجة عظيمة يا سيادة اللوا.. مصر الحديثة اتبنت بقيادة سياسية واعية، واستثمار وطنى، وافتكر معاليك اننا لسنين اشتغلنا منفصلين، والتنمية العظيمة دى ماتحققِتش غير لما تكاملنا.

- So؟

- So التعامل معانا وبالذات فى أزمة زى دى لازم يكون مختلف.. إحنا بنتعرض لحرب حقيقية يا محيى باشا، ومش فـ مصر بس.. بننضرِب فى كل مكان فى العالم لينا فيه شغل، وانا متأكد ان معاليك وصلتك أخبار عن القلق اللى بدأ ينتشر فـ الشوارع فى أمريكا بسبب اضطراب تدفق الطاقة بعد اعتراض حملاتنا فى المكسيك.

طلبنا المساعدة مِنكو، وكنا منتظرين التفاعل معانا بشكل أفضل.. مش من منطلق البيزنس اللى بيننا.. بل

من منطلق ان ٦٥٪ من طاقة مصر بتتعرض للتهديد.. يعنى مشكلة أمن قومى.

قال اللواء:

- واحنا مستوعبين دا كويس يا آدم بيه، ومِش ساكتين.. قضيتكم هى القضية رقم واحد فـ الجهاز عندنا، ورجالتنا بينبشوا الأرض ورا كل أثر ممكن يوَصَل للمتسببين فى الحوادث دى.

- But؟

-معلوماتنا ناقصها تفاصيل مهمة.

-(ينفث دخان سيجاره): زى؟

-زى علاقة البطارية اللى هربت من مزرعة ابو رواش من كام شهر، بواقعة إطلاق النار بتاعة مدينة نصر.. الرجالة بتوعكو اللى فتحوا النار على بعض.

تساءل آدم:

- دا له علاقة بالعمليات التخريبية اللى بنتعرضلها؟!

-دا السؤال التانى اللى يهمنى اسألهولَك.

ابتسم آدم وقال:

- الإجابة على السؤالين واحدة يا سيادة اللوا.. GOK.

ضاقت حدقتا اللواء محيى وهو يتفرس فى وجهه بينما يتابع مفسراً:

- God only nows.

لمعت عيناه –اللواء- بغضب مكتوم.. رمق آدم بنظرة طويلة حادة، قبل أن يقول:

- واضح ان ثقتك فينا مش على مستوى الحدث يا

آدم بيه.

نفث آدم دفقة جديدة من الدخان وقال:

- مش مسألة ثقة، معاليك. إحنا جزء كبير من مشكلتنا اننا حتى هذه اللحظة مش فاهمين اللى حصل دا حصل ازاى! فيه علاقة بين هروب البطارية وواقعة مدينة نصر، والاغتيالات اللى بتتعرضلها رجالتنا؟ may be.. إيه هى؟ GOK.

لم يرد اللواء، ظل يحدجه بنظرات ثابتة مما حدا به لأن يبتسم قائلاً:

- معاليك مش مقتنع.

-صعب اقتنع ان E.N. بمحللينها، باستخباراتها، عاجزة عن حل أى معضلة مهما كانت.

-لو ماكُوناش عجزنا، ماكُوناش طلبنا المساعدة من جهة أعلى مننا.

مباراة من النظرات الثابتة بين أعينهما استغرقت ثوانىَ قليلة، قبل أن يهز اللواء رأسه قائلاً:

- تصورت ان مصير المجموعة أهم من انك تخاطر بيه.

نفث آدم مزيداً من الدخان من دون أن يرد، فتابع اللواء:

- ماتزعلش منى يا آدم بيه. القيادة السياسية مهتمة بالقضية دى فوق ما تتخيل، ومش هيعجبهم التقرير اللى هَرفعهولهم.

قال آدم ببرود:

- أول ما تتوفرلى أى داتا، هَبَلغَك يا سيادة اللوا.

قال اللواء بلهجة جافة:

- سلام يا آدم بيه.

-سلام يا مُحيى باشا.

تلاشى الهولوجرام إثر إنهاء الاتصال، واستقرت عينا آدم على عمرو عازام، مساعده الشاب الذى جلس إلى مقعدٍ وراءه (وراء الهولوجرام) واضعاً ساقاً على ساق.

- ليه، مستر آدم؟!

(رافعاً حاجبيه): - ليه إيه؟

اعتدل عمرو، خفض ساقه وهو يقول:

- ليه نزعل الناس دى مننا؟! إحنا فـ ظرف صعب، ومحتاجين إمكانيات الدولة فـ صفنا.. والقيادة الحالية واعية ومش عايزين نخسرهـ.

بتر عبارته محدقاً فى آدم الذى هز رأسه ذات اليمين وذات اليسار.

(مسبلاً جفنيه): - أهون الشَرين.

ردد عمرو:

- شَرين!

-شر.. وشر.. الشر الأهون ان الراجل الكبير يغضب علينا شوية، ونصالحه.. وهو كده كده محتاجلنا زى ما احنا محتاجينه واكتر.

وفتح عينيه متابعاً:

- والشر الأعظم ان أخبار الطفرة اللى حصلت فـ إكتوبلازم البطارية المفقودة يوصلهم.

-(بحيرة): ليه؟!

رمقه آدم بضيق وكأنه كان يتوقع أداءً عقلياً أفضل.

- معقولة يا ابنى مش متخيل اللى هيفكر فيه الجنرالات لما يعرفوا ان بطارية واحدة قادرة على هزيمة العشرات بقدراتها النفسية فقط؟!! مش متخيل أهمية دا كسلاح أو كجُندى؟!!

هز عمرو رأسه وقال:

- ودا هيفتح الباب انهم يطلبوا يعرفوا ازاى الطفرة دى حصلت.

- والمزارع بتاعتنا تتحول لمعامل تجارب، وشغلنا يُقف، وأسرارنا تتبعتر.

وتنهد مستطرداً بشرود:

- كُنا عملناها زمان.. أيام الـ..

بتر عبارته مطبقاً شفتيه على أسنانه، فتساءل عمرو بفضول:

- أيام إيه، مستر آدم؟!

-إيه الجديد من غرفة العمليات؟

خرج السؤال حاسماً قاطعاً من بين شفتيه، فتلقى عمرو الأمر غير المباشر بغلق هذا الملف، وأجاب بسرعة:

- هجوم جديد حَصَل فـ شرق زيمبابوى قبل خمستاشر دقيقة بالظبط، أثناء اتصالك مع اللوا مُحيِى.

-تفاصيل؟

تنهد عمرو قائلاً:

- المعتاد! حملة خرجت من محطة العاصمة لقرية من

القرى الشرقية. اللى حصل ان الأهالى كانوا فـ انتظارها، وبالسلاح. لحسن الحظ الفرقة كانت عندها تعليمات بتوخى الحذر، وأول ما حسوا بالخطر قدروا ينسحبوا ويرجعوا للطوافة.

تراجع آدم فى مقعده، استمر يدخن سيجاره من دون أن يعلق. أطبق عمرو شفتيه بدوره، وانتظره للحظات حتى تكلم مرة أخرى:

- تقرير المعمل الخاص بحادثة النهاردة طلِع والا لسه؟

-تقريرنا والا تقرير الداخلية؟

(بضيق): - تقريرنا يا عمرو.

أسرع الشاب يقول:

- التقرير صَدَر وأفاد ان المتفجرات المستخدمة فى نسف الهَنجَر كانت C32.. موزعة باحتراف فى جوانب الهَنجَر لتدميره عن بكرة أبيه زى ما بيقولوا.

-والطيارة؟

-صاروخ أرض- جو، أصاب المحرك إصابة مباشرة.

غمغم آدم كأنما يحاور نفسه:

- C32 موزع باحترافية، وصاروخ أرض- جو فـ موتور الطيارة.. يعنى سلاح، وخبراء مفرقعات ومقاتلين محترفين.

-سيادتك عارف ان السلاح غَرَق البلد من الحدود الغربية من بعد ما النظام سقط فـ ليبيا..

هز آدم رأسه قائلاً:

- قصة السلاح اللى دخل من ليبيا دى قديمة، وانتهت

بعد المواجهات اللى قادها الجيش المصرى وحِلف الناتو هناك من سنين.. ماتنساش ان احنا عندنا ٣ مزارع فـ ليبيا نفسها، وشغالين زى الفُل بقالهم سنين فـ عِز الفوضى.. ومَفيش ولا حملة من حملاتنا هناك اتعرضِت لهجمات إلا فى الفترة الأخيرة.

قال عمرو:

- واللى ينطبق على السلاح ينطبق على خبراء المفرقعات والمقاتلين المحترفين.

-بالظبط.. تبقى علامة الاستفهام متعلقة بالتمويل، والمعلومات.

-مين من مصلحته يموِل عمليات تخريبية ضدنا؟!

أطفأ آدم ما تبقى من سيجاره وهو يقول:

- كتير.. أولهم خصومنا القدامى، الناس اللى خربنا بيوتهم.. شركات استخراج النفط والبترول والطاقة المتجددة.. thoes fuckers مستعدين يدفعوا بلايين لضربنا وإضعافنا.

-ومين تانى؟

-منافسين جدد عايزين نصيب من التورتة. حكومات أو كيانات عايزة أسعار أرخص. إحنا أعداءنا كتير.

قال عمرو مفكراً:

- ممكن نمسك طرف خيط من تقارير حركة الـ cash والتحويلات البنكية خلال الفترة اللى فاتت.

-بالظبط. عايز –حالاً- economic report بكل دولار دخل مصر آخر اتناشر شهر، مع خريطة مسارات..

دخل إمتى وازاى ومنين ولمين.

ضغط عمرو جانبى مكعب صغير أخرجه من جيبه، فانبعث فى الفراغ هولوجرام لشاشة مجسمة ولوحة مفاتيح، انزلقت أصابعه عليها بسرعة البرق بينما هو يقول:

-مصر بس؟!

أجابه آدم:

- إنتَ بتفكر صح، بس احنا وقتنا ضيق.. (يصمت للحظة) الأسرع ان غرفة العمليات تبعت orders لكل فروعنا حول العالم انها تجهز reports وخرايط مسارات وتبعتلنا النتايج بأقصى سرعة.

تساءل عمرو من دون أن يكف عن عمله أو أن يرفع عينيه عن الشاشة المنتصبة أمامه:

- دا التمويل.. طب والتنفيذ.. والداتا؟ واشمعنى التوقيت دا؟!

قال آدم ببطء وكأنه يفكر أثناء كلامه:

- الداتا دى مسألة خطيرة جداً.. العمليات بتاعتنا، بتفاصيلها، بخططها، بمساراتها، بخطوط الطيران.. كلها بتتنِقل على شبكة متأمِنة متصلة بقمر صناعى high security.. ومجرد احتمال اختراق الشبكة دى، كارثى!

-مجرد احتمال.

هز آدم رأسه نافياً وهو يقول:

- «تؤ».. مش مجرد احتمال.. إحنا بنتكلِم فـ عشرات العمليات التخريبية خلال كام يوم فـ عشرات الدول،

النسبة الأكبر منها فـ مزارعنا الأفريقية. عمليات متتالية دقيقة جداً. لاحظ ان جدول العمليات بيصدر daily من المركز الرئيسى فـ كل دولة للمزارع الموجودة فى الدولة، شامل الهدف، الموقع، والتوقيت، وخط الطيران، الحصيلة المتوقعة، والقوة المطلوبة.

واعتدل مضيفاً:

- لو جهةٍ ما قدرت بطريقةٍ ما انها تخترق قناة المعلومات اللى الداتا دى بتتنقل عليها، فمِش هتحتاج غير قوة عسكرية مناسبة تعترض مسارات حملاتنا. والأخطر انها تسرب داتا مضللة.

رفع عمرو عينيه إليه متسائلاً بدهشة:

- مضللة ازاى؟!

-تبعت للمراكز الرئيسية صور أقمار صناعية مزيفة، مصحوبة بداتا ومواقع.. تُنصب أفخاخ بمعنى أدق.. وهتشوف بنفسك! خلال ساعات هنتأكد ان العملية الأخيرة كانت مبنية على داتا مضللة، وان الفرقة بتاعتنا استُدرِجَت لفخ.

امتقع وجه الشاب وهو يقول:

-حتى لو يا مستر آدم، إحنا كإجراء أمنى بعد أول حادث، نقلنا كل أعمالنا على الشبكة Bوالقمر الصناعى الاحتياطى.

-الـ professional اللى عِرِف يوصل للشبكة الأصلية، مش هيعجز عن الوصول للشبكة B.. بدليل ان الهجمات مستمرة.

ولمعت عيناه وهو يردف:

- بس دى لعبة يلعبها طرفين، مش طرف واحد.

-تقصد إيه يا مستر آدم؟

تجاهل آدم إجابة سؤاله، وأومأ برأسه إلى الهولوجرام قائلاً:

- خلصت شغلك؟

(مستمراً فى عمله): - Too close to.

ثم تساءل بعد لحظة من الصمت:

- والتوقيت؟

-توقيت!

-أقصد ليه حصل دلوقتى؟ ليه مش من سنة أو عشرة؟!

ضاقت حدقتا آدم وهو يقول من بين أسنانه:

- من واقع خبرة قديمة، اقدر اقولَك انهم استنوا لما بقى معاهم سلاح من نوع خاص.

-البطارية الخارقة؟

أومأ آدم برأسه مجيباً، فتابع عمرو:

- تقصد أمل الشافعى؟!

(يشعل سيجاراً جديداً): - بالظبط.

غمغم بحيرة:

- إيه اللى يربط أمل الشافعى بكيانات من نوعية شركات النفط والغاز الطبيعى وكده؟

-العدو المشترك: إحنا.

ونَفَث دخان السيجار الجديد قائلاً:

- أى حركة احتجاجية، سواء كانت سلمية شعبية زى اللى حصلت من خمسة وعشرين سنة، أو إرهابية تخريبية زى اللى بدأت اليومين دول.. لازملها راعى رسمى.. sponcer.. عنده الكاش والعلاقات اللى تتيحله انه يتحرك ويغير ويناور.

أيام الثورة القديمة الراعى الرسمى كان تنظيمات الإسلام السياسى بفلوسها بعلاقاتها بحشودها اللى بتحركها بـ قال الله وقال الرسول، وكان هدف الراعى هو الاستحواذ على أسهم وإدارة الشريك المصرى (ساعتها) حسن فودة.

قال عمرو:

- وسيادتك شايف ان الـ sponcer الجديد هو شركات الطاقة القديمة.. أو الجديدة.

- بنسبة كبيرة: آه.

عاد الصمت ليسود بينهما، وقد غرق كلاهما فى استرجاع وتحليل الوضع وفقاً للاستنتاجات المستجدة، قبل أن يتساءل عمرو وهو يحك ذقنه الحليقة بأطراف أصابعه:

- بس إيه الدور اللى ممكن تلعبه البطارية الخارقة فى اللعبة دى؟!

*****

قبل شهور قليلة:

تعلقت عيون الجميع، موظفين وعملاء، فى بهو استقبال المقر الرئيسى لشركة Egy- Nergy بالحسناء الفاتنة ذات الشعر الأحمر الناعم والمنظار الشمسى الداكن والبوت الشامواه طويل الرقبة، التى عبرت المدخل الزجاجى.. تحركت الرؤوس معها بتناسق جماعى، وتمتم أحد العملاء الملتحين بـ «ماشاء الله لا قوة إلا بالله» وهو يحدق فى بديع استدارة ساقيها من تحت الجوب القصير.. ولم يلتفت أحد لمرافقها الشاب ضئيل الجسد، الذى سار إلى جوارها فى ثياب بسيطة ومنظار داكن التهم نصف وجهه الدقيق أصلاً.

أحنى لها موظف يرتدى يونيفورم السيكيوريتى أزرق اللون رأسه محيياً، سألها عن الهدف من الزيارة.. أجابته بكلمة واحدة موجزة، فضغط زراً دقيقاً فى الآلة المجاورة له، ثم سحب البطاقة الصغيرة المطبوعة التى برزت من الفتحة المخصصة إثر ضغطته على الزر.. مد لها البطاقة قائلاً بتهذيب:

- رقم حضرتِك يافندم.

شكرته بـ «ميرسى» وابتسامة رقيقة واستقرت على أحد المقاعد الوثيرة بانتظار دورها، وجلس مرافقها إلى المقعد المجاور. مرت دقائق قضتها فى تصفح الإنترنت من على هاتفها المحمول الذى ينقل صورة هولوجرامية لصفحات الشبكة العنكبوتية لعدسات منظارها الداكن،

وقد وضعت ساقاً على ساق فانحسر الجوب القصير عن مسطح أكبر من المرمر الأبيض، الأمر الذى سبب توتراً عاماً استشعرته وابتسمت له فى أعماقها، بينما لم يبدُ أى انفعال من أى نوع على مرافقها الذى تجمد كتمثال فى جلسته.

مرت الدقائق، وهى ترفع عينيها بين الحين والآخر إلى الأرقام المتوالية على اللوحة الهولوجرامية على ارتفاع أمتارٍ ثلاثة من الأرضية المكسوة بالبورسلين، وما أن لمحت رقمها، بالتزامن مع صفير منغوم انبعث من البطاقة التى حصلت عليها لدى دخولها، حتى نهضت إلى الموظف الشاب الأنيق الجالس خلف كاونتر الاستقبال، يتبعها مرافقها.

ابتسم لها الشاب الحليق وهو يتناول منها البطاقة، سائلاً إياها بتهذيب عما يستطيع أن يقدمه لخدمتها.. عرفته بنفسها:

- إيمان عرفة.

أخبرته باختصار بأنها موفدة مجموعة استثمارية عملاقة متخصصة فى صناعات الألومنيوم على وشك بدء نشاطها فى المنطقة، واختارت مصر كنقطة انطلاق، والمطلوب الآن التعاقد على توريد شحنات منتظمة من الطاقة المناسبة لهذه النوعية من الصناعات كثيفة الاستهلاك.

ابتسم لها مجدداً وقال بينما أصابعه تنساب على لوحة مفاتيح الكمبيوتر أمامه:

- إتفضلى حضرتِك استريحى، وحالاً مندوب من قسم المبيعات هييجى يقابل حضرتِك.

تأرجحت خصلاتها الحمراء برفق عندما هزت رأسها قائلة:

- أفَضَل انى اقابِل مدير المبيعات شخصياً.

رمقها بدهشة، وقال من دون أن تهتز ابتسامته:

- الـ system عندنا يا فندم ان عمليات التعاقد بيقوم بيها مندوبى قسم المبيعات.

قالت بهدوء:

- I now.. بس تعليمات رؤسائى انى أتعامل مباشرةً مع مدير المبيعات.

-لو فيه أى استفسار من أى نوع، المندوب مؤهل انه يـ..

قاطعته بابتسامة جذابة:

- I think ان حجم الصفقة ممكن يسمح بـ exception بسيط زى دا.

-حجم الصفقة!

- We talk about ٥ بليون دولار سنوياً.. as a beginning..

- هوَ بس فيه point ان مستر حسام، مدير المبيعات مرتبط بـ meeting مهم هيبدأ خلال ٣٠ دقيقة، وممكن مـ..

قاطعته مرة أخرى وهى تشير بسبابتها ذات الإظفر الطويل المطلى بمانيكير أصفر داكن إلى الهاتف الدقيق

المستقر على الكاونتر:

-Why don't you just ask him?

رمقها بنظرة فاحصة، ثم هز رأسه قائلاً:

- أستأذِن حضرتِك فـ الـ ID؟

أخرجت بطاقتها الممغنطة من حقيبتها وناولته إياها، أشار إلى الشاب المرافق لها متسائلاً:

- الأستاذ مع حضرتِك؟

-My body guard.

بدا قولها مثيراً للضحك بالنظر لضآلة بنية الشاب الواضحة، غير أن شيئاً من هذا لم يبدُ على ملامح موظف الاستقبال بطبيعة الحال.

- الـ ID بتاعته كمان plz..

التفت له قائلة:

- رفعت.

سحب الشاب (من دون كلمة واحدة) بطاقته الممغنطة من جيبه ومدها تجاه الموظف الشاب الذى تناولها من دون أن يرفع عينيه من على وجهه.. ألقى نظرة سريعة على البطاقتين، ثم دسهما فى فتحة دقيقة بجهاز متصل بالكمبيوتر، وراقب البيانات التى راحت تتوالى على الشاشة الهولوجرامية أمامه.

ضغط زرين من أزرار الهاتف، وتحدث بصوت خفيض عبر السماعة الدقيقة المثبتة إلى صِيوَان أذنه.. وبينما يتكلم، ألقت إيمان نظرة خاطفة بطرف عينها على الكاميرا المثبتة إلى عمود قريب.

«حسام ابو المجد.. مدير المبيعات.. واحد وخمسين سنة.. sorry فـ الكلمة: كلب حريم.. أول ما الاستقبال يتصل بيه، ويشوفِك على المونيتور، مش هيَتردد يستقبلك».

- (بنفس الابتسامة المهذبة): مستر حسام هيستقبل حضرتِك.. اتفضلى استريحى..

شكرته مبتسمة وعادت مع مرافقها إلى مقعديهما بالـ lobby.. ولم تكَد تمضِ ثوان حتى دنا منهما شابٌ آخر فى اليونيفورم الأزرق.

- آنسة إيمان؟

وبتهذيب طلب منهما أن يتبعاه. اقتادهما عبر المصعد إلى الطابق الخامس، وقطع بهما بضعة ممرات مجلدة حوائطها بالخشب، ومغطاة أرضيتها بالموكيت الفاخر، حتى بلغوا باب أحد المكاتب.

MR. HOSSAM ABU AL-MAJD

SALES MANAGER

انفتح الباب إثر أمر صوتى من داخل المكتب، تنحى السيكيوريتى الشاب وهو يومئ برأسه بتهذيب.. عبرا إلى داخل المكتب الفسيح ذى النافذة الزجاجية العملاقة المطلة على نيل الزمالك (تذكرت إيمأن غرفة مكتبها، وبدت لها الذكرى –لدهشتها- سحيقة البعد!).

- أهلاً وسهلاً.

قوام ممشوق.. بذلة فاتحة اللون من دون كرافَت.. وجه حليق لم يفلح البوتكس فى طمس كل تجاعيده..

شعر مصبوغ بسوادٍ حالك.. رائحة عطرية نفاذة.

صافحهما بكف ناعمة وابتسامة لزجة.. لم يتوقف طويلاً أمام غرابة هيئة رفعت، دعاهما للجلوس وسألهما عما يشربان.

- عندى كل حاجة.

قالها وهو يفتح مبرد صغير قريب من المكتب، بينما عيناه تلتهمان إيمان التهاماً.

قالت بابتسامة تفوح بالأنوثة:

-Any thing مستر حسام.. thank you.

تناول عبوتى can مثلجتين من المبرد وهو يقول:

- أنا دايما بَفَضَل مشروبات الطاقة.

وفتح إحداهما، وناولها إياها وهو يغمز بعينه مستطرداً بابتذال:

- البنى آدم مننا يسوى حاجة من غير الطاقة؟!

شكرته بـ «ميرسى» أخرى رقيقة.. تناول رفعت منه العلبة الباردة الأخرى من دون أن يتفوه بحرف، رمقه حسام بنظرة سريعة تجاهله تماماً بعدها وعاد ليستقر على مقعده الفاخر خلف مكتبه، حاملاً علبة من البيرة المثلجة.. ارتشف منها بتلذذ مثبتاً بصره على إيمان التى قالت:

- I am sorry مستر حسام انى طلبت مقابلِتَك من غير معاد مسبق.. specialy انى عرفت انك عندك meeting مهمة بعد فترة بسيطة.

لوح بكفه المزدانة بالخواتم قائلاً:

-Never mind.. فيه مهم..!

وسدد نظرة نفاذة إلى صدرها الناضج المستقر بثقة أسفل «توب» قرمزى..

(يرشف من علبة البيرة): - وفيه أهم!

ورفع عينيه إلى وجهها قائلاً بابتسامة محدودة بسبب شَدة جِلد الوجه:

- ومفيش أهم من female جميلة!

«ميرسى» ثالثة مع ضحكة دلال محسوبة الجرعة بدقة، ثُمَ..

(تلقى نظرة خاطفة على أرقام ساعتها): - Anyway.. أنا مش هاخد من وقتَك كتير..

(مبتسماً): - زى ما بيقولوا.. كلى آذان صاغية.

شرحت له بشيء من الاستفاضة غرض الزيارة الذى أخبرت به موظف الاستقبال.. أنصت لها بتركيز وهو يرشف البيرة من آنٍ لآخر، صمت قليلاً بعد أن فرغت من حديثها، ثم قال:

- دا موضوع بسيط، ممكن أى مندوب يقوم بيه! (يبتسم) ليه طلبتى التعامل يكون معايا انا شخصياً؟

قالت بنعومة:

- رؤسائى كلفونى بالتفاوض المباشر مع حضرتك للوصول لأفضل سعر.

رفع حاجبيه قائلاً بمكر:

- بس احنا أسعارنا ثابتة!

ابتسمت كاشفة عن أسنان لؤلؤية وهى تقول:

- معلوماتنا ان فيه exceptions معينة ممكن مدير المبيعات يقدمها.

ابتسم بدوره قائلاً:

- دى بتبقى cases نادرة جداً، ولأغراض متعلقة بالتعاملات مع الحكومات.

(تتسع ابتسامتها): - أوراسكوم تيلكوم مش حكومات يا مستر حسام!

حدق في وجهها للحظة، ثم صفق بيديه وهو يقول ضاحكاً:

- برافو! مذاكرة كويَس.. انا بحب كده.

وتراجع فى مقعده مستطرداً بجذل:

- أوراسكوم داخلة مع الحكومة المصرية فى مشروعات بنيوية طويلة الأمد.. يعنى بشكلٍ ما بنتعامل معاها (فى مشروعات معينة) تعاملنا مع الحكومة المصرية.

-للسبب دا خصيصاً، رؤسائى أوفدونى لحضرتَك.. عشان اقنعك ان اللى هنقدمه للحكومة المصرية أضعاف اللى بتقدمه أوراسكوم.

وحدقت فى عينيه مباشرةً وهى تردف بطبقة صوت تفوح بالإغراء:

- أنا موهوبة فـ الإقناع.

لم تغب عن ملاحظتها الرجفة الخاطفة التى عبرت شفته السفلى، ولا الاضطراب الذى غيم وجهه لكسر من الثانية، وهو يحدق فى وجهها الذى بدا له رائع الجمال

قائلاً بصوت مشبوب:

- إقنعينى.

مرت لحظة مشحونة من الصمت، قبل أن تقول من دون أن تلتفت:

- رفعت.. من فضلك استنانى بره.

نهض الشاب واقفاً بحركة ميكانيكية، فأسرع حسام يقول له مشيراً إلى باب جانبى:

- ممكن تتفضل فـ الـ meeting room يا أخ رفعت.

نظر لها رفعت.. هزت رأسها، فاتجه من دون كلمة واحدة إلى الباب المغلق، دلف للحجرة مغلقاً الباب خلفه.

بمجرد انغلاق الباب، نهض حسام من مقعده، خلع سترته، دار حول مكتبه ومد كفه اليمنى إليها، وأشار باليسرى إلى أريكة وثيرة وهو يقول:

- تحبى نتكلم هنا أريَح؟

- اللى تشوفه، مستر حسام.

قالتها وهى تناوله أناملها، وتنهض برشاقة.

أحاط خصرها بذراعه وهما يخطوان معاً نحو الأريكة وقال:

- الـ reception قالولى ان الأخ رفعت دا الـ bodyguard بتاعِك!!

ابتسمت قائلة:

- ماتستهوِنش بيه، دا أقوى مما تتخيل.

-(ضاحكاً): كده!

غاصا داخل الأريكة.. واجهها قائلاً:

- بس مهما كان قوى، مش هيعرف يحميكى منى.

- Am I need a protection؟!!

تأمل ملامحها الدقيقة بإعجاب.. قال:

- I think that I am the guy who needs a protection!!..

لم ترد سوى بابتسامة حمِلَت شيئاً من الاضطراب.

داعب خصلات شعرها بأنامله.. همس:

- إنتى جميلة جداً.

- ميرسى.

دنا بوجهه منها.. ملأ أنفها مزيج من رائحة البيرفيوم النفاذة، ورائحة البيرة المنبعثة من أنفاسه.

شعرت بملمس شفتيه فوق عنقها، فسرت قشعريرة فى جسدها.

دفعها برفق لتستلقى على ظهرها.. وبينما أصابعه تنزع عنها ثيابها، تسارعت نبضات قلبها بشدة، واستصرخت أعماقها ذلك الواقف على بعد أمتار قليلة داخل قاعة الاجتماعات المغلقة.

«(صوت الدكتور محمود): - الإكتوبلازم يا رفعت!.. الأورا.. السيال الحيوى.. السجلات الأكاشية.. كلها مسميات عند علماء الباراسيكولوجى لحاجة واحدة.. هى جزء من الروح.. الطاقة الحيوية اللى بتشع من جسم الإنسان طول ما هوَ عايش.. بتفضل معاه من لحظة اندماجه بالروح جوه الرَحم، لغاية لحظة انفصاله

عنها عند الموت..

الجزء اللى بيتسجل عليه كل اللى اكتسبه صاحب الجسم من لحظة البداية وحتى النهاية.. الخبرات والذكريات والتفاصيل والمشاعر والأفكار والمخاوف..

المخاوف.. لعبِتَك يا رفعت!».

وميضٌ ما ينبعث من موضع عينيه خلف المنظار الداكن الذى لم يتخَل عنه.

«(صوت الدكتور محمود): - الخوف.. الخبرة الأفظع فى حياتنا.

عقل الإنسان بيميل دايماً للهروب من مخاوفه.. لإخفائها عن وعيه، عشان يقدر يعيش حياته بشكل طبيعى من غير ما يتجنن.. ليه؟ لأن أسباب الخوف موجودة ومستمرة.. الإنسان مثلاً بيخاف من الموت.. الموت بمعناه المطلق اللى هوَ انقطاع الحياة.. هل الموت خطر زائل؟ لأ، بس الآليات الدفاعية النفسية اللى ربنا زودنا بيها بتخلينا ندفن الخوف دا، وننشِغِل عنه.. ولما بنفتِكره، الدين بيستغل الخوف دا فى خلق طاقة إيجابية مفيدة للفرد وللمجتمع».

لو كانت ثمة كاميرا مخصصة للتصوير فى مجال للأشعة تحت الحمراء، لسجلت المشهد التالى: رفعت ثابت فى مكانه، ظهره مواجه لباب غرفة الاجتماعات الموصدة.. من حوله الحركة المتماوجة لسياله الحيوى الداكن أحمر اللون، وكأن غشاءً من أبخرة حمراء يحيط بكامل جسده.

«(صوت الدكتور محمود): - كلنا كبشر متفقين فى مخاوف.. زى الخوف من الموت.. الخوف من الألم.. الخوف من المرض.. من الفقر.. وكده يعنى.. وتحت طبقة المخاوف المشهورة دى، بتتنوع مخاوفنا وبتختلف من واحد للتانى.. ومن نوع لنوع.. من بلد لبلد.. من طبقة لطبقة.. ومن سن لسن.. مخاوفك بيحددها.. نوعك.. سنك.. تجاربك.. الخبرات اللى مريت بيها.. اللى بيخوف الراجل غير اللى بيخوف الست.. اللى بيخوف الشاب، غير اللى بيخوف الشيخ.. اللى بيخوف الغنى، غير اللى بيخوف الفقير..

مهمتى، انى اعلِمَك ازاى تنظم قدرتك النفسية الخارقة.. انى اعرَفَك ازاى تميز بين المخاوف العادية المشتركة بين الناس كلها، وبين المخاوف اللى بتميز كل شخص على حِدَة.. الموضوع دا مهم جداً، وهيبقى أساسى وفارق فى الدور اللى هتلعبه خلال المرحلة الجاية إن شاء الله».

الأبخرة الحمراء الدموية تتماوج.. ثمة لسان يتمدد من حول الرأس.. يسبح ببطء مثير كسحابة من دخانٍ أحمر فى الفراغ المظلم.

«(صوت الدكتور محمود): - لو تخيلنا ان عقل الإنسان عبارة عن مبنى، حجراته مليانة بالخبرات والأفكار والذكريات والمشاعر.. هتلاقى دايماً المخاوف.. الجزء المظلم من الخبرة الإنسانية فى الطبقات السفلى من المبنى.. من البدروم وانت نازل».

السحابة تتمدد أكثر.. تنتشر أكثر.. تتسرب إلى خارج الغرفة عبر الفراغ الضئيل أسفل باب قاعة الاجتماعات الموصد.

«(صوت الدكتور محمود): - واحد زى حسام ابو المجد مثلاً».

تتمدد أكثر وأكثر.. ترتفع من أسفل فراغ الباب الموصَد.. تسبح فى فراغ حجرة المكتب، متجهة نحو الجسدين المتلاصقين.. حسام وإيمان.

«(صوت الدكتور محمود): - البيوجرافى بتاعته اللى عندنا بتحكى قصة كفاح.. بدأ من الصفر.. كان مُعدِم، من أسرة فقيرة.. مجتهد.. ذكى جداً.. تفوق فى دراسته.. صقل مهاراته.. التحق بـ **Egy- Energy** *وارتقى فيها لغاية ما وصل لمنصب مدير المبيعات.*

النوعية دى من البشر بتكتسب مع سنوات الشقا والكفاح خصلتين مهمتين: الأولى هى شعور لا يرتوى بالحرمان.. الحرمان من ملذات الدنيا اللى افتقدها خلال سنين شبابه.. هتلاقيه حتى بعد نجاحه وإشباعه لرغباته، نَهِم جداً للحاجة اللى اتحرم منها».

أصابعه –حسام- تجتاح إيمان.. تنشب فى ظهرها، بينما شفتاه تزحفان من عنقها إلى وجهها.

- «والخصلة التانية هى الخوف.. ودى المنطقة بتاعتَك!».

السيال الحيوى يرتفع.. يدور حول رأس حسام.

- «حرفياً يا رفعت، انت هتدخل حسام.

الإكتوبلازم الخارق بتاعك هيمتزِج بسياله الحيوى.. بالشريط المطبوع عليه كل أفكاره وذكرياته ومشاعره.. ومخاوفه.

هتدخل البيت.. هتلاقى lobby واسع مفتوحة عليه أبواب كتيرة، وهتلاقى سلالم طالعة للأدوار اللى فوق، وسلالِم نازلة على اللى تحت.

من الأبواب، هتشِم روايح.. هتسمع دوشة جامدة.. صراخ وضحك وشتيمة، أغانى ونشرات أخبار وكلاكسات عربيات وضحكات ستات ومحاضرات أساتذة الجامعة، وأصوات كمبيوترات الشقة والعربية والمكتب.

هتسيب كل دا يا رفعت، وتنزل السلالم اللى بتوديك على تحت.. على البدروم..

هتنزل.. هتلاقى ممرات ضلمة، مفتوحة عليها أبواب.

هتشم روايح خانقة.. تسمع أصوات مش لطيفة.. صراخ.. بكاء.. أنين.

ورا كُل باب من الأبواب دى، خوف من المخاوف الجمعية المشتركة اللى الناس كلها بتخاف منها.

سحابة السيال الحيوى دموى اللون (لمن يشاهد فى مجال أشعة تحت الحمراء) تحتوى جسد حسام تماماً.

خليك مع السلالِم.. إنزل دور كمان.

أبواب تانية.. الدنيا هنا ضلمة أكتر.. أصوات الصراخ أفظع.

إنزل دور كمان.

مع كل دور بتنزله، انت بتغوص أكتر فى مخاوف حسام ابو المجد.

الريحة بقت عطنة جداً.

إنت مش بتمشى فـ ممر.. «كهف» ممكن يكون تعبير أدق.

إنت دلوقتى وصلت للقاع.

ممر ضلمة، ريحة عطنة، الحيطان صخرية مكسوة بالطحالب.

وفـ آخر الممر، هتلاقى باب خشب عريض.. دا الدفاع الأخير اللى حسام بيحمى بيه نفسه من مخاوفه.

الخطوة اللى بعدها، انك تجتاز الباب دا.

هتحتاج حاجة تكسر بيها الباب.. عشان كده، قبل ما تبدأ عملية اختراق سياله الحيوى لازم تكون ماسك حاجة فـ إيدك.. ولتكن مثلاً ميدالية مفاتيحَك.

الميدالية دى فـ وعيك هتتحول لأداة ممكن تستخدمها فـ كسر الباب.

إبدأ اضرب يا رفعت.

إضرب.. إضرب.

الباب عنيد؟! طبيعى، لإنه بيحمى حسام من الخوف الأكبر المحبوس جواه.

إضرب أقوى.. أقوى.. أقوى.

الباب بيضعف.. أنسجة الخشب بتتفسَخ.. بتفقد تماسكها تحت وطأة ضرباتك.

إضرب كمان.. إضرب.

الباب بيتداعى.

ضربة أخيرة .. برِجلَك.. بأقصى قوتك.

خلاص.. انهار.

إنت دلوقتى أودام الكابوس الأفظع فى حياة حسام ابو المجد.

بعدها، هَتعمِل اللى هَقولهولَك بالحرف.

تلتقط أذناه –أذنا حسام- صوت تكة خافتة.

يفصل من حالة الصعود إلى الأورجازم.. يفتح عينيه.. يحدق فى إيمان التى استلقت عارية من تحته.. يخفض بصره فيسقط على حيوانه المهتاج.. يدير رأسه ببطء، ثم فى اللحظة التالية يطير عقله شعاعاً عندما يرى آدم المصرى عاقداً ساعديه عند مدخل الحجرةعلى بعد أمتار، يحدجه بنظرة من جليد، ومن حوله نائبه عمرو عزام وعدد من مديرى وموظفى الشركة، وبينهم نائبه هو شخصياً، يحدقون فيه جميعاً بمزيجٍ من ازدراء وشماتة وسخرية.

- *«خوف حسام لا ينفصل عن رحلة صعوده من القاع للقمة..*

بعد عمر من الحرمان والمعاناة.. بعد تحقيق الأحلام.. كابوس حسام الحقيقى انه يخسر كل اللى بناه.. انه يرجع فـ سنه دا للشارع».

أين اختفت ثيابه؟!! يبحث عنها بحركات متشنجة، بينما عيناه معلقتان بشفتى آدم الرقيقتين إذ تتحركان من بين شاربه ولحيته المشذبة بعناية ليخرج صوته

ثقيلاً عميقاً كأنه قادم من بئر سحيقة:

- فِعل فاضِح فى المقر الرئيسى للشركة، وفى مكتب الـ salles managerشخصياً!

يدق قلبه بعنف شديد.. أى كابوس هذا!؟

(مشيراً لكاميرا هولوجرامية بين يدى أحدهم مصوبة نحوه مباشرةً):

- حسام بيه، الفقرة الساخنة دى اتصورِت.

الأرض انشقت وابتلعت ثيابه! ينثنى.. يخفى عورته بيد، وباليد الأخرى يبحث عن أى شيء يستر به نفسه، من دون جدوى. لا شيء هنالك على الإطلاق!

إيمان؟ ظلت على عُريها، واستندت بأردافها ذات الاستدارات البارعة إلى مسند الأريكة وقد أشعلت سيجارة وراحت تنفث دخانها من بين شفتين مضمومتين.. المومِس!

هى مؤامرة إذن.. ومضت الفكرة بعقله لجزء من الثانية قبل أن يجرفها طوفان من الأفكار المشوشة المتداخلة.

- لو قُلت نذيع، هَنذيع..

عقله مشلول تماماً، لا يستطيع الإمساك بفكرة واحدة.. نذيع!

- إطلُبلِنا الشرطة يا بنى.

هوى قلبه بين قدميه.. قال بوهَن:

- آدم بيه..

العينان الجليديتان ترمقانه بنظرة يكاد يتصاعد منها

البخار البارد.

- إرحمنى يا آدم بيه..

-دى شركة محترمة يا مستر حسام.

قال أحد الواقفين:

- الشرطة وصلت..

أهوى بجسده العارِ ليقبل يد آدم هاتفاً:

- أبوس إيدك..

وفى اللحظة التالية، شعر بأصابع غليظة ترفعه من على الأرض، بأغلال مؤلمة تحيط بمعصميه، وامتلأ الكادر بأزياء الشرطة.. بهذه السرعة!!

- حالة تلبس..

- جريمة زنا..

-السجن..

-الفضيحة..

التمعت ومضات الكاميرات الهولوجرامية فى وجهه.. الخبر يحتل مكانه فى مانشيتات الصحف والمواقع الإخبارية.

بكى بحرقة.

اقتربت منه إيمان فى ثيابها الكاملة –متى وأين ارتدتها المومِس؟! وأين اختفت ثيابه؟!- همست فى أذنه:

- لو عايز تخرج من المغرز دا تعمل اللى هَقولَك عليه.

بكى هاتفاً بانهيار:

- إبعدى عنى يا مومِس يا بنت الوسخة.

نفثت سحابة من دخان سيجارتها فى وجهه وقالت:

- لو سمعت كلامى، الكابوس دا هينتهى.. حتى اسأل الريس بتاعك.

أدار عينيه المبتلتين بالدموع إلى آدم المصرى، فأومأ له الأخير برأسه.

- (بصوتٍ متهدج): أنا تحت أمرِك.

رفعت أصابعها المضمومة أمام وجهه حاملة فلاش ميمورى دقيقة.

- تدخل دلوقتى على الشبكة الرئيسية.. تِدَخَل الـ password بتاعك، وزى الشاطر كده ترفع الـ file دا على الشبكة up right now.

غمغم بوهَن:

- File إيه دا؟!

- No questions..

-إشمعنى من عندى انا؟!

أجابته ابتسامة ساخرة مرت سريعاً على شفتيها ووخزت قلبه.. سمعها تقول:

- أنا معنديش وقت يا مستر حسام.. هتنفذ وترجع لشغلك وحياتك وعَطَك، والا هترفض والقانون ياخد مجراه؟

من دون كلمة واحدة مد يديه المغلولتين ليتناول منها الفلاشة، هرع عارياً إلى الكمبيوتر الدقيق المستقر على مكتبه.. دس طرفها فى تجويف جانبى دقيق، وضغط الأزرار بسرعة البرق.. تحركت هى لتقف إلى جواره،

تابعت الرموز والمصفوفات المتوالية على الشاشة الهولوجرامية.

انتهى من عمله.. سمعها تقول بارتياح:

- That is my boy.

رفع عينيه إليها فلم يجدها! اصطدمت عيناه بقضبان حديدية أحاطت به من جميع الجهات! هوى قلبه بين قدميه مجدداً إذ أدرك أنه واقف فى قفص اتهام بقاعة محاكمة شاسعة مكتظة بالحضور!

صرخ:

- أنا سمعت الكلام!

ضاع صوته وسط الضجة العالية المنبعثة من مقاعد الحاضرين.. عدسات الكاميرات مصوبة إليه من كل ناحية.. النظرات عدائية تماماً ومفعمة بمزيجٍ من كراهية وشماتة.. كرر صارخاً من أعماقه:

- أنا سمعت الكلام!

وفى وقفته الثابتة بكامل ملابسه أمام مكتبه فى الحجرة الخالية إلا منه ومن إيمان، لم يشعر بالأخيرة وهى تنزع الفلاش ميمورى من الكمبيوتر، وتتجه إلى باب غرفة الاجتماعات، فتفتحه وتقول لرفعت:

- رفعت.. it is done..

لم يلتفت إليها رفعت.. ظل جامداً فى وقفته، والوميض يلتمع من وراء منظاره الداكن.

حدقت فيه بدهشة للحظة ثم قالت:

- رفعت.. يالا بينا!

لا رد.. أدارت عينيها إلى حسام الذى ظل على وقفته، ذاهلاً شاحباً شارد العينين فى عالم الأوهام، ولمحت بقعة داكنة تتسع فى مقدمة سرواله.

- رفعت.. كفاية.

لا رد.

جذبته من كمه بشيء من العنف.

- كفاية يا رفعت.. let him go.. ماتنساش كلام الدكتور محمود.

-«*لازم تفصل مشاعرك الشخصية عن مهنتك يا رفعت.. أنا عارف يا ابنى ان جواك غضب، ورغبة فى الانتقام من اللى عملوا فيك كدا.. بس احنا مش بنسعى ورا مجرد انتقام.. هدفك وهدفنا أعظم من دا بكتير.. هدفنا الحياة يا رفعت.. الحياة.*

إوع تسمح لغضبك بالسيطرة على قوتك اللى ربنا ادهالك لمحاربة الشر.. لو حصل ومشاعر الانتقام سيطرت عليك، تبقى اتحولت لمسخ جديد زيهم».

مرت لحظة من صمتٍ ثقيل، قبل أن يستدير لها برأسه ببطء.. شعرت بشيء من الرهبة وهى تنظر إلى الوميض القادم من وراء الزجاج الداكن.

ربتت على كتفه برفق.. همست:

- يالا بينا.

بعد دقائق، سيتلفت حسام ابو المجد حوله ليجد نفسه بكامل ثيابه، غارقاً فى سوائله الثلاثة، العرق والدموع والبول.

سيحدق غير فاهم فى حجرة مكتبه الخالية إلا منه، وفى شاشة الكمبيوتر الهولوجرامية المنتصبة أمامه.

شيئاً فشيئاً، سيسترجع القليل من تفاصيل الكابوس.. المرأة وحارسها غريب الهيئة والأطوار، الفضيحة والمحاكمة.. سيتذكر شيئاً ما عن فلاش ميمورى، وعن برنامج أدخله بنفسه على الشبكة الرئيسية.

سيلقى نظرة على الشاشة الهولوجرامية التى تشير لدخوله على الشبكة الرئيسية فى ذات توقيت بدء الـ meeting الذى يجمعه بكبار رؤوس الشركة.

خاطر مفزع سيلمع بذهنه.. لو أنه بالفعل كان قد أدخل برنامجاً دخيلاً للشبكة الرئيسية للشركة فى الوقت الذى تتصل بها accounts قادتها، فإن أسرار الشركة فى خطر محدق.

سيستبعد الخاطر، وسيدفن رأسه بين كفيه ويتنفس بعمق، محاولاً التخلص من الانفعالات المتضاربة التى تعصف به من جراء هذا الكابوس، ليتمكن من المشاركة فى الاجتماع الذى بدأ بالفعل.. بعد لحظات كان الكابوس بالفعل قد ذاب تماماً وانمحى من ذاكرته الواعية.

*****

بعدها بساعات تتجاوز الثمانية، كانت الشمس قد غابت مخلفة وراءها ظلالاً قرمزية شاحبة، سرعان ما ابتلعتها زرقة السماء التى بدت أشد صفاءً فى تلك البقعة الهادئة من الفيوم.

الفيلا البسيطة المكونة من طابقين تتوسط الزراعات، محاطة حديقتها الصغيرة بسور خشبى قصير تتوسط الزراعات، ومملوكة كما أشيع بين أهالى النواحى المحيطة لواحد من كبار الأعيان.

صعدت أمل الشافعى فى ثوب منزلى بسيط، الدَرَج الخشبى المؤدى للطابق العلوى، مستندة للدرابزين المزخرف بنقوش بسيطة مكررة..توقفت للحظة، تحسست خلالها ركبتها وقد ارتسمت علامات الألم على قسمات وجهها، ثم استكملت طريقها عبر الممر المغطاة أرضيته ببساط سميك.. تجاوزت باباً مغلقاً، ثم آخر، ثم نافذة طولية ضيقة يلمع عبر زجاجها قمر مكتمل ينساب ضوؤه الفضى رقراقاً خلال أغصان شجرة برتقال قريبة، قبل أن تتوقف أمام باب موارِب نصف مفتوح قرب نهاية الممر.

تجمدت فى موقفها محدقة فى الموكيت الأزرق عبر فتحة الباب، حبست أنفاسها وأرهفت سمعها، وشيئاً فشيئاً بدأت النهنهة الأنثوية الخافتة التى حَمِلت صوت ابنة أختها تتسلل ببطء إلى مسامعها.

ظل بصرها ثابتاً على الأرض المكسوة بالأزرق، بينما طبلتا أذنيها تتشربان الأصوات المبللة بالدموع، وكأنها تستوثق منها.. رفعت كفها لتطرق الباب نصف المفتوح، ثم امتنعت قبل أن تلامس عظام سلامياتها سطحه المغطى بالماهوجنى.

رفعت رأسها قليلاً وكأنها تتأمل الكرانيش القديمة

الممتدة بطول خطوط التقاء السقف بجدران الممر، غير أن العينين الرماديتين بدتا وكأنهما تخرقان طبقات السقف من خرسانة ورمل ومونة وعوازل الحرارة والرطوبة، وبلاطات أسمنتية عتيقة مما بطل استعماله فى التشطيبات قبل عقود.

ظلت يدها مرفوعة لبرهة من الوقت، ووشى تقلص أصابعها بصراعٍ ما، كادت للحظة أن تحسمه وتطرق الباب ثم تدفعه لتفتحه عن آخره، قبل أن تعدل عن قرارها، فتخفض قبضتها وهى على شرودها لا تزال، ثم تستدير ببطء عائدة أدراجها.

*****

هبطت الطوافة ببطء مثيرة عاصفة من الغبار، حتى استقرت على أرضية المهبط المخصص.. تباطأت سرعة دوران مراوحها بالتزامن مع انفتاح أبوابها.. تحلق الفنيون فى أزيائهم برتقالية اللون والحراس فى أرديتهم السوداء من حولها، وتأهب الأولون لبدأ عملهم فى تفريغ حمولتها من الأجساد المخدرة، والعناية بالطوافة وإعادة تزويدها بالوقود، بمجرد نزول الصيادين مقنعى الوجوه من على متن الطوافة.

استغرقت مغادرة الصيادين دقائق قليلة، رفع بعدها رئيس وردية الفنيين كفه بالتحية لقائدهم، وقبل أن يخفضها انغرست الطلقة فى صدره فأردته أرضاً.

ساد الهرج والمرج.. انطلق الفنيون يجرون هنا وهناك هاربين، ولاحقتهم طلقات الصيادين العشرين الذين استغلوا عامل المفاجأة فى إسقاط الحراس المسلحين فى ثوانٍ معدودة.

وبينما دوت صافرات الإنذار عالية، وغمرت الأضواء الكاشفة فناء المزرعة، انقسم الصيادون/ المهاجمون لمجموعتين.. مجموعة تبادلت إطلاق النار مع الحراس على أبراج الحراسة وفى الأرجاء، والأخرى، وقوامها عشرة أفراد، شقت طريقها إلى داخل المبنى الخرسانى الرئيسى وسط الفناء، ثم لم تلبث أن انقسمت بدورها إلى مجموعتين: أربعة وستة أفراد.

توالت الانفجارات، وتطايرت الطلقات، وتساقطت

الجثث على جانبى شبكة الممرات التى بدا واضحاً أن أفراد مجموعة الستة يحفظونها عن ظهر قلب، حتى وصلوا، وقد انخفض عددهم من ستة إلى أربعة، إلى بابٍ مغلق، سارع أحدهم بإلصاق عبوة ناسفة برتاجه، وابتعدوا عنه قفزاً لتفادى الشظايا التى نثرها انفجار العبوة وتهشم رتاج الباب.

وقبل أن يدفعوا ما تبقى من الباب ويدلفوا إلى القاعة الضخمة وراءه، التى صُفَت فيها ماكينات نزع السيال الحيوى، ارتفع أزيز قوى حاد، تجمدوا جميعاً لدى سماعه، وقد خفضوا فوهات أسلحتهم.

وفى كابينته، اعتدل زين فارداً ظهره، ونقل بصره بين الهولوجرام الماثل أمامه لقاعة الماكينات، وبين الأربعينى متين البنيان الجالس إلى المقعد المجاور، والذى نظر إلى أرقام الساعة على طرف الشاشة الهولوجرامية ثم قال بالأمريكية:

- تسعة دقائق وأربعون ثانية.

قال زين بهدوء وبنفس اللغة:

- وتسعة سقطوا من أصل عشرين..

أدار الأربعينى عينيه إليه قائلاً:

- مقابل إحدى عشر دقيقة وعشرة قتلى خلال نفس المسافة بآخر محاكاة لنفس المجموعة.

-مازال أمامنا الكثير، كابتن تريفور.

ضغط الكابتن دونالد تريفور، رجل المارينز القديم، زراً مجاوراً وقال عبر مكبرات الصوت:

- استراحة.. المجموعة التالية تدخل بعد خمسة دقائق..

تلاشت الحوائط الهولوجرامية والديكورات المجسمة للمزرعة، ودبت الحركة فى الأجساد التى تجمدت بينها، الواقف منها والملقى أرضاً بفعل الطلقات الفشنك.. توجهوا جميعاً إلى الممر المؤدى إلى الكافيتريا، وعاد المكان فناءً خالياً شاسع المساحة..

تبادل زين ورفيقه الأمريكى النظر، قبل أن يقول الأول:

- تقدم بطيئ.

نهض تريفور يفتح علبة بيرة وهو يقول:

- العملية ليست هينة.

ومد يده بأخرى نحو زين الذى شكره بابتسامة وهزة رأس ثم قال:

-ما يقرب من الدقائق العشرة.. أقل من نصفها فحسب يكفى كمبيوتر الأمن ليرصد خطوط تحركاتهم ويضع خطة حصارهم واقتناصهم.

رشف تريفور قائلاً:

- لقد وصلوا بالفعل لقاعة استخلاص السيال الحيوى.

-ولم يكونوا ليغادروها، كابتن.. لاحظ أن الحراسة أسقطت ثلاثة من مجموعة الأربعة التى توجهت لقاعة المولدات لقطع التيار الكهربى.

-ووصل الرابع إليها.

-هلُم يا كابتن.. أنتَ تعلم أن التعامل مع الدفاعات

داخل قاعة المولدات يحتاج ثلاثة أفراد على الأقل.. وهذا البائس الذى بلغ القاعة ستمزقه شبكة الليزر لو خطا بقدميه داخلها خطوة واحدة.

ونهض من مقعده ليلقى نظرة على الفناء عبر حائط الكابينة الزجاجى، الذى انتشر فيه عددٌ من العمال لإزالة مخلفات التدريب الفائت وتهيئته للتدريب القادم.

- أنا واثق من أن النتيجة ستكون أفضل فى المرة القادمة.

قالها تريفور وهو يسترخى فى مقعده.

قال زين بشرود:

- وأنا أيضاً.

-فيمَ قلقك إذن يا صديقى؟

صمت زين قليلاً ثم التفت له مجيباً:

- الوقت.

-الوقت!

قال بتوتر:

- كل ثانية تأخير تمر هى مخصومة من رصيدنا وتصب فى حساب E. N... أنا أعرف جيداً أن هؤلاء القوم لا يمزحون، ولا تنقصهم الكفاءة، ومتأكد من أنه فى هذه اللحظات، ثمة أجهزة كاملة تعكف على دراسة الموقف وإعداد خطط مضادة لجميع الاحتمالات.

رشف تريفور رشفة أخرى وتساءل:

-أنتَ خائف؟

بادله زين النظرة بأخرى، ثم هز كتفيه قائلاً:

- لا أنكر.

-مِمَ؟

-من الفشل.

تفرس تريفور فى وجهه للحظة ثم قال:

- هل أستطيع أن أسألك سؤالاً شخصياً، مستر زين؟

-تستطيع، كابتن.

وشحذ اهتمامه بينما العسكرى العجوز يلقى سؤاله:

- لماذا تفعل هذا؟

-أفعل ماذا؟!

-لماذا تشترك فى هذا العمل؟.. عملنا هذا، أقصد.. ما علمته أنك كُنت أحد صيادى N .E. فيما مضى.

حدق فيه زين لوهلة، ثم ضحك ضحكة قصيرة مرتبكة وقال:

- ماذا إذا سألتك السؤال ذاته، كابتن؟

أجابه على الفور:

- سأجيبَك بأنه البيزنس، وبأن هذا عملى الذى لا أعرف سواه.

-ألا أقنعك لو أجبتك بنفس الإجابة؟

هز تريفور رأسه نافياً، وهو يرفع علبة البيرة إلى شفتيه قائلاً:

- لا هذه الإجابة ولا غيرها، مستر زين.

(مبتسماً): - غيرها؟!

رشفة أخرى من البيرة..

- أتكلم عن القصيدة الثورية التى ستلقيها على

مسامعى.

تحولت ابتسامة زين لضحكة أخرى، وهو يقول:

- ألا أصلح مرتزقاً ولا حتى ثائراً؟

أومأ تريفور برأسه، وأشار إلى الفناء الخالى عبر حائط الكابينة الزجاجى قائلاً:

- هؤلاء الحمقى مرتزقة وثوار.. من يعملون معنا يمكن تصنيفهم تحت نوعين.. نوع يعمل من أجل المال (مثلى يا صديقى العزيز).. والنوع الثانى يعمل من أجل أيديولوجيا دينية أو ثورية.. أما أنت..

وسدد له نظرة طويلة نافذة، مستطرداً:

- فلا تعمل من أجل المال، وثق أن لى نظرتى فيمن يعمل بجوارى لشهور.. وبالنظر لتاريخك المهنى (يبتسم) لست متطرفاً أيديولوجياً تدفعه أيديولوجيته للقتال.

ورشف مرة أخرى من علبته، ثم تساءل بهدوء:

- هل أنا مخطئ يا صديقى الشاب؟

حدق زين فى وجهه بشرود، وكأنه لا يراه.

كان يرى الأجساد النحيفة الممصوصة إذ تخترقها طلقاته المخدرة، فترديها ساكنة بين التراب..

يسمع صدى صوت الكابتن خالد يتردد فى ذهن

«إنت عارف انك محيرنى من زمان؟».

الأرض المظلمة تبتعد من وراء نافذة الطوافة.. يسمع أزيز المحركات.. ضحكات زملائه.. «لغاية دلوقتى مش فاهم انت عملت اللى عملته دا ليه!».

الأجساد المتكالبة على الفتاة الشابة، تنهش جسدها نهشاً.

«جواك غضب.. جواك غِل».

يهوى على وجه أحدهم بكعب بندقيته مراراً.

«بتنتقم من مين يا زين؟».

ينزل بحذائه العسكرى الثقيل على ساق وليد، فيهشم عظامها.

«فين بابا يا زين؟».

من داخل الغرفة، يلمح وجه أمه المذعور الغارق فى العرق.. يسمعها تصرخ باسمه..

«فين بابا يا زين؟».

تقبض الأصابع الصخرية على خصلات شعره الناعم.

يرفس مقاوماً بقدميه فى يأسٍ مثير للشفقة بينما تجره –الأصابع- على الموكيت باتجاه الغرفة فى نهاية الطرف الآخر للممر.

وعلى بعد سنتيمترات قليلة، تراقص طرف الكرباج المستقر زمامه بين أصابع اليد الأخرى..

«فين بابا يا زين؟».

ثم تأتى أمل لتنشب أصابعها بكتفيه.

تهزه.. تهتف باسمه.

«ضربنى.. معلش.. آسف.. قولتله.. والله العظيم.. الكرباج.. ماما.. قوليله.. قوليله.. آخر مرة والله العظيم.. ماما.. قوليله.. ماما.. قوليله.. قوليله.. قوليله!!».

تحتضن رأسه بقوة، يبكى ويرتعد بين ذراعيها.

وجهها ذو التجاعيد.. العينان الحنونتان.

-طب نتفِق اتفاق.. لو قولتلى «يا ماما»، هَسيبك براحتك.

-ماشى يا ماما.

-أهو بعد ماما دى، والله ما انا سايباك غير لما تخلص الشوربة.

يضحكان معاً، ثم لا يتمالك نفسه من البكاء.

يشعر بأصابع تربت على ركبته.. تنتزعه انتزاعاً من دوامة الصور والأصوات والذكريات.. يرفع عينين ملتمعتين، فيرى ابتسامة هادئة على شفتىَ المارينز العجوز.. يسمعه يقول له:

- لا عليك.. أنا أسحب سؤالى.

يحاول أن يقول شيئاً، فيخونه صوته ويخرج مختنقاً متحشرجاً.. لا يلبث أن يقاطعه تريفور وهو ينقر زراً قريباً:

- المجموعة التالية.

*****

المسافة من المعادى للسليمانية الجديدة تستغرق أربعين دقيقة، تستهلك سيارة هند شعلان نصفها فى عبور نفق الثالث من يوليو الذي يمر أسفل جنوب القاهرة (واحد من شبكة الأنفاق التى تقطع باطن العاصمة طولاً وعرضاً)، وتتسلى هى خلالها بالثرثرة عبر التليفون، أو الاستماع للموسيقى أو مشاهدة إحدى برامج المسابقات والمواهب.

السائق الآلى يقود السيارة بينما هى تستمع لهولوجرام محدثها الشاب –عبر الهاتف- الذى يصغرها بما يقرب من الثمانية أعوام:

- لقيت الجو لَبش، والنيجرو مولعين الدنيا، والولاية كلها على كف عفريت، رحت واخد أول طيارة وراجع على مصر.. الحال هنا much better..

-وإلزا؟

- كانت عايزة تيجى معايا، بس انا فلسعت منها.. رجعت فلوريدا.

-ليه فلسعت؟!

نفخ من بين شفتيه الدقيقتين قائلاً:

- enough.. زهِقت.. ٨ شهور كتير فعلاً.

ضحكت قائلة:

- زهِقت والا تعبت؟

ضحك بدوره فى طلاقة وهو يهز رأسه فتتطاير خصلات شعره السوداء الطويلة، وقال:

- ولا عشرة من عينة إلزا.. اسكندنافية باردة ماتطفيش النار ولا تولعها.

والتمعت عيناه وهو يستطرد:

- And I do miss the Egyptian style..

ضحكت قائلة بغنج:

- لا يا شيخ..

قال بإغراء:

- إيه رأيك اعدى عليكى؟

طقطقت بلسانها محذرة بلهجة غلب عليها المرح الممتزج بالدلال:

- اتلَم يا ولد.. أنا متجوزة.

غمز بعينه قائلاً:

- متجوزة اتنين.. صفوت والفايبريتور.

ارتفع أزيز خافت فى هذه اللحظة، وامتزج بصوت كمبيوتر السيارة الَذى قال (بنبرة صوت جورج كلونى) مُعَرِفاً هوية المتصل الجديد:

- بيبى.

-أهو جه ع السيرة.

قالتها هند بما يشبه الامتعاض، ثم قالت لصاحبها:

- باي باي دلوقت، هَكلِمَك وقت تانى.

-باى.

اختفى هولوجرامه، بينما تَشكَل هولوجرام جديد لوجه صفوت الحليق الممتلئ، أربعينى، موفور الصحة.

- هاي.

-هاي.

-وصلتى لفين؟

-مروحة فـ السكة.. وانت؟

-أنا لسه فـ اسكندرية.

-بتهرج!

-لا والله لسه هناك.

-إنتَ مش قولتلى امبارح انَك خلصت؟!

-المفروض كنت خلصت فعلاً، بس مشكلة الكهربا اللى بتقطع من امبارح دى عطلِت حاجات كتيرة فـ المينا.

لم ترد على الفور.. رمقته بنظرة غاضبة، وهى تدس سيجارة بين شفتيها المكتنزتين، أشعلتها وسحبت نفساً عميقاً نفثت دخانه فى فضاء السيارة المنطلقة بسرعة مائة كيلومتر فى الساعة على أسفلت النفق الأملس.

- انت كدا كَمِلت شهرين ما عتبتش البيت.

-ماجَتش من يوم تانى يا انود.

-الجملة الوسخة دى بَسمعها كل يوم بقالى شهر.

-أكل العيش يا هند.. أعمل ايه يعنى؟

-أكل العيش والا أكل البيتسا؟

قال بسرعة:

- بيتسة ايه؟!

نفثت دخان السيجارة قائلة ببرود:

- إوعى تكون فاكر انى قاعدة هنا نايمة على ودانى يا بيبى.

عقد حاجبيه متسائلاً:

- تقصدى ايه؟!

أزاحت خصلة نافرة من شعرها عن جبهتها وهى تقول:

- الموِمس الطليانيّة اللى بتروح تسهر كل ليلة فالـ resturant بتاعها فـ المعمورة الجديدة.. هىَ اسمها ايه، فكرنى؟

قال ببرود:

- ماريا.

- أيوه.. ماريا سلفاتورى.. ٣٤ سنة، إيطالية، أرملة لرجل أعمال مصرى سكندرى.

-بَسهَر عندها عادى، زيى زى كتير غيرى.

ابتسمت بزاوية فمها وهى تقول بسخرية:

- بس I think مش بتطلعوا كلكو تباتوا عندها فـ فيلتها اللى فوق الـ restaurant كل ليلة.

نظر لها بملامح محايدة خالية من المفاجأة، ثم تساءل:

- مين العصفورة بتاعتِك؟

نفثت المزيد من دخان السيجارة وقالت:

- مش محتاجة عصافير.. أخبارك بتجينى لوحدها يا بيبى، عارف ليه؟

ظل يحدق بها بعينين باردتين، فتابعت بهدوء:

- لأنك حيوان.. مش بس كلب حريم غاوى رمرمة.. لأ، دا انث كمان مش فارقة معاك الناس تعرف انك بتخون مراتك.. مش هاماك كرامتى.. أنا بس عايزة اعرف

حاجة واحدة: هِسهِس الحَمل اللى عندك، اللى مخليك خايف تقربلى.. ربنا خلاص شفاك منه؟!

مرت لحظة من الصمت، قبل أن يجيبها ببطء:

- مابتخلِفش..

قالت من بين أسنانها:

- أنا على كدا المفروض اعتذِرلَك انى أنثى سليمة..

مط شفتيه قائلاً:

- أنا مش فاهم إيه مشكلتِك بالظبط!.. عايشة كويس، وفـ أعلى مستوى رفاهية ممكن.. كل اللى بتحتاجيه بتلاقيه.. حتى الـ sexual needs.. عندِك الفايبرتور بتاعك، ما بتنزليش من عليه إلا عشان تنامى أو تدخلى التويليت أو تروحى شغلك، وصوتِك بيبقى جايب آخر الدنيا.. إيه اللى ناقصِك بقى؟!

صاحت:

- ناقصنى الأمان.. ناقصنى الحب.. ناقصنى.. راجل.

قال ببرود:

- مافتكِرش انِك ناقصك رجالة!

حدقت فيه بدهشة، هَمَسَت:

-يعنى انتَ عارف؟!

هز رأسه من دون أن يتفوَه بحرف، فتساءلت شاعرة بالدموع تحتشد فى عينيها:

- ومِش فارقة معاك؟!

-(يشعل سيجارة): calm dwon, baby.. دا شيء طبيعى لازم اتوقعه لأننا do not have enough

sex.. وانتى مابتشبعيش.

-مش فارقة معاك مراتك تنام مع حَد غيرك؟!

قال ببرود:

- أهم حاجة مايكونش على سريرى.

فرت دمعة من عينها وهى تقذفه بسبة بذيئة لم تتغير لها ملامحه، قبل أن تتمالك نفسها وتقول بصوت حاولت أن تحكم هدوء نبرته:

- على سريرك يا بيبى.. وهَيلبِس بوكسراتك كمان.

هز رأسه بأسف مغمغماً:

- so bad.. طب ماتنسيش اللوب plz... الإجهاض المرادى فيه خطر عليكى.. دى هتبقى التامنة، آنودى؟

تلاشى هولوجرامه فى اللحظة التالية إثر قطعها المكالمة، وهى تنهال عليه بالسباب..

ولدقيقة كاملة ظلت شاردة العينين، دامعتهما، تنفث دخان سيجارتها، حتى أتت عليها بالكامل، قبل أن تقذف بالمبسم فى السلة الصغيرة المجاورة للفتيس، ثم تمسح ما عَلِقَ من دموعها وهى تخاطب كمبيوتر السيارة:

- تليفون.. روبير نصيف.

مرت ثوان نظرت خلالها فى مرآة السيارة لتتأكد من أن الدموع لم تفسد ماكياجها، قبل أن ترى هولوجرام صديقها الشاب يتشكل أمام التابلوه.. تهلل لمرآها، فابتسمت له قائلة بنعومة:

- بقولك إية؟

- قولى.

-فاضى، تعدى عليا؟

-أيوا بقى.

أنهت اتصالها معه.. نظرت للـ stop watch على يمين لوحة العدادات، والتى أشارت أرقامها إلى المدة المتبقية على وصولها لمنزلها، ثم أجرت اتصالاً بصيدلية العزبى.. أملَت الـ call center بقائمة مرتجلة من الطلبات، ثم أشعلت سيجارة جديدة، واسترخَت فى مقعدها محاولة –طيلة الدقائق التالية- تنظيم أنفاسها، حتى طرق صوت الكمبيوتر أذنيها، ينبئها بالوصول لمدخل الكومباوند.

شعرت بسرعة السيارة تهدأ تدريجياً حتى توقفت، أصدرت أمراً صوتياً بخفض درجة عتمة زجاج نوافذ السيارة، ونظرت عبر الزجاج الأمامى لتفاجأ بالرؤية خلاله غائمة، غير واضحة بسبب مياه المطر التى غمرته.

- مَساحات.

استجاب الكمبيوتر على الفور، وراحت المَساحات تزيح قطرات المطر يمنةً ويسرة بحركة منتظمة، وشيئاً فشيئاً، بدأت هند تميز الطابور الطويل الممتد لعشرات الأمتار أمام بوابات الكومباوند فى مشهد غير مألوف.

الأمطار تهطل بغزارة على السيارات المصطفة التى تتحرك ببطء على الأرض الزلقة المفروشة بالأوحال، باتجاه البوابة الرئيسية. انتشر رجال أمن الكومباوند حول الطابور بأزيائهم الزرقاء المُغطاة بسترات الووتر

بروف، دنا اثنان منهم من سيارة هند التى صارت تفصلها ثلاث سيارات عن المدخل الرئيسى.. نقر أحدهما بسبابته المستقرة داخل قفاز أسود على الزجاج المجاور لها، الذى انزلق لأسفل بنعومة استجابةً لأمرها سامحاً للهواء البارد ورذاذ المطر باجتياح باطن السيارة الدافئ.

سرت رعشة فى جسدها، تأملت رجل الأمن الّذى أمسك بجهاز صغير أشبه بسماعة التليفونات العتيقة التى تراها فى الأفلام القديمة على روتانا كلاسيك.. سألته بصوت حاولت أن يعلو على صوت الرياح والأمطار:

- هو فيه ايه؟!

كرر، وهو يتلفت حوله ضَجِراً، الإجابة التى ألقاها مئات المرات خلال الساعات الفائتة:

- تخفيف أحمال يا مدام، عشان فيه مشكلة فى إمدادات الطاقة.. وإدارة الكومباوند أصدرت قرار بتحويل عدد من الخدمات للمانيوال.

ورفع الجهاز الّذى يحمله مستطرداً بروتينية:

- تسمحيلى اكشف على البصمة الحيوية؟

رددت بحيرة:

- اتفضل.

أضاءت لمبة خضراء دقيقة فى قمة الجهاز بعد خمسة ثوان بالضبط، وحدق رجل الأمن فى البيانات التى تراصت على شاشته الصغيرة، ثم رفع عينيه إلى زميله

الّذى دار دورة كاملة حول السيارة حاملاً جهازاً يشبه المكنسة الكهربائية، خمنت هند أنه جهاز كشف عن المتفجرات. تبادلا نظرة وهزة رأس، قبل أن يعود الأول بوجهه لهند قائلاً بابتسامة رسمية:

- إتفضلى يا مدام هِند.

شكرته بخفوت قبل أن يرتفع زجاج النافذة ليفصل بينهما من جديد.. راحت، بينما عجلات سيارتها تنزلق على الأسفلت المبتل، تتلفت حولها وتتأمل الطريق المعتاد الذى بدا لها، بأعمدة إنارته المنطفِئة، مظلماً مخيفاً رغم أنوار مصابيح السيارات.. لم تَنس قبل نزولها فى جراج بنايتها أن تطلب من الكمبيوتر إبلاغ البوابة بأن ثمة ضيف سيأتى لزيارتها، وإرسال ملف ببياناته وبصمته الحيوية.

لم تفارقها دهشتها، والأدق أنها تضاعفت، وهى تتأمل الأجزاء المظلمة من مسطح الكومباوند، عبر زجاج المصعد البانورامى الذى يرتفع بها بنعومة صاعداً لشقتها بالطابق الحادى والعشرين.. كل المسطحات الشاسعة للحدائق والمنتديات والمولات والخدمات التى تتلألأ كل ليلة، غرقت فى ظلامٍ دامس، ووحدها احتفظت الأبراج السكنية بإضاءتها.

غمغمت بسخرية حانقة مقلدة لهجة روبير، وهى تدور ببصرها فى المسطحات السوداء:

- «رحت واخد أول طيارة وراجع على مصر.. الحال هنا much better»!! يخرب بيت عين أمك يا أخى!!

دلفت إلى شقتها حاملة الحقيبة البلاستيكية المطبوع عليها لوجو العِزَبى (وجدتها باسمها فى مكتب سيكيوريتى البناية)، فأضاءت أنوارها تلقائياً وقد تعرف كمبيوترها على بصمتها الحيوية.. حياها، فطلبت منه وهى تتجرد من ثيابها أن يعد لها حماماً دافئاً، ثم..

- تليفون.. Cook Door..

وبينما يخبرها بصوته المسجل أن خدمات الـ Feeding بالكامل متوقفة بسبب تعطل إمدادات الطاقة، استرجع ذهنها مشهد المسطحات المظلمة الذى رأته قبل دقائق خلال زجاج المصعد.. جَزت على أسنانها وهى تسب ساخطة، وعدلت طريقها من الحمام إلى المطبخ الّذى أضاءت جدرانه ذاتية الإضاءة بمجرد اقترابها منه.. ألقت نظرة متفحصة على محتويات الثلاجة، غمغمت لنفسها وكأنما تحدث رفيقها القادم:

- فيها حاجة يعنى لو طبخنا شوية الأول يا روبير؟!

وبدأت فى إخراج أكياس المكرونة والصلصة والجبن المبشور، بضع ثمرات من الطماطم والفلفل والبصل، وطبق بلاستيكى مرصوصة به شرائح من البانيه.

- مش احسن ما ندخل السرير على طول؟!

وضعت آخر المستلزمات على رخامة المطبخ، وغادرت متجهة إلى الحمام.. أردفت هامسة لنفسها وهى تلقى نظرة على العلبة متوسطة الحجم المستقرة قرب مدخل غرفة النوم الرئيسية:

- والا تبقى فرقت إيه عن الفايبريتور؟!

والتقطت نفساً عميقاً ملأت به صدرها برائحة الصابون المعطر الذى طفت رغاويه على سطح المياه الدافئة التى امتلأ بها البانيو.. نزعت آخر قطعة متبقية عليها من ثيابها الداخلية، ووقفت للحظات تقرأ تعليمات الاستخدام المكتوبة على علبة الـ daily lop التى أخرجتها من كيس العَزَبى، قبل أن تضعها جانباً، ثم تدفع جسدها لتغمره فى الماء الذى يتصاعد منه البخار عَطِر الرائحة.

أغمضت عينيها شاعرة باسترخاء وراحة شديدين يغزوان كل مليمتر مسطح من جسدها.. قضت وقتاً ناعماً تمسح بأصابعها الطويلة الرشيقة رغاوى الصابون على ساعديها وعنقها وكتفيها وصدرها، حتى تناهى لسمعها الصوت المنغوم المميز لجرس الباب، وتلاه صوت كمبيوتر الشقة:

- مستر روبير نصيف.. بصمة مسجلة.

لم يَبدُ عليها شيء من تغير أو شغف، قالت بهدوء:

- Reception..

استقبل كمبيوتر Smart Home كلمتها، فحللتها وحدة الـ A. I. المُزوَّد بها، وترجمتها إلى أوامر وجهتها على الترتيب إلى الرتاج الأوتوماتيكى لباب الشقة، فانزاح لسانه، وانفتح الباب أمام الضيف القادم، ثم إلى الوحدة الصوتية التى رحبت به بعبارات الترحيب المسجلة فى ذاكرتها.. ثم أخيراً إلى الجدران ذاتية الإضاءة، وأباليك وسبوتات المدخل، فأطفأت البعض

وأضاءت البعض الآخر بحيث تقود الأضواء إلى الـ reception، الذى أُضِيئَت أنواره بدورها.

(بذات الهدوء):- help your self روب.. أدخُل المطبخ، واعمل الـ drink بتـ..

قطع عبارتها أزيز مفاجئ شحب له وجهها، وسمعت الكمبيوتر يردد:

- Security case! بصمات حيوية غير مسجلة.

وفى الجزء التالى من الثانية، صك أذنيها صوت رتاج الحمام إذ انغلق أوتوماتيكياً كإجراء أمنى، ثم..

- جارى الاتصال بشرطة الكومباوند.

شهقت بفزع وهى تحدق فى الهولوجرام الّذى تشكل فى الفراغ أمامها حاملاً ما تلتقطه الكاميرات المثبتة فى أرجاء الشقة.. لمحت جسداً مكوماً على الأرض قرب مدخل الشقة، ميزَت فيه جسد عشيقها الشاب، ثم انتفض قلبها رعباً عندما لمحت الجسدين الفارعين فى الردهة المؤدية لجناح النوم.. أمام باب الحمام المغلق عليها فى هذه اللحظة.

غادرت الصرخة شفتيها عندما سمعت صوت الطرقات على الباب المغلق، وأعقبها صوت أحدهما:

- مدام هند.

صرخت:

- انتو مين؟

قال برِفق:

- من فضلك ما تقلقيش.

-إنتو مييييين؟!!

أجابها الآخر:

- استخبارات Egy- Nergy.

- وعايزين ايه؟

-سؤالين يا مدام وهَنِمشى على طول.

صرخت:

-بوليس الكومباوند أخد خبر وهيوصلوا حالاً.

رأت أحدهما –عبر البث الهولوجرامى- ينظر فى ساعة يده، بينما قال الآخر:

- مش هَيوصلوا قبل ٥ دقايق.. وعلى ما يوصلوا هَنكون خلصنا سؤالنا ومشينا.

فتحت فمها لتصرخ من جديد، غير أن الصوت وأد صرختها إذ استطرد بلهجة آمرة:

- أودامِك نُص دقيقة يا مدام عشان تُخرجيلنا بإرادتِك، وإلا هَنضطر آسفين نكسر باب الحمام.

تجمدت فى موضعها لثانيتين، قبل أن يدفعها الرعب دفعاً لانتزاع نفسها.. هتفت وهىَ تنهض من جلستها:

- أنا خارجة.

انداحت المياه ورغاوى الصابون من على جسدها، وكادت لوهلة أن تنزلق، قبل أن تستقر قدماها على سيراميك الأرضية.. سحبت برنساً أبيض اللون لفته على جسدها المبتل بحركة متشنجة بينما الدموع تنهمر من عينيها.

- ١٠ ثوانى.

- إنتو قولتوا مش هَتئذونى.

-تسعة.

ارتفع صوت الكمبيوتر:

- الشرطة فى الطريق.

-تمانية.

صاحت بالكمبيوتر:

- إفتح الباب.

-غَلق الباب جزء من خطة التأمين.

- Abort أم خطة التأمين.

-خمسة.

ردد الكمبيوتر بآلية:

-خطة التأمين مخصصة لحماية مستخدم العقار فى حالة تعرض العقار لاقتحام و..

-مفيش اقتحام.. دول أصدقاء.

(صوت أجزاء مسدس تُشَد): - تلاتة.

صرخت بهيستريا:

- إفتح الزِفتَ.

سمعت صوت تكة رتاج الباب إذ ينفتح، ووقفت ترتعش من الخوف على مقربة مترين من الباب الذى انفتح إثر دفعة من الخارج.. وعبر فتحته رأت الجسدين داخل بذلتيهما السوداوين.

- إتفضلى يا مدام.

خرجت معهما بساقين لينتين إلى الردهة، وتأملت ملامحهما الصخرية فى الضوء المنبعث من أبليك

قريب.. وسمعت أحدهما يقول:

- إحنا آسفين اننا اضطرينا نلجأ للإسلوب دا، نظراً لضيق الوقت.

تساءلت بحروف مرتعشة:

- عايزين تسألوا على إيه؟

أجابها الآخر (حليق الرأس تماماً، لم تُخطئ تمييز الندبة الواضحة على جانب رأسه العار من الشعر):

- سؤالنا عن إيمان عرفة.

رددت:

-إيمان؟!

قال بصوت لم يخل من حزم:

- إيمان عرفة.. زميلتِك فـ الشغل، وصديقتِك الأنتيم.

*****

تسلل الصوت الأنثوى بنعومة إلى أذنى مروة، حاملاً الرسالة المسجلة التى تفيد بانتصاف المسافة بين القاهرة وشرم الشيخ، وتتمنى للركاب رحلة سعيدة ممتعة.

فتحت العروس الشابة عينيها بعد إغماض دام نصف الساعة،بدأ بمجرد انطلاق القطار فائق السرعة من محطة رمسيس٢.. وقعت عيناها أول ما وقعتا عبر النافذة المجاورة لها على الظلام الدامس خارجاً فى تلك البقعة من صحراء مصر الشرقية.. ظلام حالك، بلا قمر ولا نجوم، بعث شيئاً من الخوف فى نفسها..

أدارت رأسها تتأمل عربة القطار من حولها والتى بدت هادئة لا توحى على الإطلاق بحركتها الهادرة على مجال كهرومغناطيسى بسرعة ٥٠٠ كيلومتر/ساعة.. دفء وحميمية (رغم أن الركاب كلُ فى شأنه بين نائم ومستغرق فى الشاشة الهولوجرامية أمامه) تناقضا مع الظلام والبرد خارجاً، تناقضاً أسرى قشعريرة فى بدنها.. لامست بأطراف أناملها كف تيمور، عريسها الشاب الوسيم الذى أدار وجهه عن الشاشة الهولوجرامية الصغيرة المعلقة أمامه إليها.. ابتسم لها هامساً:

- صباح الخير.

رد تحيته بصوت ناعس وابتسامة دافئة، ثم تساءلت:

- أنا نمت كتير؟

هز رأسه مجيباً:

- ساعة يمكن.. actually أول ما القطر اتحرك تقريباً.

وابتسم مجدداً:

- شوية الرقص فـ الفرح يعملوا فيكى كدا؟!

أطلقت ضحكة خافتة وغمغمت:

- اللى مستغرباه انك انت اللى ماتهديتش بعد الفرهدة دى!

- الله أكبر.

تضاحكا لثوان، قبل أن تومئ برأسها تجاه الشاشة الهولوجرامية وقالت:

- خلاص! مش هاين عليك تسيب الشغل؟!

تنهد قائلاً:

- مش قصة شغل.. الدنيا مقلوبة فـ البورصة.

-عشان القلق اللى حاصل؟

أومأ برأسه:

- بالظبط.. فيه حركة بيع مكثفة.. كله خايف.. كله بيبيع.. كله بينفد بجلده.

تساءلت بقلق:

- الأمور خطيرة أوى كدا؟!

أومأ برأسه مرة أخرى:

-الناس بتقلق على فلوسها مع أى خطر.

-وهَنفهم إمتى؟

أجاب بشرود:

- مش عارف.. جايز مانحتَجش نفهم طول ما الليلة still under control.

وعادت الابتسامة تغزو شفتيه وهو يدير عينيه إليها:

- دا مش كلام ليلة دُخلة أبداً.

خرجت الضحكة خافتة من بين شفتيها وهى تومئ برأسها باتجاه الهولوجرام قائلة:

- لا ما انا خلاص بعد الفرهدة والقلق دا، مش متوقعة منك حاجة.

(يضحك): - هانت.. (ينظر لأرقام ساعته).. كلها ساعة زمن.

ومع آخر حروف كلماته.. بدأت إضاءة العربة فى التذبذب.

ارتفعت أعين الركاب (المستيقظ منهم) بحركة أوتوماتيكية لأعلى، رغم أن سقف العربة ذاتى الإضاءة بلا مصدر مرئى محدد.. تبادلت مروة النظرات المستغربة مع تيمور، وسرت لمحة من الخوف فى وجهها.. ارتفعت الهمهمات من الركاب، ثم لم يلبثوا أن صمتوا وأنصتوا للصوت الأنثوى الهادئ الذى انبعث عبر الإذاعة الداخلية للقطار:

- «نعتذر للسادة الركاب عن هذا الخلل الفنى فى إضاءة القطار.. جارٍ إصلاح الخلل، وننوه لأن المتبقى من زمن الرحلة تسعة وأربعون دقيقة.. شكراً جزيلاً».

تكرر التصريح بالانجليزية والفرنسية، واختلط بالهمهمات التى سرت مجدداً بين الركاب.. ضغطَ تيمور كف عروسه برفق مُطمئِناً، فابتسمت له باضطراب، وأدارت عينيها إلى الصحراء التى بدت لها كتلة صماء

مظلمة خارج النافذة المجاورة، تسابق القطار بسرعة ٥٠٠ كلم/ساعة.

سرى الخوف فى قلبها مرة أخرى، بالذات مع الانقباض الذى سببته الذبذبة المتواصلة فى إضاءة العربة.

قبضت على أصابع عريسها، وأغمضت عينيها داعية الله أن تنقضى الدقائق المتبقية على انتهاء الرحلة بسرعة.

*****

(الصورة مهتزة بسبب الكاميرا المحمولة، مع وثبة المصور من الطوافة الصغيرة بمجرد استقرارها على الرمال، وركضه باتجاه موقع الحادث الَذى يبعد حوالى ثلاثمائة متر).

(الظلام الدامس فى هذه المنطقة من صحراء مصر الشرقية، انتهكته ألسنة النيران، وأضواء كشافات طوافات الجيش والإسعاف التى هبط بعضها حول عربات القطار التى انفصلت عن بعضها البعض، وانقلبت على جوانبها، واكتفت طوافتان من طوافات الجيش بالتحليق فى السماء المظلمة، واحدة تسلط الإضاءة على الموقع، والأخرى تحوم بحثاً عن ناجين فى الجوار).

(المزيد من الاهتزازات مع ركض المصور، واقترابه من موقع الحادث.. يستوقفه اثنان من جنود القوات المسلحة.. يردد بصوت لاهث «صحافة».. يصر الجنديان على منعه من التقدم.. يحاول إقناعهما.. شخطة من رائد جيش يقف عن قرب تنهى الجدال.. المراسل يبتعد).

(إظلام).

(الصورة متحركة من منظور منخفض، يشى بكاميرا تتحرك بسرعة من على ارتفاع لا يزيد عن الثلاثين سنتيمتراً فوق رمال الصحراء.. تجرى فى مسار دقيق، تناور يمنةً ويسرة، تمرق بين السيارات والأجساد بسرعة

خاطفة، وبزوايا دقيقة، وكأن أصابع مدربة تتحكم بها عن بُعد).

تمتم إبراهيم جودة، رئيس تحرير موقع وقناةEgypt Now التلفزيونية وهو يتابع، بعينين مشدوهتين، مشاهد الهولوجرام المتتالية أمامه:

- إزاى عرفت ترجع بـ «الجاسوس»؟!

أجابه معتز حشاد، من مقعده المجاور لمقعد الطيار، فى الطوافة الصغيرة المملوكة للموقع، والتى تحلق فى السماء الملونة بغبشة الفجر، عائدة إلى القاهرة:

- أنا كنت حاطط إيدى على قلبى يا ريس ليكشفوه.. الجيش عنده أجهزة بتلقط الإشارات دى، بس غالباً مالحقوش ينصبوا المنظومة كلها.. إحنا وصلنا بدرى، قبل أى حد.. بمجرد ما معاليك اديتنا الأوردر.

ميز إبراهيم، رغم المسافة، ضغطه على حروف عبارته الأخيرة منذ «إحنا وصلنا بدرى»، وتجاهل هذا كما ينبغى لرئيس تحرير مخضرم.

طرقت مسامعه فى هذه اللحظة ضجة لاسلكية، تساءل عمَ هنالك فـأجابه الشاب:

- دا الطيار بيخاطب الدفاع الجوى.. أودامنا دقيقتين وندخل القاهرة.

هز إبراهيم رأسه بشرود وهو يتابع المشاهد المتوالية.

(النيران مشتعلة فى كل العربات.. جثث.. عشرات الجثث متناثرة هنا وهناك.. شظايا وبقايا الزجاج.. جثث.. بقع من الدماء.. جثث.. هدير مراوح الطوافات..

عيون جاحظة.. جروح قطعية.. صرخات المسعفين وعساكر الجيش).

- أوبس!

خرجت همساً من بين أسنانه، وسمعها معتز رغم كل شيء، فعَقب قائلاً:

- أنا برضه اتخضيت، وأكتر من مرة كنت هَجيب اللى فـ بطنى، لغاية ما شوفت جثة لحم وشها اتاكل.. ففقدت السيطرة، ورجعت اللى فـ بطنى.

-(باهتمام): فين دى؟

-هى إيه؟

-صورة الجثة اللى لحم وشها مِتاكل.

-ماصورتهاش.

رفع إبراهيم عينيه عن الفيديو متسائلاً:

- ليه؟

-ما انا قولتلَك يا ريس، فقدت السيطرة ورجعت اللى فـ بطنى.

-(بحنق): غبى.

بُهِتَ معتز،وصمت محاولاً ابتلاع الإهانة التى خرجت كالرصاصة من بين شفتى رئيسه، الذى تابع بغضب:

- جثة لحم وشها متاكل! انت متخيل صورة زى دى كان ممكن نعمل بيها شغل ممتاز أد إيه؟! إعلانات بالملايين أو سعر بالملايين عشان ماتنزِلش.. تقوم تضيعها يا سيس عشان معدتك أضعف من مشاعرَك؟!

وتردد صوته جاداً واضحاً فى كابينة الطائرة رغم

بعض الخروشة اللاسلكية:

- عشان تبقى صحفى شاطر، لازم معدتك تبقى أقوى من مشاعرك.. إنتَ أصلك شاب مرفه من الجيل الجديد اللى طلع لقى مصر تانية غير مصر اللى انا عشت شبابى فيها.. ماجربتِش تجوع.. الجوع يا معتز، أفظع خبرة ممكن الإنسان يمر بيها.. إتفرج على ناشيونال جيوجرافيكس عشان تفهم كلامى.. الجوع بيصنع الوحوش، بيخلق الحروب.. بيحرك الدنيا.

وصمت للحظات، عاد خلالها إلى مشاهد الفيديو الهولوجرامى المتوالية أمام عينيه، ثم قال بنبرة أهدأ:

-مشاعرك الرقيقة دى خسرتنا سبوبة حلوة أوى.. لو أى حد تانى انا كنت هَفشخه.. أرميه فـ الشارع.. بس انا مش هَعمِل كدا معاك.. عارف ليه؟

-.........

-(بإصرار): عارف ليه؟!

غمغم معتز بصوت متحشرج:

- ليه يا مستر ابراهيم؟

-عشان ييجى منك.. إوعَ تكون فاكر عشان إعلانات شاكر بيه قَريبك.. إحنا خلاص عَقد Egy- Nergy حللنا مشاكلنا المالية، وانتَ عارف.. بس انتَ فعلاً بتتحسن، وممكن تبقى صحفى ممتاز لو سمعت كلامى.. عشان كدا هَدِيك فرصة تانية.

-شكراً، مستر ابراهيم.

عاد الصمت ليسود بينهما، إلا من الخروشة اللاسلكية،

وانصرف إبراهيم كليةً إلى مشاهد الهولوجرام.

(وجه مغطى بالدماء.. لا توجد عين يمنى، أخفاها الجفن العلوى المنتفخ.. اثنان من المسعفين يعملان على وقف نافورات الدم المنبثقة من البطن والفخذ.. الشفتان ترتعشان، وثمة همهمة غير مفهومة تنبعث من بينهما.. الكاميرا تقترب بحذر من الوجه.. المايك يقترب من الشفتين المرتعشتين.. الهمهمة تتماسك وتتضح تدريجياً «مـ.. مروة.. ماتخافيـ.. يش يا مروة.. تتتتـ.. مرو».. يرتفع صوت أحد المسعفين «انت مين؟.. بتصور ايه؟».. تهتز الصورة.. تختفى).

همس إبراهيم محدثاً نفسه:

- إيه اللى حصل بالظبط؟!

*****

واقفة فى قلب الميدان..

السماء قطعة من الجحيم، ملبدة بمزيجٍ من سحب دخان الحرائق والغاز المسيل للدموع وانعكاس ألسنة اللهب.. تتعالى الصرخات وتتداخل معها الهتافات الثورية، فتكاد لا تميز بينهما.. الجثث متناثرة هنا وهناك.. الحركة من حولها محمومة فى جميع الاتجاهات، وهى واقفة لا تبارح مكانها.. قدماها ثقيلتان تغوصان فى أسفلت الميدان الذى ذاب بفعل النيران المشتعلة فى كل شيء بالجوار، وعيناها ملتهبتان بسبب الغاز الذى أُلقِيَت المئات من قنابله عليهم.

الدموع تملأ عينيها.

تسعل.. تسعل.

تفكر: أين ذهب الجميع؟!

أين بشير؟.. أين خالد؟.. أين إبراهيم؟.. والأهم..

(تسمع أصوات المجنزرات ومدرعات الداخلية إذ تطبق على الميدان من جميع الشوارع المطلة عليه).

أين أدهم؟!

النيران.. الغاز.. الدخان.. أصوات طلقات الأسلحة الأوتوماتيكية.. صرخات.

تسعل أكثر.

أين هو؟

تصرخ من أعماقها:

- أدهم.

تشعر بأصابع قوية تحيط بعنقها.. تضغطه.

تختنق.. تسعل.

تصرخ بصوت متحشرج:

- أدهم.

تسمع الصوت يناديها من بعيد:

- أمل.

(حشرجة): - أدهم.

- أمل..

أمل..

- أمل!

تفتح عينيها إثر هزة خافتة من أنامل رقيقة.. سقف الغرفة شبه المظلمة.. وجه إيمان يطل عليها من عَلٍ وقد أخفى الظلام تعبيراته (بشكلٍ ما تحمد الله على هذا). سمعتها تهمس:

- دكتور محمود وصل.

رددت:

- محمود!

استدارت إيمان مغادرة من دون أن تعقب.

استغرقت أمل ثوانى لتستعيد فهمها وإدراكها لما حولها، قبل أن تستجمع قواها وتنهض من رقدتها. اتجهت بخطوات مترنحة للحمام الملحق بغرفتها، وبعدها بدقائق قليلة غادرته بوجه مغسول وشعر ناعم قصير التمع لونه الرمادى بقطرات الماء، وبخطوات أكثر حيوية واتزاناً هبطت السلالم إلى الطابق السفلى حيث

الـ reception، الذى توزع محمود وإيمان على مقاعده الوثيرة.. محمود يتناول طعامه أمام قناة إخبارية ما على شاشة التليفزيون الهولوجرامية السابحة فى فراغ المكان، بينما إيمان كالعادة لا تفارق السيجارة المشتعلة أصابعها، وثمة أعمدة من دخان التبغ تنبعث من بين شفتيها المضمومتين، سرعان ما تفقد تماسكها وتتبدد فى سماء الفراغ.

التفت محمود لها إثر سماعه وقع خطواتها الخافت على موكيت الأرضية.. حيته مبتسمة بوِد، فرد تحيتها بأحسن منها.

قال لها بفم ممتلئ بالطعام:

- فطارِك على الكاونتر.

شكرته بهزة رأس و»ميرسى» خافتة، ثم أدارت عينيها فى أرجاء المكان والـ open itchen المطل عليه، وتساءلت:

- فين رفعت؟

قالت إيمان من دون أن تلتفت إليها:

- فـ أودته.

-نايم؟

-عَديت عليه، قولتله اننا مستنيينه تحت، فاعتذر عن النزول.

تنهدت أمل، اتجهت إلى الكاتل المستقر على كاونتر المطبخ، وبدأت تعد مجاً من النسكافيه. رمقها محمود من دون أن تدرى بنظرة طويلة وكأنه يسبر أغوارها، ثم

قال:

- دا عَرَض طبيعى.

رَفَعَت إليه عينين حائرتين، فأومأ برأسه للطابق الأعلى حيث رفعت المعتكف فى حجرته، وتابع:

- لسه أودامه وقت.. الخبرة اللى مَر بيها مش بسيطة.

غمغمت:

- أدهم مر بنفس التجربة، ومَكانش كـ..

-إنسى أدهم.

رمقته بنظرة صامتة.. استطرد:

- كل case وليها ظروفها.

وأشار بسبابته ووسطاه إلى عينيه مضيفاً:

- توقعت ما هو أسوأ من إنسان انفجرت عينيه جوه ماكينات التعذيب.. كويس انه عارف يتعامل معانا أصلاً.

(بخفوت): - بس هو مش فاكر حاجة.

-سياله الحيوى ولا وعيه محتفظين بنسخة كاملة من الخبرة دى، دا غير انه بيشوف العالم من خلال خلايا بصرية.

وتنهد مستطرداً:

- أومال انتى فاكراه مش عارف يتكلم لغاية دلوقتى ليه؟!

صَبَت الماء المغلى فى المَج الذى استقرت حبيبات النسكافيه فى قاعه، وحملته إلى أقرب المقاعد إليها.. قالت مُغيِّرة الموضوع:

- والله زمان.. آخر مرة قعدنا القَعدة دى كانت من ٣ أسابيع.

قال محمود وهو يمسح شفتيه بفوطة وايبس عطرة الرائحة:

- عشان اوصل هنا لازم اِلف لفة كبيرة، والمفروض انى ماغيبش عن المستشفى والجامعة عشان مَحدِش يلاحظ حاجة.

وكور الفوطة وألقاها فى سلة مهملات مجاورة، وتساءل:

- مفيش أخبار عن زين؟

هزت رأسها مجيبة:

- من ساعة ما سافر، مفيش أى أخبار.. انت عارف.

ورشفت من مَج النسكافيه ثم سألته بلهجة عملية:

- إيه الجديد؟

أجاب:

- الدنيا مقلوبة بمعنى الكلمة.. عشرات العمليات فى ٢٢ دولة خلال إسبوع واحد.. نزيف مستمر فى بورصات العالم، أزمة توريد الطاقة بدأت تطل برأسها آخر ٢٤ ساعة.. أسهم Egy- Nergy فى الأرض.. إستنفار أمنى دولى، و٩ مؤتمرات صحفية لرؤساء ورؤساء حكومات ٩ دول تندد بالهجمة الإرهابية العالمية الجديدة.. حديث الساعة فى الإعلام.. من الجانى؟! إسلاميين متطرفين؟ نازيين جدد؟ منظمات فوضوية؟

وصمت لحظة كتم خلالها تجشوءاً، ثم استطرد:

- E. N. عملت مؤتمر صحفى، ملخصه التأكيد على إن عشرات الضربات اللى أصابتهم ما أثرِتش على كفاءتهم الإنتاجية، وانهم مستمرين فى أداء رسالتهم بلا بلا بلا.. (يومئ نحو الشاشة الهولوجرامية) مش متابعة التغطيات الإعلامية؟

هزت رأسها، ثم رشفت رشفة أخرى من السائل الساخن مر المذاق، بينما هو يردف:

- مفروض انا اللى اسألَك عن اللى لسه مَاوصَلش للميديا.

تساءلت بمكر:

- إشمعنى؟

ضحك ضحكة خافتة وهو يقول:

- الديك الرومى بَطَل يتصل بيكى والا إيه؟!

إبتسامة باهتة ارتسمت على شفتيها الجَعدتين..

رددت إيمان:

- الديك الرومى!

قالت أمل مفسرة:

- الوسيط.. حلقة الوَصل بينى وبين الناس بتوعنا اللى بره.

-وليه ديك رومى؟!

لم تُجِب أمل، رشفت من المَج ثم استطردت بجدية:

- لغاية دلوقتِ التأثير فعلاً محدود ومحصور فى قطاعات معينة، أغلبها سكنية.. إمدادات المصانع والبنية التحتية مستمرة، وواضح ان سياسة E. N.

خلال الفترة الجاية هى توجيه الـ power stock اللى عندها للكيانات الكبيرة، لغاية ما يلاقوا حل.. لكن باب التعاقدات الجديدة وتجديد التعاقدات القديمة أغلِقَ لأجلٍ غير مسمى.

-فعلاً!..

- ٨ شركات منهم سامسونج بجلالة قدرها طلبوا يجددوا عقودهم مع E. N. وإدارة المبيعات طلبت منهم تأجيل التعاقد لمدة شهر واحد، واشترطوا للتجديد عدم تسرب أى خبر بخصوص التأجيل، فى مقابل تسهيلات وأسعار جديدة.

قال محمود:

- الوقت مش فـ صالحهم.

-ولا فـ صالحنا. عشان كدا الجدول مزحوم بالعمليات. لازم التأثير يبقى سريع والخسائر أكبر من انهم يعوضوها.

-والضربة الكبيرة؟

صمتت للحظة تعلقت خلالها عينا إيمان (وعمود دخان آخر يَنسَل من بين شفتيها) بها، قبل أن تجيب باقتضاب:

- قَرَبِت.

علا صوت إيمان فى هذه اللحظة:

- بُصّوا!!

التفت كلاهما إلى الشاشة الهولوجرامية التى حملت بحروف كبيرة على الشريط الأحمر أسفلها:

«عاجل».

*****

«توقف القطار حدث قبل ما يقرب من نصف الساعة من وصوله لمحطة شرم الشيخ.. قبلها بـ ١٣ دقيقة و ٤٢ ثانية تحديداً، وردت استغاثة من رئيس القطار للمركز الرئيسى، يبلغ فيها عن نضوب مفاجئ وسريع فى طاقة المحركات.

وفقاً للبروتوكول، تم إبلاغ الأجهزة المختصة على الفور. وصلت إشارة إلى إدارة الدفاع المدنى، وحرس حدود شَرم الشيخ، بموقع القطار وبياناته وسرعته، والموقع الافتراضى الذى سيتوقف فيه إثر نفاذ الطاقة، وبدأت بالفعل عملية سريعة لتعقب القطار بواسطة طائرات الاستطلاع، التى حددت موضع توقفه بدقة بواسطة الأقمار الصناعية، بعد توقف الإشارة القادمة من القطار بسبب نضوب طاقته.

فى تمام الساعة ٣:١٢ بعد منتصف الليل، بعد ٥٣ دقيقة من تلقى أول إشارة، و٣٩ دقيقة من انقطاع الاتصال معه، وصلت أولى طائرات الاستطلاع لموضع القطار المتوقف عند النقطة الخامسة من القطاع District Assuit-932.. تم تصوير المشهد وإبلاغ الإدارة لرفع درجة الطوارئ للون الأحمر».

«تشير شهادات الضحايا، والمشاهد التى التقطتها كاميرات الاستطلاع، بالإضافة لصور الأقمار الصناعية، إلى أن الهجوم الذى حدث على القطار المعطوب، والذى أسفر عن مصرع وإصابة المئات، واختفاء العديد من

الركاب، هو فعل إجرامى تم بواسطة عصابات الهمج المنتشرة فى المنطقة القريبة من الصحراء الشرقية، والتى يمر شريط القطار بحذائها، على بعد كيلومترين تحديداً. تعطل القطار فى هذه المنطقة الخطرة جعل الركاب تحت رحمة هؤلاء المجرمين، وفور تلقى الأجهزة لإشارة الطوارئ، انطلقت قوة مشتركة من الدفاع المدنى والجيش، بلغت موضع القطار فى أقل من ثلاثين دقيقة وقامت بمطاردة المجرمين، وإلقاء القبض على عددٍ كبير منهم.. وجار الآن عمل حصر لأعداد الضحايا من القتلى والمصابين، بينما انطلقت القوة العسكرية لتمشيط المنطقة لاسترداد المخطوفين».

«أصدرت الشركة المصرية لخطوط السكك الحديدية Egy- Train بياناً نَعَت فيه ضحايا الكارثة، وأعلنت البدء فى تحقيق تقنى وإدارى عاجل لتحديد أسبابها واتخاذ ما يلزم، وحتى هذا الحين ستبدأ فى صرف تعويضـ..».

خفض عمرو من صوت التليفزيون المجسم الذى ينقل النشرة الإخبارية لقناة Egypt Now والتفت إلى آدم المصرى الذى بادله النظر للحظات قبل أن يتساءل:

- شايف ايه؟

هز عمرو رأسه قائلاً:

- مسألة وقت.

وصمت للحظة أخرى ثم أردف:

- بيان Egy- Train صدر من ١٠ دقايق.. هُمَ عارفين كويس الحقيقة اللى احنا عارفينها.. ان المشكلة كانت فى أنابيب الـ power بتاعتنا.. وحوار التحقيق بتاعهم دا افتكاسة لمجرد انهم يكسبوا وقت، لغاية ما يظبطوا تقرير محكم يرفع المسئولية من عليهم، ويرميها فـ حجرنا.

-كلمت ابراهيم جودة؟

أومأ عمرو، وأجاب مشيراً بسبابته تجاه شاشة التليفزيون:

- حصل، وخلال الساعات القادمة هتقوم حملة صحفية عنيفة فى عدد من الصحف والمحطات والمواقع ضد إهمال Egy- Train وتراجع مستوى خدماتها خلال الفترة الأخيرة.. وقائع وشهادات من الركاب والعملاء وموظفين من داخل الشركة نفسها.. وبكرة الصبح، هيتقدم عدد من نواب البرلمان باستجواب عاجل حول أداء الشركة منذ استحواذها على خدمات السكك الحديدية قبل ١٠ سنوات.. دا غير الملفات الوسخة اللى هَتتفتِح، ومنها فضيحة أيمن محجوب، ابن محمود محجوب رئيس مجلس إدارتهم، وعلاقته بـ راندة شَنَن مرات عدلى شَنَن بتاع هيئة الاستثمار.

والتقط نفساً عميقاً وأردف:

- هُما طبعاً مش هيسكتوا، وعندهم جرايدهم وقنواتهم ونوابهم فى المجلس الموقر.. لكن الزيطة دى

هَتدينا وقت يسمحلنا بالمناورة لغاية ما نوصل لـ deal, as good as it gets..

- والتحقيق بتاعنا وصل لإيه؟

انبعث فى الفراغ، إثر ضغطة على مكعب صغير، هولوجرام لرجل خمسينى حليق، خفيف شعر الرأس، بينما عمرو يجيب:

- المهندس سامر شهاب، ٥٣ سنة، الـ Technical manager لـ E. N. شخصياً..

عبرت سحابة من الدهشة على صفحة وجه آدم الذى شرد للحظة، ثم سرعان ما استعاد بروده التقليدى وتساءل ببطء:

- إزاى؟

- معاليك عارف ان دخول Egy- Nergy مش سهل، وقَبول المرشحين بيحصل بعد تحريات واختبارات بتستغرق شهور، ونفس الشيء بينطبق على الترقى، وبالذات للمناصب الكبيرة زى المدير التِقَنى للمجموعة.. وواحد زى الباشمهندس سامر، نجح فى كل الاختبارات والدورات نجاح منقطع النظير، ووصوله للمنصب دا شهادة بأن سيرته الذاتية وكفاءته الفنية وإخلاصه لا تشوبهم شائبة.

قال آدم بنفاذ صبر:

- ولكن؟

-بالرجوع لسجلات الشبكة بتاعتنا، اتأكدنا من ان التخريب اللى حصل فى برنامج الشرائح الرقمية

الملحقة بأنابيب الطاقة الخارجة من عندنا لحساب Egy- Train.. الشرائح المسئولة عن تنظيم تدفق الطاقة، والتخريب تسبب فى تبديد الطاقة اللى أدى لحادث قطار شَرم الشيخ.. التخريب دا حصل من عنده.. هو بنفسه اللى دخل بالكود الشخصى بتاعه على البرنامج الرئيسى وغير معادلة واحدة تسببت فى كل القلق دا.

-إعترف؟

هز عمرو رأسه مرة أخرى وهو يجيب:

- أنكر تماماً.. كان فى مكتبه وبيمارس شغله عادى لما فوجِئ برجال قسم التحقيقات عنده فى مكتبه، بيطلبوا منه يتفضل معاهم.. وفـ قسم التحقيقات اتفاجئ تانى بالثهمة المنسوبة له.

-ونتيجة جهاز كشف الكذب؟

-نيجاتيف. كان صادق فى كل كلمة قالها. الراجل دا (مشيراً بسبابته نحو الهولوجرام السابح فى الفراغ أمامهما) مايعرفش حاجة عن اللى حصل.

أفصحت النبرة العصبية عن نفسها فى كلمات آدم:

- إزاى والكود الشخصى اللى بيدخله على الشبكة مرتبط ببصمته الحيوية؟! يعنى مستحيل حَد غيره يكون عمل كدا.

تنهد عمرو قائلاً:

- دى النتائج اللى وصلنالها حتى الآن من التحقيق يا مستر آدم.

- دى مش نتيجة يا عمرو، إحنا لسه ماعرفناش حاجة.

-التحقيق لسه ماخلِصش يا آدم بـ..

قاطعه آدم جازاً على أسنانه:

- أنا معنديش وقت.

ساد الصمت بينهما لبرهة، قبل أن يقطعه آدم مجدداً بنبرة أهدأ:

- سامر هو الفاعل.. دى بداية الخيط..

وصمت لحظة، ثم استطرد:

-إذا كان اللى حركوه ضدنا، لعبوا لعبة عشان يطمسوا ذاكرته.. فمفيش حاجة بتتمسح من الذاكرة.

ونقر بسبابته ووسطاه على جبهته مردفاً:

- اللى احنا عايزينه، لسه هنا.

نظر له عمرو متسائلاً:

- تقترح حاجة معينة، مستر آدم؟

*****

بالطابق الأعلى، وعلى ارتفاع ثلاثة أمتار وقف رفعت أمام نافذة حجرته.

زرقة السماء الصافية على مرمى البصر ممتزجة بزرقة أمواج البحر، فتلاشى تقريباً خط الأفق الفاصل بينهما وتحول المشهد بالكامل للوحة زرقاء بديعة متدرجة الألوان.

من دون أى مجهود يبذله، تصله مناقشتهم بالأسفل كاملةً.. لا يسمعها، ولكنه يستشعر انفعالاتهم بمنتهى اليسر.

لا يذكر شيئاً عن حياته الماضية، ولا يعلم إن كانت رهافة العقل، رهافة النفس، رهافة الروح هذه قدرة ملازمة له منذ حداثته أم هىَ قدرة مكتسبة من التجربة الشنيعة التى مر بها كما حكى له الدكتور محمود.

يسمعهم بوضوح رغم باب حجرته الموصَد، فتجيش بنفسه مشاعر متباينة لدى شعوره بكل واحدِ منهم.

الدكتور محمود يبعث به شعوراً ما بالارتياح.. بالثقة بمعنى أصح.. محمود يكاد يكون مصدره الأول للمعلومات عن العالم منذ تلك اللحظة التى عاد فيها إليه (إلى العالم). ساعات قضياها معاً.. قضاها هو بين يديه.. يسمع منه.. يفهم.. يستوعِب تلك الحقيقة المخيفة، أن اسمه ليس رفعت.. وأنه يوماً ما كان شخصاً له كينونة، له اسم، أب وأم وإخوة، أصدقاء وأحباب وأعداء، وربما زوجة وأطفال (وهو احتمال

استبعده محمود لما يبدو عليه الفتى من صغر فى السن). وطن ودين وعادات وتقاليد وأطعمة مفضلة ولكنة (راحت مع ضياع صوته).. كانت له عينان.

كان له الكثير والكثير، ولكن كل هذا ضاع بضغطة زر، لأن أحدهم قرر أن يستلِب منه روحه ليزيد من رصيده فى البنك.

محمود الذى قضى الأيام يشرح له بصبرٍ وأناة حقيقة ما صار عليه.. حقيقة القدرة النفسية غير الطبيعية التى امتلكها.

- الإكتوبلازم يا رفعت.. الأورا.. السيال الحيوى.. السجلات الأكاشية.. كلها مسميات عند علماء الباراسَيكولوجى لحاجة واحدة.. هى جزء من الروح.. الطاقة الحيوية اللى بتشع من جسم الإنسان طول ما هوَ عايش.. بتفضل معاه من لحظة اندماجه بالروح جوه الرَحم، لغاية لحظة انفصاله عنها عند الموت.

الجزء اللى بيتسجل عليه كل اللى اكتسبه صاحب الجسم من لحظة البداية وحتى النهاية.. الخبرات والذكريات والتفاصيل والمشاعر والأفكار والمخاوف..

المخاوف.. لعبِتَك يا رفعت!».

فى ظرفٍ آخر، وقبل التجربة التى مر بها، لم يكن رفعت ليفهم حرفاً مما يقال له.. وللدقة هو لم يستوعب مصطلحات مثل الاكتوبلازم، السجلات الأكاشية، الباراسَيكولوجى وكل هذا الكلام الكبير.. ولكنه استشعر ما يريد محمود قوله بأفضل مما يستوعبه محمود

نفسه.. الأمر يستعصى على التعبير.. يشعر بأكثر مما يستوعب.. عملية لا إرادية مثل التنفس على سبيل المثال.

- لو تخيلنا ان عقل الإنسان عبارة عن مبنى، حجراته مليانة بالخبرات والأفكار والذكريات والمشاعر.. هتلاقى دايماً المخاوف.. الجزء المظلم من الخبرة الإنسانية فى الطبقات السفلى من المبنى.. من البدروم وانت نازل.

ممر ضلمة، ريحة عطنة، الحيطان صخرية مكسوة بالطحالب.

وبينما هو يشرح، لا يدرى –المسكين!- أن رفعت يخطو بقدمين ثابتتين فى أعماق الكهف المظلم الذى يدفن فيه –محمود- مخاوفه.. يسمع أصوات الأنين والبكاء من بين الشقوق..

- وفـ آخر الممر، هتلاقى باب خشب عريض.. دا الدفاع الأخير اللى حسام بيحمى بيه نفسه من مخاوفه.

من دون أن يحتاج لتحطيم الباب.. بمجرد أن يمسح بكفه على ألواحه الجافة، يرى بوضوح من بين شقوقه رجلاً أشيب ستينياً عارى الجسد يهوى من قمة جبل عال.. يرى ملامحه المسترخية الملأى بالراحة، ويميز بسهولة الشبه الواضح بينها وبين ملامح محمود نفسه.. يفهم بلا مشقة أنه والده.

يسمع صوت أنفاس محمود الثقيلة.. دقات قلبه المتسارعة.. نهنهته الخافتة.. يشم رائحة خوفه

الممزوجة بحزن ثقيل الوطأة.

- مهمتى، انى اعلِمَك ازاى تنظم قدرتك النفسية الخارقة.. انى اعرَفَك ازاى تميز بين المخاوف العادية المشتركة بين الناس كلها، وبين المخاوف اللى بتميز كل شخص على حِدَة.. الموضوع دا مهم جداً، وهيبقى أساسى وفارق فى الدور اللى هتلعبه خلال المرحلة الجاية إن شاء الله.

ينظر له رفعت من خلال خلاياه البصرية الاصطناعية إذ يتكلم بثقة، بينما فى أعماقه يموج كل هذا الخوف، كل هذا الحزن، فيستشعر إشفاقاً عليه.

- كلنا كبشر متفقين فى مخاوف.. زى الخوف من الموت.. الخوف من الألم.. الخوف من المرض.. من الفقر.. وكده يعنى.. وتحت طبقة المخاوف المشهورة دى، بتتنوع مخاوفنا وبتختلف من واحد للتانى.. ومن نوع لنوع.. من بلد لبلد.. من طبقة لطبقة.. ومن سن لسن.. مخاوفك بيحددها.. نوعك.. سنك.. الخبرات اللى مريت بيها.. اللى بيخوف الراجل غير اللى بيخوف الست.. اللى بيخوف الشاب، غير اللى بيخوف الشيخ.. اللى بيخوف الغنى، غير اللى بيخوف الفقير.

يستشعر مدى دقة هذه الكلمات وهو يتنقل بسياله الحيوى من شخصٍ لآخر.

عندما يوغل الليل، ويهجع نزلاء الشاليهات المجاورة والقريبة فى هذه القرية السياحية القديمة إلى مهاجعهم.. عندئذٍ يغادر هو ملتحفاً بالظلام.. يسير على

رمال الشاطئ، على الطرق المسفلتة، على الممرات المفروشة بالزلط.. يمشى بقامته الناحلة بين الشاليهات المظلمة والمضيئة، خافضاً رأسه، مدارياً خلاياه البصرية بمنظار داكن، بينما سياله الحيوى يتمدد من حوله.. ينتشر.. يعبر الأبواب والشبابيك والفاراندات.. يجتاح النيام والسُمار على حدٍ سواء.. يخطو بثقة داخل كهوف أرواحهم المظلمة، يستشعر رجفتهم، وينصت لأنينهم وشهقاتهم، ويتحسس مذاق دموعهم المالح على طرف لسانه.. ومع كل خطوة يخطوها يشعر بثقة عاتية تجتاحه.. يراهم، ويرى البشر ككل، مهما بلغت قوتهم أو مكانتهم أو غطرستهم أقزاماً صغاراً يرتعشون رعباً.

ويرى نفسه فوقهم.. فوق الجميع.

الظلام بداخل كهف إيمان أكثر شدة وعمقاً منه فى كهف محمود.. يخطو بحذر متحسساً مواضع قدميه.. الجدران ذاتها من حوله تنبض بالخوف.. كل شق بين الصخور يخفى رعباً ما تعانيه المسكينة.. تستشعر أصابعه كوَة فى الجدار المجاور.. يميل برأسه لينظر بداخلها، فيرى –لدهشته!- غرفة مربعة ضعيفة الإضاءة، تقف فى قلبها فتاة صغيرة تنظر برعب إلى جدران الغرفة التى تضيق عليها تدريجياً من جميع الاتجاهات، حتى تكاد لتطبق عليها.. تدير عينيها إليه.. تحدق فيه برعب، وصدرها يعلو ويهبط من فرط ثقل تنفسها.. تمد أصابعها نحوه مستغيثة.

-أومال الشباك المفتوح دا ليه بقى؟

-كلوستروفوبيا.

-إنتى لسه مخلصتيش م القصة دى؟!

-ومش هَخلَص شكلى.. الدكتور تقريباً يئِس منى.

لا يقف عند مصطلح «كلوستروفوبيا» الذى لا يفهمه بطبيعة الحال، ولكنه يستشعر بسهولة الاختناق الَذى تعانيه بسبب هذه الجدران.. يستكمل سيره وسط طبقات الظلام وأصوات الأنين والبكاء والأنفاس الثقيلة، حتى يجد نفسه أمام الباب الخشبى العريض فى نهاية الممر.

يمسح بكفه على الألواح الخشبية الجافة، فيراها –إيمان- من بين شقوق الألواح، وحيدة، عارية، تلف ذراعيها حول كتفيها، تركض فى شوارع يلفها الظلام، وتطل عليها بنايات شاهقة، مظلمة، مصمتة كشواهد القبور.. تبكى.. تصرخ.. تستغيث.. وآلاف الأزواج من العيون الملتمعة تحدق فيها من بين طبقات الظلام.

ينفصل عنها إكتوبلازمياً، ويرمقها من دون أن تلاحظ من وراء منظاره الداكن، إذ جلست تدخن سيجارتها واضعةً ساقاً على ساق.. يخامره، بعد كل ما رآه بداخلها، شعور قوى بالشفقة تجاهها، ممتزجاً بشيءٍ آخر تدفقت له الدماء الساخنة فى عروقه، سببه انحناءاتها المثيرة، وفيض الأستروجين الذى غمره لدى امتزاجه بسيالها الحيوى.

يختلف الحال مع كهف زين.. لا يذكر رفعت أنه التقى زيناً قبل لحظة ميلاده الثانية عند إفاقته.. ورغم ذلك

يستشعر بوضوح قدراً من العدائية المتبادلة بينهما.. لا يعرف السبب، ولا يعرف بطبيعة الحال ما حدث بينهما من صدام فى جراج داندى مول قبل شهور (حين كان غائباً عن الوعى، وتدخل إكتوبلازمه بإرادة ذاتية منفردة لإنقاذ أمل من براثن زين، فغاص فى سياله الحيوى واستخرج منه مخاوفه وجسدها أمامه).

ثم ندت منها صيحة دهشة عندما رأته (السيال الحيوى) وقد تمدد وخرج منه (من حول الرأس تحديداً) ما يشبه حبلاً شرياً من البخار أحمر اللون امتد فى الفراغ بتلك الحركة البطيئة ليعبر فتحة نافذة السيارة.. يسبح فى الهواء المظلم.. يبلغ جسد زين المتشنج أرضاً، فيحيط رأسه بما يشبه سحابة دموية اللون.

زين الذى طفرت الدموع من عينيه.

وراء الباب.. باب زين الخشبى.. يقف الرجل طويل القامة، عريض المنكبين وعظام الفك. أسود الثياب، أشيب الشارب. نظرة مرعبة فى عينيه المخيفتين وحدهما من دون أى تعبير، وطرف الكرباج المستقر بين أصابعه الضخمة يتأرجح يمنةً ويسرة.

«ضربنى.. معلش.. آسف.. قولتله.. والله العظيم.. الكرباج.. ماما.. قوليله.. قوليله.. آخر مرة والله العظيم.. ماما.. قوليله.. ماما.. قوليله.. قوليله.. قوليله!!».

لماذا أمل؟.. لماذا تدخل سياله الحيوى للدفاع عنها

مرتين، مرة أمام المستشفى بمدينة نصر، والأخرى فى جراج داندى مول؟!

لا يعلم.. هو أصلاً لا يذكر أياً من الواقعتين المذكورتين عاليه، لأنه كان فاقداً لوعيه.

عضت أمل على شفتها السفلى بيأس وهى ترمق الفوهة التى تقترب منها حثيثاً.. لا شعورياً امتدت أصابعها لتحتضن كف الجسد المستكين فى المقعد المتحرك إلى جوارها.. أدارت عينيها له، لرأسه المائل على كتفه والملفوف بالضمادات.. اغرورقتا بالدموع وهى تهمس بلا معنى:

- متخافش.

لا يذكر، ولكن صوتها يهبط على مسامعه وقلبه برداً وسلاماً.. يستشعر حنانه الصادق، ويمتلئ بألفة لا يدرى لها سبباً.. كألفة صوت الأم لرضيعها.

كهفها؟ مختلف بالتأكيد عن كهوف الآخرين.. أقل عتمة.. أقل عطناً.. وباستثناء المخاوف الإنسانية المشتركة التى تمرح بين شقوق الجدران الصخرية، فلا يوجد خوف استثنائى ما..

الباب؟ الحاجز الذى تدارى به كابوسها الأكبر عن عقلها الواعى؟ موجود.. وكاد رفعت أن يمسح على أخشابه بكفه ليرى ما وراءه، ولكن أصابعه تجمدت فى الفراغ قبل أن تلمس الأنسجة الخشنة.

لا يعرف كم مر عليه من الوقت، جالساً قبالتها، يرمق ملامحها الهادئة من طرف خفى، بينما سياله الحيوى

ممتزج بسيالها، ووعيه يقف متجمداً أمام الباب الخشبى العملاق داخل كهف مخاوفها.

فى النهاية، ومن دون أن يدرى لماذا، خفض كفه ببطء، ألقى نظرة طويلة على الباب من أسفل لأعلى، خُيل له أنه يرى ظِلاً يقف وراءه، قبل أن يستدير مبتعداً.

طرقات خافتة على باب حجرته.. طرقاتها.. يعلم جيداً من قبل أن تطرق الباب أصلاً..

تفتح الباب من دون أن تنتظر إذناً، يلتفت لها.. يرمقها بصمت من وراء منظاره الداكن.. الملامح المنهكة الملأى بالتجاعيد، والعينان المتقدتان بحيوية كالطاقة، لا تفنى ولا تستحدث من العدم.

- عامل ايه؟

تسأله برقة، فيجيبها بهزة رأس وشبح ابتسامة يغزو شفتيه الممتلئتين.

- محمود تحت.. مش هتنزل تقعد معانا؟

هزة رأس أخرى، تنهدت على إثرها.. خطت خطوتين، ثم جلست على طرف الفراش مطرقة برأسها أرضاً.

تفرس فى وجهها الذى اختفى معظمه بسبب زاوية ميل رأسها لأسفل.. يسمع بوضوح أنفاسها الثقيلة تتردد فى صدرها، وتمتزج بدقات قلبها المتسارعة.

بنعومة، انساب سياله الحيوى داخل كهفها.. بسهولة قرأ مشاعرها.. ليس انفعالها هذا خوفاً بالمعنى الذى خبره جيداً فى كهفها وكهوف الآخرين مذ بدأ يتحسس

قدرته الجديدة، بل هو إلى الترقب أقرب.. توتر، ربما.. قلق!

لم يحسب كم من الوقت مر عليهما، هى فى صمتها، وهو فى استشفافه لمشاعرها، حتى فوجئ بها ترفع عينيها إليه، ترمقه بنظرة طويلة، قبل أن تغمغم وكأنها تحدث نفسها:

- من شوية حصلت حادثة.. حادثة قطر.

التقت الخليتان البصريتان فى محجرى جمجمته، بعينيها الشاردتين، فلم يبدُ عليها وكأنها تراه.. شعر بالدهشة إذ ميز ما بَدا له دموعاً محتشدة فى عينيها.

- مئات الضحايا.. قتلى وجرحى ومصابين.

وثَبتت عينيها الملتمعتين عليه مستطردة:

- بسببنا.

*****

(تسجيل هولوجرامى قديم):

- إزيِك يا حياة؟

-كويِسة.

....

....

- (بابتسامة هادئة): خلاص زهِقتى مننا؟

-(تبتسم).

-(يقلب فى الصفحات الهولوجرامية أمامه): ريبورت الدكتور بتاعِك بيقول انِك اتخلصتى من.. من الكوابيس ومن حالة الهلاوس السمعية المزمنة.. فيه تجاوب كويس مع كورسات العلاج وتقدم فى تدريبات استعادة السيطرة.. و.. بيوصى بخروجِك فى أقرب وقت ممكن.

-.................

-بتحلمى بكوابيس يا حياة؟

(ضحكة خافتة): - No dreams.. بَنام زى اللوح.

(يبتسم لدعابتها): - طب والأصوات؟

-(محتفظة بابتسامتها).

-لسه بتسمعى الـ (ينظر فى صفحات التقرير)..

-(محتفظة بابتسامتها)..

-(يدير عينيه إليها): الأنين؟!

لحظات من الصمت..

- (بذات الابتسامة): لأ.

*****

(تسجيل هولوجرامى لكاميرا السيكيوريتى المثبتة عند بوابة مدخل مركز «أبو زيد» لعلاج الأمراض النفسية والعصبية):

ينزلق الباب الزجاجى الداكن بنعومة.. تغادر حياة بخطوات بطيئة، وإلى جوارها يسير أحد الموظفين فى يونيفورم المستشفى حاملاً حقيبتها.. تتوقف أعلى الدَرَج الرخامى العريض المؤدى للحديقة مترامية الأطراف الممتدة حول مبنى المستشفى.

تدور عيناها فى المساحات الخضراء اليانعة التى تتخللها طرق أسفلتية وممرات للمشاة، وتتوقف على السيارة المرسيدس الفاخرة المتوقفة على بعد أمتار من نهاية السلالم الرخامية، وإلى جوارها السائق فى زيه الرسمى، وbodyguard فارع القامة فى بذلة سوداء ومنظار شمسى داكن.

رمقتهم بنظرة طويلة من عينين خاويتين، ثم أدارتهما -العينين- إلى موتوسيكل هارلى حديث على الطرف الآخر، يرتكن إليه شاب عشرينى ممتلئ الجسد.

يلوح لها بمرح بذراعٍ غطاه الوشم.. تنقل بصرها بينهما، ثم تهبط السلالم.

الموظف يتبعها، يثبت الحقيبة إلى الموتوسيكل، يبتعد بينما هى تعانق الشاب.

سائق السيارة والحارس الخاص يرمقان المشهد بنظرات محايدة من دون أى تدخل، وكأنهما يفعلان وفقاً لتعليمات مسبقة.. وعندما يريانها تعتلى صهوة

الموتوسيكل، وتحيط جسد رفيقها بذراعيها، يعودان إلى سيارتهما، وينطلقان بها فى إثرهما.

*****

الضوء الخافت المنبعث من خلايا غير مرئية فى مواضع من خطوط التقاء السقف بالجدران، بدد قليلاً من ظلمة تلك القاعة متوسطة الحجم التى تمدد فى مركزها المهندس سامر شهاب، المدير التِقَنى لـ Egy-Nergy على مقعدٍ مستطيل وثير كأنه صُمِمَ خصيصاً ليناسب جسده. عيناه فاغرتان مثبتتان على هولوجرام لمجموعة من الحلقات والنقاط راحت تتداخل وتتباعد أمامه فى الفراغ بنعومة أخاذة، ناسبها تماماً ذلك الصفير الخافت المنغوم الذى انبعث من اللامكان.

شعر المهندس سامر بالخدر يسرى فى جسده، رأسه تزداد ثقلاً، وجفناه يزنان أطناناً. بذل مجهوداً جباراً لينتزعهما، غير أن الحركة الناعمة الانسيابية للأشكال والألوان المتداخلة، والصفير الخافت الذى راح يداعب أذنيه برفق، استلبا إرادته استلاباً، فلم يدر بنفسه إلا ورأسه -التى التصقت بها الأقطاب ذات الأسلاك فى مواضع عديدة- تهوى على صدره.

وخلف الزجاج العازل، نهض آدم المصرى من مقعده، فنهض عمرو بدوره، وخطا الأول نحو الزجاج المطل على القاعة شبه المظلمة.. ألقى نظرة طويلة على الجسد الممدد بمنتصفها والذى تحول فى الظلام لكتلة مبهمة مطموسة المعالم، ثم التفت إلى الدكتور أنَس الزهيرى، أستاذ الطب النفسى بجامعة الثالث من يوليو والمستشار السايكولوجى بقسم التحقيقات بالشركة،

وتساءل:

- أودامنا كتير؟

قال الدكتور الأربعينى دقيق الجسد، وهو يرمق الإشارات التى تنقلها الأقطاب حول رأس سامر إلى الشاشات الهولوجرامية الثلاث أمامه:

- لحظة من فضلك.

ثم رفع عقيرته:

- Report..

تردد صوت الكمبيوتر ذو النبرات الأنثوية، مجيباً:

- الضغط ١٢٠/٨٠.. النبض ٧٥..

تابع الدكتور أنَس:

- وإشارات تخطيط المخ ideal.. دى أعلى درجة من درجات التنويم المغناطيسى.

ورفع عينيه إلى آدم وعمرو مستطرداً:

- أقدر اقول لكم انه جاهز.

سأله آدم باهتمام:

- هيقولنا على المعلومات اللى عايزين نعرفها؟

أشار أنَس إلى رأسه مجيباً:

- دا متوقف على المدخل اللى هندخل دماغه منه.

-أنا شَرحتِلَك إيه المطلوب بالظبط.

-وهَبدأ حالاً، مستر آدم.. من فضلك.

وأشار بكفه نحو المقعدين القريبين، ولكن آدم لم يتحرك من مكانه قيد أنملة، فقط أدار رأسه للزجاج الفاصل، بينما أطاع عمرو وعاد ليستقر فى مقعده.

عاد أنَس لشاشاته بوجه ممتعض، ألقى نظرة أخيرة على مؤشراتها، ثم جرت أصابعه بسرعة على الأزرار المتراصة أسفلها.. تشكَل هولوجرام بالحجم الطبيعى لجسد سامر الذى تدلى رأسه على صدره، وسال خيط من اللعاب من فمه المفتوح ليغرق صدر قميصه.

- باشمهندس سامر.. انت سامعنى؟

مرت لحظة بطيئة طويلة، قبل أن يهز سامر رأسه بحركة واهنة.

- سامعنى يا سامر؟

لحظة أخرى ثقيلة، ثم ارتعشت شفته السفلى، وهو يجيب بخفوت:

- سامعَك.

تردد صوته واضحاً، رغم خفوته، عبر نظام الصوت، فنَدَت تنهيدة من صدر عمرو فضحت توتره، بينما تجمد آدم فى مكانه كتمثال.

- هَسألَك، وعاوزَك تجاوبنى بصراحة.

إيماءة واهنة.

- إنتَ الـ Technical Manager لـ E. N؟

إيماءة واهنة.

- المسئول الأول عن برنامج الشرائح الرقمية المنظمة لتدفق الطاقة من الأنابيب اللى بتنتجها الشركة؟

إيماءة واهنة.

- حد غيرك يقدر يدخل البرنامج الرئيسى للشرائح الرقمية؟

مَرَت لحظة جديدة من الصمت، قبل أن يسمعوا صوته يقول ببطء:

- الـ assistants بتوعى.

-ويغيروا فى معادلاته؟

-البرنامج مش هيقبل أى تغيير بدون تصديق الكود الشخصى بتاعى.

تبادل آدم وعمرو نظرة سريعة، ثم التقت عيناهما بعينى أنَس الذى أومأ له آدم، فعاد إلى سامر يسأله:

- إنتَ المسئول عن التغيير الأخير اللى حصل فى معادلات التحكم فى معدل تدفق الطاقة من الأنابيب؟

فترة أطول من الصمت، ثم أومأ ببطء مجيباً.. إنقبضت أصابع عمرو، بينما لم يبدُ أى انفعال يُذكَر على صفحة وجه آدم.

- ليه عَمَلت كدا؟

لم يرد سامر.. ظل صامتاً وكأنه لم يسمع السؤال.

- سامعنى يا د. سامر؟

إيماءة واهنة.

- ليه غيرت معادلات التحكم فى معدل تدفق الطاقة من الأنابيب؟

لا رد مجدداً.

- د. سامر، جاوب سؤالى.. إيه اللى خلاك تغير معادلات التحكم فى معدل تدفق الطاقة من الأنابيب؟

هنا، لاحظوا جميعاً الرعشة التى بدأت، تدريجياً، تغزو شفتيه وأطراف أصابعه.. حدقوا مندهشين فى ملامح

وجهه الهولوجرامية التى تقلصت، وعينيه اللتين اتسعتا وأطل منهما فزع واضح.

- ميادة..

خرجت هامسة متحشرجة من بين شفتيه المرتعشتين، فانتزعت أنَس من دهشته، وقفزت أصابعه لتعبر سريعاً على لوحة الأزرار.

حدق آدم وعمرو بدهشة فى الهولوجرام الجديد الذى انبعث بغتة فى الفراغ، وتمتم عمرو متسائلاً:

- إيه دا؟!!

الصور مشوشة متوالية بسرعة شديدة عجزت أعينهم عن تمييز أى شيء منها.

- ميادة..

غمغم أنَس محدقاً فى الهولوجرام المتغير:

- دى الصور المختزنة فى ذاكرته.. أخفاها عقله الباطن عنه، واستدعاها عقله الواعى كإجابة على سؤالى.

حدق آدم بعينين ملتمعتين فى الصور المتوالية بسرعة خاطفة وهو يسأل:

- وليه عقله الباطن بيخفى حاجة زى دى عن عقله الواعى؟

-ميادة!!

أشار أنَس بسبابته إلى هولوجرام سامر الذى اجتاحت الرعشة جسده بالكامل، وقال:

- واضح ان إجابة السؤال مرتبطة بخبرة مخيفة مر بيها، ومتعلقة بشخص يهمه.. اللى هو ميادة.

قاطعه عمرو:

- بنته الوحيدة.

أومأ أنَس برأسه متابعاً:

-وعقله الباطن، كإجراء دفاعى، أزاح الخبرة دى للمنطقة المظلمة من الذاكرة.. وتحت تأثير التنويم المغناطيسى، اضطر يدفع بيها تانى للقشرة الواعية.

ضاقت حدقتا آدم وهو يتفرس فى الصور المتتابعة فى الفراغ، ومن دون أن يلحظ خفتت من حوله أصوات أنَس وعمرو وسامر الذى تحولت حشرجته لصراخ مدو.

وتدريجياً، بدأت الصور تتباطأ أمام شبكيتيه مع بدء عقله اعتياد إيقاعها.

- ميادة!!

تردد صوت الكمبيوتر أنثوى النبرات:

-الضغط ١٦٠/٩٠.. والنبض ١٠٧/دقيقة.

بصعوبة، استطاع آدم تمييز صورة لفتاة مراهقة فى عقدها الثانى، تصرخ بفزع وعلى وجهها أعتى علامات الألم، بينما ألسنة من النار تلتهم جلدها وثيابها.

- ميادة!!

من أعماق بئر سحيق، سمع د. أنَس يهتف:

- ضربات القلب سريعة!

صورة لكرة هائلة من اللهب تتصاعد من صفوف متراصة لعددٍ لا نهائى من أنابيب الطاقة.

- ميادة!!

-الضغط ١٨٠/١٠٠.. النبض ١٢٣/دقيقة.

- قلبه هَيقف.. لازم يصحى.

صورة لعدادات تتقافز مؤشراتها بجنون.

- ميادة!!

عمرو يصيح من بعيد:

- إستنى..

-الضغط ١٢٠/٢٠٠.. النبض ١٣١/دقيقة.

صورة مهزوزة لامرأة ثلاثينية فى ثوب وردى قصير.

- بسرعة نص أمبول لانوكسين.

صورة لجسد نحيف يحمل رأساً دقيقاً يغطى نصفه منظار داكن.

- وأمبول لازكس ٢٠ مم.

الأذرع الأوتوماتيكية تتحرك بسرعة ودقة حول الجسد المتشنج الممدد فى قلب القاعة شبه المظلمة.. الإبر تنغرس فى أوردة الذراعين.. السوائل الشفافة تنساب لتمتزج بدمائه.

*****

لم يَدر آدم كم ظل من الوقت جالساً إلى مكتبه، يتفحص اللقطات الهولوجرامية المسجلة التى تم انتزاعها من ذاكرة سامر، الواحدة تلو الأخرى.. فقط انتبه على صوت هاتفه يعلنه بورود اتصال تليفونى من مدير مكتبه.. أدار عينيه فى المكان، فوقعتا على الظلام الذى خيم على الفراغ خارج نافذة المكتب العريضة.. ألقى نظرة على أرقام ساعته ليحصى الوقت الذى مر مُذ غادر معمل السايكولوجى الملحق بالطابق الثالث من

مبنى الشركة عائداً إلى مكتبه.. تمطى وهو يقول متثائباً:

- Answer..

تَشَكل هولوجرام عمرو عزام على مسافة مناسبة من المكتب.

- مساء الخير يا مستر آدم.

-إيه جديد يا عمرو؟

تنهد الشاب قائلاً:

- أخبار مش لطيفة، مستر آدم.. التخريب اللى جرى لبرنامج شرائح تنظيم تدفق الطاقة حصل من ٤ أيام و٧ ساعات تقريباً.. خلال الأيام دى تم إنتاج وتعبئة آلاف الأنابيب بأحجام وسِعات مختلفة.. ٤٠٪ منها دخلت الـ stores والـ ٦٠٪ الباقيين تم توزيعهم على طلبيات للسويدى وبهجت جروب وميفكو حلوان.. دا طبعاً غير البضاعة اللى اتصدرِت بره.

لم يبدُ كثير انزعاج على ملامح أو لهجة آدم وهو يقول:

- وبعدين؟

-الـ Customer Service كلموهم وبلغوهم بالمشكلة، وبخطتنا لاستبدال الأنابيب التالفة، وتحملنا كافة التكاليف والخسائر.

وزفر مستطرداً:

- هَنتعوَر فـ مبلغ محترم.

قال آدم بشرود:

- دا شيء متوَقَع.

-قسم التحقيقات خلال دقائق هيبعَت ريبورت تحليل الداتا اللى استخرجناها من الباشمهندس سامر.

أومأ آدم برأسه وهو على شروده لا يزال، وتساءل:

- هوَ عامل ايه دلوقتى؟

-لسه تحت تأثير المهدئ.. (ينظر فى ساعته).. الدكتور أنَس طَمننى، مسألة وقت بس.

لم يعلق آدم، وساد الصمت للحظات ثم تساءل عمرو:

- معاليك وصلت لحاجة يا مستر آدم؟

-آه.

قالها آدم باقتضاب، ثم مد أصابعه لواحدة من اللقطات الهولوجرامية المسجلة، نقرها بسبابته، فتضاعف حجمها عِدة مرات مع احتفاظها بذات الدرجة من الريزوليوشن.

من مكتبه، عبر الاتصال التليفونى المرئى، حدَق عمرو فى اللقطة الهولوجرامية المكبرة، وميز رغم الظلال التى طمست أغلب تفاصيلها رجلاً وامرأة.. الرجل نحيف يغطى وجهه منظار داكن، والمرأة حسناء ملفوفة القوام.

نقرة أخرى جعلت الزووم يركز على الوجه النحيف المختفى وراء العدستين الداكنتين.

- مش بتشبِه عليه؟

تفرس عمرو للحظات فى البشرة السمراء، والزغب الذي يعلو الشفتين الغليظتين، قبل أن يرتفع حاجباه وهو يردد بدهشة:

- البطارية!

انبعث أمامه فى اللحظة التالية هولوجرام لصورة رِفعت فى تقرير التشغيل الذى أُعِدَ له قبيل إدخاله لماكينة انتزاع السيال الحيوى منذ شهور.. نقل بصره بين الهولوجرامين، بينما آدم يقول:

- دا يفسرلنا سيل الصور، وحالة الفزع اللى أصابت سامر.

نقرة جديدة، فعاد مُجدداً الهولوجرام النحيف ذو المنظار تجاوره المرأة الحسناء.

- بآليةٍ ما، نفس الآلية اللى عرفوا بيها خطتنا ومسارات حملاتنا، قِدروا يوصلوا للبَشمُهَندِس سامر شهاب، الـ Technical manager بتاعنا.. الـ position والصلاحيات المترتبة عليه.. الداتا الشخصية الخاصة بيه.. حالته الاجتماعية.. عنوانه.

وصَمَت لحظة ثم أردف:

- وكانوا منتظرينه.

تساءل عمرو:

- علشان ايه؟

-عشان دا.

هولوجرام لكرة اللهب تتصاعد من صفوف متراصٍ بها عدد لا نهائى من أنابيب الطاقة.

- إيه دا؟!

-دى صورة الخطر اللى إكتوبلازم البطارية اللى هربت مننا زرعها فى عقله.. الخطر اللى بيهدد أغلى حاجة فـ

حياته.

نقرة، هولوجرام الفتاة المراهقة فى عقدها الثانى، تصرخ بفزع وعلى وجهها أعتى علامات الألم، بينما ألسنة من اللهب تلتهم جلدها وثيابها.

- ميادة.

كرر آدم:

- بنته الوحيدة.

نقل عمرو بصره مأخوذاً بين هولوجرام الصور المنتزعة من ذاكرة سامر، وبين هولوجرام رئيسه الذى تابع:

-سامر خوفه على بنته اتجسِد فى عقله.. شافها بتتحرق حية، واتزرع فى عقله ان دا حصل بسبب ارتفاع تدفق الطاقة فى الأنابيب اللى شركتنا بتنتجها.. فعشان يحمى بنته، غير بلا وعى، فى معادلات برنامج الشرائح الرقمية اللى بتنظم تدفق الطاقة.. خلاها تتسبب فى تسريع معدل تدفق الطاقة وبالتالى إهدارها بمجرد تشغيل البطارية.

صمت عمرو متفكراً للحظات، قبل أن يهز رأسه قائلاً:

- Excuse me مستر آدم.. تحليلَك رغم غرابته، أنيق.. لكنه لا دليل مادى عليه.

قال آدم بهدوء:

- الدليل هو البنت اللى معاه.

ونقر بسبابته إحدى الصور الهولوجرامية، فتضاعف حجمها عدة مرات، ووجد عمرو نفسه يحدق فى الفتاة

الحسناء ذات الثوب الوردى القصير، المرافقة لـ ذى المنظار.. تساءل:

- مين دى؟!

-الباشمُهَندِسة إيمان عرفة.

ضاقت حدقتا عمرو، بينما آدم يتابع:

- بنت اخت أمل الشافعى، والإسم التالت على اللايحة بتاعتنا.

*****

انطلقت السيارة الرولزرويس الفاخرة عبر شوارع مانهاتن الخالية فى هذه الساعة المتأخرة من الليل، إلا من عدد من مدرعات الجيش التى اعتادت الانتشار منذ أعلن الرئيس الأمريكى بدء تطبيق الأحكام العرفية قبل أشهر لمواجهة التظاهرات التى اندلعت فى الفترة الأخيرة بسبب أزمة الطاقة، وتصاعدت حدتها حتى كادت تهدد بدفع البلاد لنفق من الفوضى.

داخل السيارة الفاخرة (التى حملت على زجاجها الأمامى ملصقاً يمثل جواز مرور باعتبار صاحبها واحداً من أصحاب السلطة الرابعة كما ينص الدستور الأميركى) غاص الجسد الخمسينى المنهك، فضى شعر الرأس والصدر، للسيد روبرت آتوود الصحفى الشهير بالواشنطن بوست، فى الأريكة الخلفية الوثيرة.

رَشَف باستمتاع من كأس المارتينى المعلق بين أصابعه، ثم نظر إلى هولوجرام آن، سكرتيرته الشابة الشقراء، التى مكثت بانتظاره على خط الهاتف بملامح عابسة.

قال لها بمرح:

- هل تقابلين بيلى دوماً بهذا الوجه السيئ؟!

هزت رأسها الأشقر قائلة:

- بيلى لا يستقبل أنباءه السيئة بهذا الوجه السعيد، مستر آتوود.

-ومن يفعل يا حلوتى؟!

أشارت بسبابتها وهى تقول:

- أنتَ تفعل يا سيدى، وإنكَ لتدهشنى بالفعل!

استرخى بجسده قائلاً بابتسامة عابثة:

- لِمَ؟

قالت بجدية:

- مناقشة قانون الآلة بالأمم المتحدة ستبدأ بعد بضع ساعات، وكل المؤشرات تشير لأن كفة التصويت ستميل لتمرير التعديلات الجديدة التى طلبها مندوب الولايات المتحدة، رغم كل ما بذلناه من جهود وأموال، وكل الحركات الاحتجاجية حول العالم.

- So؟!

- So! أتوقع أن أراك حزيناً أو قلقاً.. لقد خسرنا معركتنا، مستر آتوود.

تناول سيجاراً من علبة قريبة، قضم طرفه، أشعله بينما هى ترمقه مندهشة.. ابتسم لدهشتها وقال:

- وهل كنتِ تتوقعين مساراً آخر، عزيزتى آن؟

ونفث دخان السيجار باستمتاع مردفاً:

- هذه مجرد جولة، وليست نهاية المعركة.

-لا أفهمك حقاً، مستر آتوود.

ابتسم مجدداً:

- أنتِ حديثة العهد بهذه المعارك يا صغيرتى، بينما هى –هذه المعارك- عملى منذ ما يزيد عن الربع قرن.

-ولكن..

-المعركة معركة نَفَس طويل.. نحن نحارب ضد كيانات

عملاقة ترفع لافتات براقة تخطف الأبصار.. طبيعى بسبب هذا البريق الخادع أن يربح خصومنا جولة أو اثنتين فى بادئ الأمر، قبل أن ينتصر منطقنا نحن، الراسخ، فى الجولة الأخيرة.

تساءلت بحيرة:

- حتى بعد إمرار التعديلات إياها؟!

(ينفث دخان سيجاره): - ثقى بالرجل العجوز، عزيزتى آن.. لقد حققت جهودنا المطلوب بالضبط فى هذه المرحلة، وقريباً جداً ستشتعل الشوارع فى كل المدن ضد أصدقائنا فى The Eye ولن تفيدهم وحلفاءهم، هذه التعديلات أو غيرها.

هزت رأسها بغير اقتناع قائلة:

-كما ترى، مستر آتوود.

-أراكِ غداً فى المكتب يا عزيزتى.

أنهى الاتصال، وتأمل شاشة الكمبيوتر الهولوجرامية أمامه، والتى حملت شيكاً مجسماً لا تقل أرقامه عن الأصفار الستة.. غمغم مبتهجاً:

- حققت جهودنا المطلوب بالضبط، عزيزتى آن.

ورفع عقيرته آمراً كمبيوتر السيارة:

- ميوزيك.

تساءل الكمبيوتر بصوت هادئ مهذب:

- هل يفضل سيدى موسيقى معينة؟

تفكر قليلاً، ثم أجاب بعد رشفة أخرى من المارتينى:

- كلاسيك.. ليكُن كات ستيفنز.

انبعثت أغنية كات ستيفنز «عالم قاسٍ يا صغيرتى» عبر سماعات الساوند سيستم الموزعة فى المكان.

- تهانئى، مستر آتوود.

رفع رأسه محدقاً بدهشة فى اللاشيء.. ردد:

- تهانِئَك!!

تكلم الكمبيوتر بنفس الصوت الرتيب المهذب، قائلاً:

- الملايين العشرة التى انتقلت لحسابك من مؤسسة T.A.D. صباح اليوم، لقاء جهودك الحثيثة فى عرقلة مشروع تعديلات قانون الآلة.

نظر آتوود بذهول إلى الهولوجرام الذى تكون أمامه فى الفراغ لصفحة حسابه السرى بأحد البنوك السويسرية، وتضاعف ذهوله عندما سمع صوته هو نفسه مسجلاً يتردد حاملاً العبارة التى لفظها قبل ثوان «حققت جهودنا المطلوب بالضبط، عزيزتى آن»!!

تلفت حوله بفزع وهو يردد:

- من؟! من يتحدث؟!

*****

تقرير بموقع Fox News:

«انعقدت أمس فى أجواء عاصفة، الجلسة المنتظرة للجمعية العامة للأمم المتحدة، بطلب خاص من مندوب الولايات المتحدة الأمريكية، بناءً على قرار تبنته الأغلبية بالكونجرس الأمريكى.

الجلسة كما يعرف القاصى والدانى لمناقشة مشروع التعديلات المقترحة من الجانب الأمريكى على قانون الآلة. التعديلات المكونة من عدد من البنود، أهمها وأكثرها إثارة للجدل هو التوصية برفع الحد الأقصى لوحدات الـ A.I المسموح بدعم أجهزة الكمبيوتر بها من المستوى الرابع للمستوى السادس.

قوبِلَت تلك التوصية، بمجرد وصولها للإعلام، بمعارضة واسعة من عدد كبير من المؤسسات والمنظمات الأهلية، وعلى رأسها منظمة HAM (Humans Against Machines) التى تزعمت الحركة الاحتجاجية المناهضة لمشروع التعديلات من البداية، وأثارت المخاوف القديمة حول خطورة منح الآلة إرادة مستقلة، والتى دفعت الجمعية العامة للأمم المتحدة لحظر إنتاج الـ robots وقصر مستوى الذكاء الصناعى المسموح به للآلات على المستوى الرابع.

بالأمس، ورغم الجدل الشديد وآلاف المقالات والتظاهرات والاعتصامات والفعاليات حول العالم، والمناهضة للمقترح الأمريكى، إلا أن قرار الجمعية

العامة جاء بالموافقة على هذا المقترح، وتوصية المشرع بتعديل عدد من مواد قانون الآلة، وإضافة عدد آخر من المواد، منها المادة المثيرة للجدل إياها.

(صور للاشتباكات فى عدد من العواصم، ولينكات لمقاطع فيديو على يوتيوب).

أثار القرار موجة عارمة من الاعتراضات، واندلعت مظاهرات فى العديد من مدن وعواصم العالم، وتطور الكثير منها لأعمال شغب واشتباكات تفاوتت درجتها وعنفها مع قوات الشرطة والجيش ومكافحة الشغب.. وتعالت أصوات ربطت بين الموافقة الأممية على تعديلات قانون الآلة، ومصرع روبرت آتوود، الصحفى الشهير بالواشنطن بوست، والذى كان أحد أعلى الأصوات المناهضة لهذا التعديل.

(صورة لـ آتوود، ولينكات لبعض مقالاته على مواقع مختلفة).

جدير بالذكر أن آتوود (٥٧ عاماً) لقى مصرعه فى حادث سيارة بولاية أريزونا قبل أيام، إذ فقد سائقه سيطرته عليها، فانحرفت لتسقط براكبيها فى بحيرة هافاسو... وخرج تقرير التشريح ليؤكد وجود نسبة عالية من أحد العقاقير المخدرة فى أنسجة السائق، تشير لتعاطيه إياها قبيل الحادث بفترة بسيطة، الأمر الذى رفع الصفة الجنائية عن الحادث. ورغم ذلك لم تتوقف الأصوات عن كيل الاتهامات لخصوم آتوود المستفيدين من تعديلات قانون الآلة، وعلى رأسهم

مجموعة The Eye التى أصدرت بياناً تنعى فيه الصحفى الراحل وتعلن براءتها مما أثير حولها من اتهامات.

ولكن فيما يبدو أن خروج آتوود من الساحة بهذه الطريقة، رغم عدم وجود تهمة محددة معلنة، أثار مخاوف عدد من المنظمات والمؤسسات المناهضة لتعديل قانون الآلة، فتراجعت لسببٍ غير مفهوم عن الحشد الجماهيرى والقانونى ضد إقرار التعديلات، ويُرجِع بعض المراقبين هذا التراجع إلى ما أثير عن معاملات مالية من تحت المائدة بين آتوود وفريقه، ومؤسسات بعينها مستفيدة من بقاء قانون الآلة على حاله الراهن، الأمر الذى ألقى بظلال من الشك حول أهداف الحراك المناهض ككل.

من جهته رَحَب المستر مورجان سميث، نائب رئيس مجلس إدارة مجموعة The Eye بإقرار تعديلات قانون الآلة، ووصفها بأنها خطوة تاريخية للأمام من أجل عالم أفضل، وأكد على أن التحديات الضخمة التى تواجه عالمنا تتطلب قدراً أعلى من الجرأة والمرونة فى اتخاذ الخطوات المطلوبة لمواجهتها، ولم يَنس أن يسخر من المخاوف المتعلقة بمنح الآلة إرادتها المستقلة برفع معدل ذكاءها من ٤ لـ ٦.. مؤكداً على عدم وجود أى خطر جراء ذلك، وأن مستقبل عالمنا لا ينبغى أن يبقى رهناً لهواجس، المستفيدون الوحيدون من ورائها هم ستوديوهات Marvel و DC.

بناءً على الإقرار الذى تم بجلسة الأمس، تم توجيه التوصية للمشرع لإدماج التعديلات المقترحة ورفعها للجمعية العامة خلال إسبوع واحد لاعتمادها، ليتم بعدها بدء العمل بها».

*****

بغير اكتراث حقيقى، ظل يحيى الجوهرى يتابع الشاشة الهولوجرامية التى تتوسط الكافيه، عارضة فيلماً كوميدياً قديماً لـ ماجد وفهمى وشيكو، أيام أن كانوا ثلاثياً قبل انفصالهم. لربما أفلتت منه ضحكة أو ضحكتان، رغم أنه شاهد الفيلم عشرات إن لم تكُ مئات المرات، ويحفظ إيفيهاته عن ظهر قلب، إلا أنه سرعان ما تنسحب عيناه المنهكتان عسليتا اللون، وتذوبان فى عالم غير مرئى.

رفع مبسم الشيشة إلى شفتيه المحاطتين بلحية خفيفة انتشر البياض بين شعيراتها القصيرة، سحب نفساً منها، وهو يدور بعينيه بلا هدف فى الزخم المحيط به من رواد من مختلف الأعمار، وإن غلَبت نسبة الشباب من الجنسين، ثم أطلق سحابة من الدخان عطر الرائحة من طاقتى أنفه.. ومن آنٍ لآخر يرشف من مَج من الشاى يتصاعد منه البخار، ويخطف نظرة على شاشة هاتفه الشخصى المستقر على المنضدة الخشبية الأنيقة.

- ولِعَة.

قالها مجيباً على فتى الشيشة الذى اقترب منه متسائلاً إن كان يبغى خِدمة معينة.. أطاعه الفتى، وبينما كان يضيف المزيد من الفحم المشتعل للشيشة، سمع يحيى الرنين المميز لهاتفه الشخصى.. وثبت عينه بلهفة إلى الاسم والصورة اللذان ارتسما أمامه فى

الفراغ، يراهما وحده بفضل العدسة اللاصقة الذكية المتصلة بالهاتف، والتى يثبتها إلى عينه اليُمنى قبل خروجه من منزله، وسرعان ما خَبَت اللهفة فى الثانية التالية، هز رأسه شاكراً للشاب الذى أنهى عمله.

- Answer.

تجسد فى الفراغ أمامه هولوجرام لزوجته بعباءتها المطرزة، وحجابها الأنيق.

- يحيى، انتَ فين دلوقتى؟

سمع سؤالها من خلال السماعة الدقيقة المثبتة إلى أذنه، فنفث المزيد من الدخان المعطَر، وأجاب:

- أنا قاعد على «ألف ليلة وليلة» فـ الدور التانى.. خَلصتى؟

- أنا خلاص داخلة على الكاشير.. إطلَع يالا هات مريومة من Magic Galaxy وهَنقابلكوا فالـ food court.

-تقابلونا؟!

تحركت حدقتاها يميناً وكأنها ترمق أحداً عن كثَب، وهَمَسَت:

- أنا قابلت نادين.

ردد مندهشاً:

-نادين!!

-لقيتها فـ وِشى فـ «بيبى مبسوط».. اتكلمنا شوية، فشبطِت فيا، وهاتَك يا رغى.

(متضايقاً): - ما تخلعى منها يا رضوى.. قوليلها انى

مستنيكى عشان ندخل السنيما.

همست:

-الصراحة، صعبت عليا.. شكلها متدمر وعينيها منفخة م العياط، واضح ان صلاح زوِدها معاها المرادى.

قال من بين أسنانه:

-فقولتى بَدَل ما تدخلى معايا الفيلم، تقعدى أحسن تسمعى الفيلم بتاعها لايف.

-والله لو شوفتها هَتصعب عليك.. معلش يا بيبى، خلينا نكسب فيها ثواب، واذا كان على الفيلم فانا هَشتريهولك أون لاين وتسهر تتفرج عليه براحتك.

-أسهر!؟

-نسهر، نسهر.

تنهد قائلاً:

- ماشى.

قالت بعجالة:

-ميرسى.. يالا باى دلوقتى عشان اهى خلصت الكاشير وجاية عليا.. اشوفكو فـ **food court**.

أنهى المكالمة، وأشار للجرسون.. نَقده ثمن مشروبه وشيشته، ونهض مغادراً، سار بضعة خطوات خارج الكافيه فى البهو هائل الحجم للمول المزدحم، قبل أن تنبعث نغمة هاتفه فى السماعة الدقيقة مجدداً، ممتزجة بصوت كمبيوتر الهاتف يخبره بهوية المتصل.. أسرع يأمره بالإيجاب، وسرعان ما تشكل أمامه وحده، عبر العدسة، هولوجرام لشاب عشرينى يرتدى بذلة كاملة.

- مستر يحيى.

بادره يحيى:

-خلينى انصحَك نصيحة يا حسين.

نظر له الشاب بدهشة وقال:

- اتفضل.

-إوعى.. إوعى.. ترتبط بإنسانة مبتجِبش السنيما.

ردد الشاب غير فاهم:

- أفندم مستر يحيى؟!

هز يحيى رأسه وكأنما يتخلص من موده، وتساءل بنبرة عملية:

- عملت إيه فـ الانترفيو؟

أجابه الشاب على الفور:

- لسه خارج من عندهم.. عايزين ٢٥٪ زيادة، مستر يحيى.

ردد يحيى باستنكار:

- ٢٥٪ دا عند امهم!!

هز هولوجرام الشاب رأسه بينما يقول:

- الشوبكى عارف كويس اننا محتاجين العملية دى، وان بدل الشركة ١٠٠٠ غيرنا طمعانين فيها، بالذات فـ وسط القلق اللى حاصل فـ البلد اليومين دول.

لوَح يحيى بكفيه مشيراً للمكان الصاخب من حوله:

- مالها البلد بس؟! ما اهى زى الفُل اهو!

ارتسمت نصف ابتسامة شاحبة على شفتى الشاب وهو يقول:

- مش كل البلد عليها سلوجان الفُطيم يا مستر يحيى.

- ولو.. ٢٥٪ معناها اننا هَنخسر، والشوبكى فاهم دا، وضرب فـ العالى عشان يعرف يساومنا على نسبة أقل.. هتلاقيه بيفكر فـ ١٥٪ والا حاجة، واحنا ممكن ننزل بيها لـ ١٠٪ لو خَدنا وادينا معاه.

-حاوِلت والله معاه يا مسـ..

لم يسمع يحيى بقية عبارته.

خيل له بغتة أن أحدهم ضغط ريموت كونترول، فَخَفَت بشِدة صوت محدثه الشاب وأصوات الضجيج المحيط به، وشعر برأسه يدور بسرعة.. فتح فمه محاولاً قول شيء ما، ولكن ساقيه لانتا فجأة، ولم يدر بنفسه والأرض تميد به، لتتلقفه أذرع مجاورة.

- إيه اللى حَصَل؟!

تساءل بوهن وهو يدير عينين منهكتين فى الوجوه المطلة عليه من عَلٍ إذ تمدد على بلاطات المول، فأجابته أصوات متداخلة فَهِمَ منها بصعوبة أن دواراً ألَمَ به، وأنه غاب عن الوعى لثوانٍ معدودة.. علبة ريدبول باردة أُدنِيَت من شفتيه، فتجرع منها ما جعله يشعر بالحيوية تسرى مجدداً فى خلاياه.. نهض واقفاً وهو يوجه عبارات الشكر للمحيطين الذين عاونوه على النهوض، اقترب منه أحدهم، ومد يده نحوه قائلاً:

- تليفونك يا أستاذ.

انتبه فى هذه اللحظة إلى أن هاتفه المحمول ليس فى موضعه بحزامه.. تناوله وهو يشكر حامله بنصف انتباه

(إذ تذكر أن عليه الإسراع ليجلب طفلته) فلم يتوقف ليلحظ قامته الفارعة وعضلاته المنتفخة داخل بذلته الأنيقة، وملامحه المنحوتة من صخر قاس، تعلوها جُمة من شعر ناعم طويل يصل لأعلى منكبيه العريضين، وتحرك مبتعداً باتجاه المصاعد.

راقبه الرجل –حامل الهاتف- وهو يستقل أحدها للطوابق العليا، ثم اتجه بدوره إلى مصعدٍ آخر هبط به بنعومة للطابق الخامس تحت الأرض، حيث سار بين آلاف السيارات المنتظمة فى صفوف بجراج المول حتى بلغ سيارة ماتريكس داكنة، فتح بابها الأمامى الأيمن، واستقر فى المقعد المجاور لمقعد السائق الذى احتله فارع قامة آخر فى بذلة سوداء مماثلة، حليق الرأس تماماً، وتشق جانب رأسه ندبة واضحة.

- عَدينا الـ protection والا لسه؟

- done.

أجابه حليق الرأس وهو يراقب سيلاً منهمراً من الأرقام والرموز والصور ينهمر على شاشة هولوجرامية أمامه، وأومأ إليها مستطرداً:

- كل محتويات تليفونه وحساباته وبريده الأليكترونى.

ونَقَر موضعاً من الشاشة، فارتفع صوت يحيى عبر مكبر الصوت محدثاً مساعده الشاب.

«أول مرة تِحصَلى الدوخة دى يا حسين! لا انا الحمد لله كويس دلوقتى.. إشطة، سيبلى الشوبكى انا هَعرف اخلَص معاه».

أخرج الآخر ذو الشعر الطويل علبة اسطوانية من جيب قميصه، وضعها فى تابلوه السيارة.. رمقها حليق الرأس بطرف عينه متسائلاً:

- القرص اشتغل بعد أد إيه؟

- ٤٠ ثانية بالظبط بمجرد ما لَمَس جلده.

-ومفعوله؟

-دقيقة.

مَط حليق الرأس شفته السفلى من دون أن يرفع عينيه عن البيانات المتوالية، وتساءل:

- وزَرَعت الشريحة فـ موبايله فـ أد إيه؟!

-نُصَها.

- Good.

أشعل الآخر سيجارة، ونفث دخانها قائلاً:

- الزَحمة ساعدِتنى.

ساد الصمت بينهما للحظات، ثم رفع حليق الرأس سبابته بسرعة، ونَقر إحدى الصور المتوالية على الشاشة الهولوجرامية وسحبها ليسار الشاشة بعيداً عن سيل الصور والبيانات قائلاً:

- هِىَ دى.

حَملَق الآخر فى صورة إيمان عَرفة التى كُتِب أسفلها بحروف واضحة «إيمى» ثم أرقام هواتفها وبريدها الأليكترونى.

- آخر contact بينهم كان إمتى؟

-من شهور.

وتوقفَت عيناه على تاريخ المكالمة الأخيرة بين يحيى وإيمان، ثم تابع:

- نفس الليلة اللى البطارية بتاعتنا هِربِت فيها.

قال الآخر –ذو الشَعر- بهدوء:

- سَمَعنا كدا.

نقرة على الهولوجرام، وأنصتا بعدها لتسجيل المكالمة، إبتداءً من..

- ليه النضارة؟

تحسست الإطار الداكن الدقيق بأناملها، وابتسمت بدلال قائلة:

- وحشة؟

- لا خالص، مش القصد.. أنا بس مش فاكر انى شوفت حد لابس نضارة طبية، يمكن من أكتر من ٢٠ سنة .

وحتى انتهت بـ..

- بكرة يوم مشحون.. شكلى كده هقولَك تصبح على خير.

- وانتى من أهل الخير.. بس خلى بالك، مش هتهربى منى كتير.

تبادل الاثنان ابتسامة متهكمة، قبل أن يقول ذو الشعر الطويل وهو ينفث دخان سيجارته:

- روميو دا طرف خيط كويس.

-تفتكِر ممكن يوصلنا لحاجة؟!

-شَكلَك نسيت كورسات السايكولوجى.

وصمت للحظة مفكراً، ثم تابع:

- هِند شعلان قالتلنا ان إيمان عرفة فى الفترة الأخيرة، قبل اختفاءها كانت متعلقة بالنحنوح دا.. (ينفث دخان السيجارة).. واحدة فـ ظروفها.. تلاتينية، جميلة، وحيدة، وضعها المادى مستقر.. متخيل احتياجها لشخص فـ حياتها حسسها بالأمان وبإنها مرغوبة؟ شخص أليف، مفيش خطر منه زى يحيى الجوهرى؟!

قل حليق الرأس:

- مش لدرجة انها تحاول تتصل بيه، بعد ما اتورطِت فـ المصيبة اللى خالتها عملتها.

هز الآخر رأسه قائلاً:

- الاحتياج يخلى السِت تعمل أى حاجة.. أى حاجة. وعموماً احنا مَينفَعش نهمِل الاحتمال دا.

أومأ حليق الرأس وهو يشير بسبابته إلى اللوحة الهولوجرامية:

- البرنامج اللى اتزرع فـ موبايله بيرصد كل مكالماته ورسايله الألكترونية، وأى تشاتينج على فيسبوك أوواتسآب أوفايبر أوغيرهم.. وحساسيته انا ظَبطتها لاسم إيمان عرفة، وصوتها وصورتها.. أى مكالمة منها، أو من حَد بيكلمه عنها، البرنامج هَيبعتلنا إخطار فـ نفس اللحظة.

أكمَل الآخر:

- وإيمان توصلنا لـ أمل.

لمعت عينا الحليق بالبغض، بينما أصابعه تتحسس

الندبة على جانب رأسه وهو يتابع:

- وأمل توصلنا لـ زين.

عاد الصمت ليخيم عليهما للحظات، استرجعا خلالها، كلٌ فى ذهنه، تلك اللحظات العنيفة التى قضياها فى قتال زين قبل أشهر فى أروقة تلك المستشفى بمدينة نصر، والتى انتهت بهزيمة مريرة واختفاء زين وأمل والبطارية الهاربة.

- إحنا مش هَناكل؟

تساءل ذو الشعر خادشاً جدار الصمت الذى ارتفع، فغمغم حليق الرأس بعد أن ألقى نظرة على أرقام ساعة السيارة:

- ياللا بينا.

استغرقت وجبتهما فى إحدى كافيهات المول ما يقرب من الثلاثين دقيقة، انطلقا بعدها عائدين لسيارتهما، وقبل أن يبلغاها بعِدة أمتار، ارتطم بذى الشعر الطويل كهلٌ أربعينى أشيب الشعر، يدفع أمامه عربة محملة بأكياس كارفور منتفخة بالمشتروات، تساقط بعضها على الأرض حول الكهل الذى سقط بدوره متأوِهاً إثر ارتطامه بجدار العضلات هذا.

- آسِف.

قالها الكهل بصوت ضعيف وهو ينهض من سقطته بصعوبة.. لم يرد عليه ذو الشعر وهو ينفض غباراً افتراضياً عن بذلته الأنيقة ويحدجه بنظرة باردة، ثم يبتعد مع رفيقه الحليق متجهين نحو سيارتهما.

- يا أستاذ.

التفتا مُجدداً إليه، فوجداه وقد وقف على قدميه، ويمد كفه نحوهما.

- الموبايل دا وِقِع منك؟!

*****

تنفست شيماء الصعداء بمجرد أن رأت باص المدرسة يدخل الشارع.

ألقت تحية الصباح على السائق ومِس عاليا مشرفة الباص، قَبلَت بودى، طفلها ذى السنوات الستة إلى باص المدرسة، قبل أن تفلت كفه الصغير المستقر فى راحتها، ليصعد سلالم الباص، الذى انطلق على الفور ليستكمل دورته الصباحية فى الشوارع الخالية فى هذه الساعة المبكرة.

أسرعت الخطى بقدر ما يسمح به الحمل المستقر منذ أربعة أشهر فى أحشائها، وهى ترفع طرف إسدال الصلاة الذى ترتديه ارتجالاً لأداء مشاوير من هذا النوع، حتى لا يعلق به غبار أو طين إثر مطر الليلة الفائتة.. فى أيامٍ أخرى كانت لتسمح لنفسها بدقائق من التريض فى محيط الحدائق التى تتوسط المربع السكنى الذى تسكن فيه، غير أن ظروف حملها، وتكرار تأخر الباص بسبب مشاكل نقص الطاقة الأخيرة، جعل من هذه الدقائق الثمينة التى تعينها على قضاء ساعات اليوم كله بين جدران مكتبها، حلماً بعيد المنال.

حمام سريع دافئ، خرجت بعده لتتناول مجاً من النسكافيه.. شيء من الجوع يراودها، لكنها تنأى عنه – رشفة من السائل مُر المذاق- ممنية نفسها بإفطار شهى وسط زملائها فى أوفيس الشركة أثناء الـ break.

أعَدَت مستلزمات غَداء اليوم، فوضعتها فى الـ

coocker وضبطت برنامجه ليبدأ فى طهو الأصناف المطلوبة قبل عودة الأسرة بوقتٍ مناسب.. اتجهت لغرفة نومها لترتدى ثيابها التى تعدها مع بقية ثياب الأسبوع منذ الويك إند، وضعت الألوان بحرص على وجهها، بينما تخطف نظرة من آنٍ لآخر على أرقام الساعة، ثم غادرت المنزل حاملة حقيبة يدها بعد أن تبادلت قبلة سريعة مع زوجها الذى استيقظ لتوه من سباته.

دقيقة قضتها فى استنشاق هواء الصبح المغسول بمطر الأمس، والتمشية جيئةً وذهاباً باستمتاع على أسفلت الشارع الخالى، قبل أن تلمح باص الشركة قادماً عن بعد.

داخل الباص الدافئ مكيف الهواء، أراحت جسدها على مقعدها المجاور للشباك.. العدد قليل لا يزال، وقد حيتهم جميعاً والسائق بمجرد صعودها، وتبادلت معهم بعض عبارات المرح المعتادة بينهم كزملاء عمل ومشوار يومى.. عيناها تتابعان المشاهد المتوالية عبر زجاج النافذة الذى تراكمت عليه سحابة من بخار أنفاسها.. فقرات الصباح على البرنامج العام بالإذاعة تنبعث من سماعات الساوند سِستِم، وتمتزج مع ثرثرة وضحكات الزملاء والزميلات الذين بدأ عددهم فى التزايد، وأصواتهم فى العلو. المرح والتهييس المعتادان، ولكنها لم تخطئ تمييز القلق المقبض الذى صبغ أحاديثهم، رغم محاولاتهم تجنب الكلام عن الأحداث التى تمر بها

شركتهم.. فصلت نفسها عن هذا المحيط بأن أخرجت تابلِت من حقيبتها، فتحت برنامج الرسم، وانهمكت فى رسم بعض الخطوط بألوان مختلفة.

فاتيما تصعد للباص.

تُحيي الجَمع، ثم تأتى لتحتل مقعدها المجاور لها، تتبادلان القبلات اليومية على جانبى الوجه، تسألها عن أخبار حَملها، فتجيبها شيماء بأن الأمور –كما سبق وأخبرها طبيبها- بدأت تستقر مع دخول الحمل شهره الرابع.. ألقت فاتيما نظرة على الأشجار الخضراء الزاهية والسماء الزرقاء الصافية والشمس الضاحكة التى رسمتها صاحبتها على لوح التابلِت، سألتها، فأجابتها شيماء بأنه art task المطلوب غداً من بودى فى المدرسة.

الباص توقف عند كارتة طريق مصر- اسكندرية الصحراوى، تبادل السائق وموظف الكارتة حديثاً صباحياً معتاداً بينما الأول يقطع تذكرة مرور لباص الثانى.. فاتيما لا تكف عن الثرثرة، وتنتقل بسلاسة من موضوع لآخر.. حديثها شائق خفيف الدم، تتجاوب معها شيماء بالتعليق حيناً، وبالابتسام حيناً، ثم لا تلبث أن تنطلق ضحكاتهما، مفعمة ببهجة أنثوية محببة.

الباص يتحرك ليعبر بوابة الكارتة، ينشغل الموظف مع السيارات التالية، ثم، وبعد أن يقطع الباص حوالى مئة متر، يرتمى الموظف أرضاً إثر الانفجار الهائل الذى ارتجت له كابينة الكارتة وتشظى زجاجها، وتحول

الباص وركابه على أثره لكرة هائلة من اللهب.

بعدها بساعات، سيعثر رجال المعمل الجنائى على لوح تابلت ملطخ بالدم، قذفه الانفجار إلى الجانب الآخر من الجزيرة التى تتوسط الطريق، وعلى شاشته التى شرخها الانفجار سيجدون رسماً يدوياً لأشجار خضراء زاهية تعلوها سماء صافية تتوسطها شمس ضاحكة.

*****

«وقد انتقلت إلى موقع الحادث قوة مشتركة من التدخل السريع ومكافحة الإرهاب وعدد من خبراء المعمل الجنائى، وأسفرت المعاينة المبدئية عن أن الانفجار الذى أطاح بواحد من أوتوبيسات شركة Egy-Nergy المخصصة لنقل موظفى الشركة من وإلى مقرها الرئيسى بطريق مصر- الأسكندرية الصحراوى، قد أسفر عن مصرع وتفحم سائقه وجميع ركابه ومصرع وإصابة عدد من أصحاب السيارات المحيطة.. وتشير الأدلة إلى أن سبب الانفجار هو عبوة ناسفة تم زرعها على جانب الطريق وتفجيرها بجهاز تحكم عن بعد لدى مرور الحافلة. هذا وقد قامت خلية إدارة الأزمات بوزارة الداخلية بإبلاغ إدارة المرور لإغلاق طريق مصر- الأسكندرية، وانتشرت وحدات من قوات مكافحة الإرهاب بطول الطريق، لتمشيطه بحثاً عن المزيد من المتفجرات، ومطاردة الجناة تحت غطاء جوى من طائرات الهليوكوبتر، بالتزامن مع فحص تسجيلات كاميرات المراقبة المنتشرة على الطريق

للوقوف على تصور دقيق للحادث يساعد على ضبط الفاعلين.

وبسؤال اللواء محمد جاد الله، الخبير الأمنى ومساعد وزير الداخلية الأسبق لشئون مكافحة الإرهاب، قال إن ما أُعلِنَ من بيانات حول العملية الإرهابية يشير إلى قدر عال من الخبرة والحرفية فى التخطيط ورصد وإصابة الهدف، ويأتى فى إطار سلسلة العمليات الإرهابية الموجهة ضد منشآت وأفراد مجموعة Egy- Nergy حول العالم.. ولم يستبعِد أن يكون الفاعلون من عناصر أجنبية نجحت فى التسلل إلى البلاد، وأكَد على أن الأجهزة الأمنية تبذل أقصى جهدها من أجل القبض على الفاعلين والتصدى لهذه الموجة الإرهابية الصاعدة، والتى لم تشهَد مصر والعالم مثلها منذ ما يقرب من الربع قرن.

ومن جهتها أصدرت Egy- Nergy بياناً مقتضباً نَعَت فيه على لسان متحدثها الإعلامى، الضحايا الذين سقطوا جراء الحادث الإرهابى الذى استهدف شعب مصر بأكمله، وليس E. N. وموظفيها فقط على حد تعبير المتحدث الإعلامى، وأكدت على استمرارها فى أداء رسالتها تجاه من وضعوا ثقتهم فيها، ودَعَت الجميع لمؤازرتها والوقوف صفاً واحداً فى مواجهة موجة الإرهاب العالمى الجديدة.

وفى سياق الهجمات الإرهابية والتخريبية الأخيرة، صدر بيان عن وزارة الكهرباء والطاقة المتجددة، أعلن

فيه عن التوصل لسبب انقطاع الكهرباء الذى ضرب عدداً من قرى الجنوب، فى محافظات أسيوط وسوهاج وقنا تحديداً، وأرجعه لعملية تخريبية أدت إلى نسف عدد من كابلات الطاقة المدفونة على عمق خمسة عشر متراً تحت الأرض فى مواضع مختارة بدقة تشير لأن الفاعلين يعملون وفقاً لقاعدة معلوماتية، وخرائط دقيقة لمسارات الكابلات وأعماقها.. وقد صَدَر بيان تال لوزارة الداخلية أعلن فيه المتحدث باسمها عن إلقاء القبض على عددٍ من المشتبه فيهم، مع تسيير عددٍ من الدوريات الجوية لتأمين مسارات كابلات الطاقة.

كان معكم، معتز حشاد، قناة Egypt Now، القاهرة».

*****

- أداء جيد، أمل.. أحيبكِ.

-شكراً.

-تَدربتِ كثيراً.

(تتنهَد): - لا تَنس أننى إعلامية قديمة، نظيم.

-وموهوبة كذلِك.. النتيجة فعلاً طيبة، وأصدقاؤنا بالخارج سعداء بها.

-قلت لى إنهم كانوا يريدون أن يقوم الكمبيوتر بالعمل كله.

-بالفعل، ولكننى أقنعتهم بالعكس.

-ولِمَ؟

-لِمَ اقتنعوا؟

-لِمَ أقنعتهم أنت؟

-رأيى أنَ العنصر البشرى لا غِنى عنه فى هذا الشِق من ثورتنا.. الـ CGI مهما بلغت حرفيتها لم ولن تستطيع محاكاة انفعالات الغضب والألم والحماسة التى خرجت منكِ أمام الكاميرا.. والجزء الأكبر من التأثير المراد إحداثه يعتمد اعتماداً أساسياً على تصديق الناس لهذه المشاعر.

-أتعشَم.

(يبتسم): - ثم إننى مؤمِن بقدرتِك.

(بشبح ابتسامة): - شكراً.

-سيكون الظهور العلنى الأول لكِ بعد كل هذه السنين.

(بشرود): - أعلم.

-ستكون نقطة فارقة، وبداية لمرحلة جديدة وأخيرة.

-أعلم.. (قالتها بذات الشرود، ثم) متى سيُعرَض الفيديو؟

-خلال ساعات، بعد الانتهاء من المونتاج، وضبط التوقيت مع جدول العمليات.. تعلمين أن التوقيت هو العامل الأخطر.

(تومئ برأسها).

-العد التنازلى يقترب من نهايته.. هل تشعرين بالخوف؟

(تتنهد مرة أخرى): - لا أنكر.

(يتفرس فى وجهها للحظات): - تريدين قول شيء ما؟

-هل تتابع خط سير رحلة إيمان ورفعت؟

-خطوة بخطوة.

-أين وصلا؟

(يبتسم): - المفترض وفقاً للقواعد ألا أخبرك، ولكننى سأفعل ليطمئن بالِك.. (تتحرك عيناه الهولوجراميتين لتقرآ أرقام الساعة) ستهبط طائرتهما القادمة من جوهانسبرج فى بارادايس هايتس إير بورت خلال سبعة عشر دقيقة.

-رحلة طويلة حقاً.

-كان لابد من هذا المسار المعقد لتأمينهما.

-....................

-أمل.

-نعم.

-صارحينى بما يشغلك.

(بخفوت): - لا شيء.

(يبتسم): - حقاً؟

(إبتسامة باهتة).

-أتذكرين مُذ متى بدأنا عملنا معاً؟

-حوالى عشر سنوات.

-عشر سنوات وأربعة أشهر وتسعة أيام.

(تبتسم): - لم أعد أندهش من دقتك.

-ولم نلتقِ وجهاً لوجه طيلة هذه الأعوام ولو لمرة واحدة.

-صحيح.

-ورغم ذلك، فلولا أن طبيعة علاقتنا لا تحتمل سوى العمل، لقُلت إنَكِ أقرب لصديقة حميمة، عزيزتى أمل، وأن بإمكانى قراءة وجهِك كما أقرأ جريدتى الصباحية.

-لِمَ لا تقرأ ما على وجهى إذن؟

-ومن قال لكِ إننى لم أفعل؟!

-......................

-أنتِ منزعجة لسقوط ضحايا فى حادث قطار شرم الشيخ والتفجيرات الأخرى.

-......................

-هل أنا مُحِق؟

(ببطء، تهز رأسها موافقة).

-ألَم تكن عملية إفساد أنابيب الطاقة، والتى تسببت

فى حادث قطار شرم الشيخ، من تنفيذ بطلِك الخارق رفعت اسماعيل، وتحت إشرافِك المباشر؟

(ببطء، تهز رأسها موافقة).

- هل تفاجئتِ بالنتيجة؟

(بخفوت): - كُل هذا العدد!

(بعد لحظات من الصمت): - هل أنتِ نادمة؟

*****

بعد ستة أيام من العمل الشاق المتواصل، يقضيها بين فيديو كونفرانسز فى مكتبه وزيارات ميدانية للمرور على مزارع Egy- Nergy داخل مصر وخارجها للوقوف على أية مشاكل تقنية.. بعد ستة أيام من العمل الجاد كآلة لا تتعب، يكافئ المهندس محمد الدياسطى -مدير الصيانة بـ E. N.المصرية- نفسه فى اليوم السابع من كل إسبوع –يوم عطلته الرسمية- بساعات من المرح الهيستيرى.

ساعات مُوَزعة بين ممارسة الرياضة نهاراً، السباحة تحديداً، رياضته المفضلة، والرقص ليل الخميس والجمعة فى night clubs بارادايس هايتس حتى تتفكك أعضاؤه، ثم العودة لفيلته شروق الجمعة مصطحباً حسناء فاتنة يتغير شكلها واسمها أسبوعياً.

طفله؟ يراه مساء الجمعة من كل أسبوع، حيث ترسله طليقته بيرى مع النانى ليقضى بصحبته ساعة واحدة بالتمام والكمال فى وادى دجلة بارادايس هايتس، يقضيانها معاً بين الملاهى وبرجر كينج، قبل أن يفترقا، فيعود الطفل لأمه–وزوجها- مُحَمَلاً بحقائب الألعاب التى جلبها له «داد» (يكلف سكرتيرته الشابة بمتابعة هذا الأمر بشكل دورى)، والذى يعود مسرعاً إلى فيلته ليأخذ حماماً ويرتمى على فراشه ليشحن بطاريته استعداداً لأسبوع جديد مشحون بالعمل.

المهندس محمد الدياسطى، البالغ من العمر ستة

وثلاثين عاماً صاحب رحلة نجاح مُلهِمة، استغل خلالها ذكاءه الخارق وإرادته الفولاذية وقدرته الفائقة على العمل الشاق لأيام متصلة (لدرجة أنه تخلى طوعاً عن يوم السبت، نصف راحته الأسبوعية ليتيح مزيداً من الساعات لجدول الزيارات الميدانية) فى إشباع طموحه النَهِم للصعود والترقى، وسجل رقماً قياسياً كأصغر مدير إدارة فى Egy- Nergy صاحبة المعايير الأقسى حول العالم للترقى.

هذا التفرغ القريب من التصوف للعمل، جعل الدياسطى أقرب لروبوت منه لإنسان طبيعى قادر على إقامة علاقات اجتماعية حقيقية، الأمر الذى استوعبته بيرى، عروسه الشابة بعد أسبوع واحد عَقِب عودتهما من شهر العسل الذى قضياه فى الواحات البحرية (المصنفة كأهم منتجع سياحى فى العالم) عندما صُدِمَت بعودته لفيلتهما بعد ثلاثة ليال متتالية قضاها فى مقر الشركة (المُجهَز لإقامة العاملين بها) وجعل من طلبها الانفصال عنه بعد شهر آخر واستجابته لطلبها أمراً مفهوماً تعاملا معه بعملية يُحسدان عليها.. انفصلا وعاد الدياسطى سعيداً مستبشراً لحياته التى ألفها وأدرك قيمتها جيداً والتى تخلو من أى شيء غير العمل.

حتى فى تلك اللحظات الساحرة المدهشة التى يسبح فيها فى الهواء قبيل غوصه فى العالم الأزرق البارد المليئ بالفقاقيع وسط الأمواج الصناعية.. اللحظات التى تسبق إتيان قرص الـ LSD مفعوله أثناء الرقص

الصاخب فى الـ night club.. أو لحظات الحركة المحمومة أماماً وخلفاً فى الداخل الرطب المظلم بين ساقى الحسناء رفيقة الفراش قبيل قذف شهوته.. حتى فى هذه اللحظات المذهلة التى تبلغ فيها المتعة ذروتها، يظل ذهنه واعياً لأن هذه المُتَع الرائعة ليست هى مبتغاه لذاتها، وإنما هى وسائل لعمل reload لطاقته ليستطيع ممارسه عمله، شغفه الحقيقى، بكامل وعيه وطاقته وتركيزه.

فى تلك الليلة التى كاد النادى الليلى يمتلئ فيها عن آخره بالشباب من الجنسين، ابتسم البارمان الشاب، آسيوى الملامح، للدياسطى الذى كان –فى تمام العاشرة، موعده الأسبوعى- يشق طريقه بقامته الفارعة وجسده الممشوق الذى يحرق سعراته يومياً بانتظام لساعة كاملة فى جيمنازيم الشركة، بين الأجساد المتراقصة والمتقافزة بجنون على الإيقاع الصاخب والأضواء الجنونية، حتى جلس إلى البار.. حياه بصوت حاول أن يعلو على أصوات المزيكا العالية، فأجابه الدياسطى بابتسامة وهزة رأس، ثم أشعل واحدة من سجائره، واستدار بجذعه متشاغلاً بالنظر إلى الأجساد المحمومة المندمجة فى رقص هيستيرى ريثما ينتهى البارمان من إعداد كأسه من الفودكا المخلوطة بأحد مشروبات الطاقة.

ومن بين عشرات أو مئات الأجساد، التقطتها عيناه.

شقراء الخصلات، برونزية البشرة ذات القوام اللاتينى

النموذجى، تهتز وتتمايل برشاقة وليونة على إيقاع الموسيقى وسط دائرة من الشبان والشابات.

نفث دخان السيجارة وهو يلتقط الكأس من بين أصابع البارمان، بينما عيناه تزحفان ببطء على الركبتين البيضاويتين، والفخذين البارعين اللذين ينحسر عنهما الثوب الأبيض القصير مع انثناء الركبتين وانفرادهما.. الثوب الأبيض الواسع، والمتهدل كاشفاً عن مفرق صدر بديع يلمع بالعرق، وعن استدارة كتفين مضيئين، وذراعين بَضّينِ مزين أحدهما بوشم فارسى مثير.

استدار بجانب وجهه إلى البارمان الذى التقط التفاتته ومال نحوه عبر البار، فأومأ له الدياسطى باتجاه الفتاة المتلوية كأفعى هندية.. نظر لها الآسيوى بعينيه الضيقتين، قبل أن تفتر شفتاه عن ابتسامة وهو يقول:

- بضاعة جديدة.. أول يوم.

هز الدياسطى رأسه، ورشف من كأسه، قبل أن يرفع السيجارة إلى شفتيه من دون أن تتحول عيناه الملتمعتان عن الجسد الراقص.

الجسد ثائر، متوحِش، يتحرك بإيقاع خاص يكاد يكون نابعاً من داخل الدياسطى نفسه، المولَع بكل ما هو لاتينى.. أسلاك الشعر الشقراء الطويلة تشق الهواء كحزمة متناثرة من السياط تلسع قلبه.

قرص الـ LSD فى راحته، قذفه إلى حلقه، ثم أتبعه برشفة جديدة من كأسه، بينما عيناه لا تبارحان النهدين الهائجين اللذين راحا يتطاوحان ذات اليمين وذات

الشمال.

«أوووووو» عالية حارة تنبعث من حلوق وقلوب العشرات المتحلقين حولها إذ راحت تتلاعب بحوضها وترسم بمؤخرتها مجالاً فتاكاً من الإغواء والجنون.

رشفة تلو الأخرى، وبدأت الأضواء تصبح أشد ألقاً وبريقاً أمام عينيه.

ومع غلبة ألوان الشروق الوليدة على ظلمة الفجر الواهنة، كانت سيارته الجاجوار تمرق كالرصاصة فى طريق الكورنيش المطل على أمواج البحر المتوسط التى تفصل بارادايس هايتس عن الساحل الأوروبى الجنوبى.. أصدرت عجلاتها صريراً وهو ينحرف بمقودها، وقد أصر على قيادتها يدوياً رغم أن الرؤية أمامه لم تكْ على مايُرام بعد كل ما تجرعه من الخمور.

ابتسامة عابثة ارتسمت على شفتيه وهو يرمقها بطرف عينه إذ استرخت على المقعد المجاور له.. نفث دخان السيجارة المدلاة من بين شفتيه وقال:

- بَرقص بقالى سنين.. عمرى ما فرهدت زى الليلادى.

أزاحت خصلة من أسلاك شعرها الأشقر الكيرلى، ونفثت فى وجهه عموداً من دخان سيجارتها من بين شفتيها المضمومتين، قائلة بابتسامة عابثة:

- حُكم السِن؟!

ضحك ملء شدقيه ضحكاً مبالغاً فيه، بينما السيارة تعبر بوابة حديقة فيلته وتتوقف فى قلب المرآب الذى انغلق بابه وراءها أوتوماتيكياً.. وقبل انغلاقه، مالت هى

برأسها لتلقى نظرة أخيرة على مرآة السيارة الجانبية، ولمحت ذلك الظل المتوارى بين أشجار الحديقة، والذى لمع موضعا عينيه فى الظلام بوميض غريب.

أمر الدياسطى كمبيوتر السيارة بإطفاء الموتور، والتفت إليها يرمقها بنظرة متفرسة، قبل أن يقول ببطء:

- هَنطلع فوق دلوقتى وتعرفى حكم السِن الحقيقى يا إيمى.

وردد وكأنه يستطعم الاسم:

- إيمى.

ومال ليدنو بشفتيه من شفتيها، فأوقفته بلمسة من سبابتها على شفتيه،وابتسمت مطقطقة بلسانها وهى تقول:

- مش بتقول فوق؟

ارتفع حاجباه وحدق فى وجهها للحظة، قبل أن تنفرج شفتاه عن ابتسامة وهو يردد:

- فوق.

وبينما أحاط كتفها البرونزى الموشوم بذراعه وهما يتجهان نحو الباب المؤدى إلى قلب الفيلا، لم ينتبه بطبيعة الحال إلى ذلك الهُلام غير المرئى (والذى لا يمكن تمييزه إلا بمنظار أشعة تحت الحمراء) الشبيه بسحابة من بخار أحمر اللون، والذى راح يتسرب ببطء من أسفل باب المرآب خلفه، ويسبح فى الهواء متجهاً نحوه.

*****

عاصفة من الغبار أثارتها العجلات العريضة للشاحنات العشر الضخمة التى راحت تنهب الأرض الوعرة المتنوعة بين صخرية ورملية فى ربوع صحراء مصر الشرقية.

الشاحنات تتحرك فى صف واحد، طولى، يتلوى كثعبان بين التلال والكثبان الرملية، متجنباً السير بقرب خطوط السكك الحديدية، والطرق الأسفلتية المحاطة على الجانبين بأسوار عالية من الأسلاك الشائكة، والمقصور استخدامها –فى هذه البقعة الواقعة خارج حدود المحافظات- على آليات الجيش.

الظلام حالك، لا مصابيح ولا أضواء، والسيارات نفسها مطلية بطلاء أسوَد حتى لا تلتقطها الرادارات والكاميرات وصور الأقمار الصناعية.. اعتماد سائقى الشاحنات العشر الكامل على مناظير الرؤية الليلية ورادرات وأجهزة GPS متطورة، بالإضافة لدليل بشرى من سكان البِطاح القريبة، يجلس إلى جوار سائق شاحنة المقدمة.

داخل صناديق الشاحنات العشرة تكدسوا.. العشرات.. ما يزيد عن المئة داخل كل صندوق. الأجساد النحيفة ساعدت على حشر أكبر عدد ممكن داخل الصندوق الواحد. ورغم ما نَجم عن وعورة الطريق غير الممهد من اهتزازات عنيفة بلغت حداً أن اصطدمت رؤوس بعضهم بسقف الصندوق، إلا أن أجسادهم التى اعتادت

قسوة وخشونة رمال وحجارة الصحراء لم تنزعج كثيراً لهذه المخمضة.

في الكابينة الأمامية لإحدى الشاحنات، جلس بَصَلة إلى جوار السائق الذى يغطى عينيه منظار الرؤية الليلية.. جسده –بَصَلة- قليل الشحم واللحم يرتج بلا انقطاع، فتتقارع عظامه كعصى التحطيب.. عيناه شاردتان في الظلام شبه الدامس الذى تؤلمه وخزات النجوم، وأنوار أبراج الحراسة المتناثرة على طول الشريط الحدودى الممتد بطول الأفق.. الشريط الذى يقترب منهم ويقتربون منه بسرعة ستين كيلومتراً في الساعة، وهى أقصى سرعة تقتلهم بعدها رجرجة الشاحنات.

أصابعه تقبض على أسطوانة من المعدن طولها يناهز المتر، وقطرها لا يزيد عن الخمس بوصات، علمه أبو أنس كيف يُعبئها وكيف يطلقها.. وتأكد بالفعل من أنه عبأهَا بالذخيرة المطلوبة.

تهفو نفسه إلى إشعال سيجارة ومَص دخانها مصاً، إلا أن تعليمات أبى أنس صارمة بهذا الشأن.. لا سجائر من أى نوع.. لأنها معصية لله عَز وجَل، ولأن لهيبها يسهل رصده في هذه الظلمة الحالكة، مما يهدد بإبطال عنصر المفاجأة.

الأخ أبو أنس.. صاحب الوجه السَمِح والابتسامة الوضاءة واللحية الكثة.. الشاب الوديع الذى سَحَرَ قلبه من اللقاء الأول قبل أشهر، عندما هبطوا -هوَ وصحبه-

ذات ليلة، على مساكنهم فى جَوفِ الصحراء فى سيارات سوداء لم يميز إن كانت من ذوات الدفع الرباعى أو من غير ذلك بطبيعة الحال.. وكان العَم –عَم العشيرة كلها- قد جمعهم قبل أيام، وأخبرهم أن أناساً سيزورون عشيرتهم حاملين معهم خيراً وفيراً.

يذكر أصابعه القوية لما هبطت على كتفه مصحوبة، وكانوا قد افترشوا أرض المغارة فى بطن الجبل صفوفاً، بينما تَوَزع الضيوف حولهم حاملين أسلحتهم.. «هذا سيصلح إن شاء الله» قالها الأخ أبو أنس بصوتٍ قوى وهو يجذبه من ذراعه ليوقفه على قدميه، فأومأ زملاؤه المتحلقون حولهم برضا بعد أن فحصوا بنيانه العضلى المتين بعيون خبيرة مدربة.

كانت هذه الـ «يصلح إن شاء الله» هى كلمة السر التى فتحت أمامه الباب المؤدى لعالمِ آخر

خلال الأسابيع التالية، دربوه على السلاح.. تفكيكه وتركيبه وحشوه واستخدامه.. تدريبات بدنية شاقة فى معسكر تدريب يقع فى قلب الجبل، على مسير نصف ليلة من مسكن العشيرة.. تغذية جيدة، حقيقية، منتظمة تعينهم على تحمل التدريبات.. ثم هذا الحديث الطويل الذى أحبه وإن لم يفهمه كله، يحدثهم الأخ أبو أنس بنبرة هادئة ودود كل ليلة عن ربنا الذى خلقنا من أجل أن نُعمِرَ الأرض، وجعلنا متساوين فى الحقوق والواجبات، لا فرق بين عربى ولا عجمى إلا بالتقوى.. عن الجنة والنار والخير والشر، والعدل الذى هو أساس

الملك.. أخبرهم أنهم لا يعرفون أى ظلم يتعرضون له، وأن من يظلمهم ويلتهمهم أحياء هو من يرمى لهم الغذاء كل شهر.. حكى لهم عن أناسٍ كالشياطين يخطفون أبناءهم وأحباءهم، ويمزقون أجسادهم حتى الموت (لم يفهم منه تحديداً الدافع وراء هذه الفعلة الشنعاء، ولكنه لم يهتم كثيراً بهذا الدافع، واكتفى بالفعلة نفسها).

استمع له شاعراً بغضبٍ هادر يفور فى أعماقه، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه ذاكرته تناوشه بصورٍ قديمة لمدينة على البحر، نسى اسمها منذ زمنٍ بعيد، وبيت ضيق متهالك، أب مدكوك قصير القامة، اختفى ذات يوم وأخبرته أمه أثناء رحلتهم فى البيجو إلى مسقط رأسها بالصعيد أن «ولاد الكلب الكفرة خطفوا ابوك وقتلوه يا فوزى».. فوزى.. صحيح! هذا هو اسمه قديماً قبل التحاقه بالعشيرة منذ زمنٍ بعيد، وتحوله لـ «بَصلة».. هو فوزى وأبوه المخطوف المقتول هو عَمار.

تنهد، ومسح بأصابعه على الأسطوانة المعدنية، بينما الهواء البارد المظلم يندفع من نافذة كابينة الشاحنة ليصفع وجهه.

يقول الأخ أبو أنس بلهجة حازمة إن إزاحة الظلم هى نوع من الجهاد الذى أمر به الله، والذى هو أيضاً ذروة السَنام (لم يفهم شيئاً!) وأن الجهاد لابد له من إعداد.

- مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة.

تعتصر أصابعه –بَصلة- زناد سلاحه، فتنطلق

الرصاصات تجاه لوحة التنشين.

- بسم الله الرحمن الرحيم «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل».

الشاحنة الأخيرة فى طابور الشاحنات العشر الزاحف فى ظلام الصحراء ممتلئة عن آخرها بالأسلحة النارية والبيضاء مختلفة الأنواع والأشكال والأحجام.

- «ترهبون به عدو الله وعدوكم».

أضواء أبراج الحراسة تقترب أكثر وأكثر، كيلومترات قليلة تفصلهم عنها.

- صدق الله العظيم.

*****

- It is done مستر آدم.

قالها عمرو بمزيجٍ من ظفر وارتياح وهو يحدق فى البيانات المتوالية على الشاشة الهولوجرامية.

- الـ economic report وصل.

وأشار إلى هولوجرام لسيدة أربعينية حسناء مستطرداً:

- الـ Economic H.D. هَتِدى حضرتك ملخص للتقرير.

أومأ آدم برأسه إيماءة خفيفة للدكتورة فيبى رزق، رئيسة القسم الاقتصادى، فأجابته بإيماءة مماثلة وابتسامة عملية، ثم قالت:

- البيانات مستمدة من مصادر مختلفة.. البنك المركزى، الجهاز المركزى للمحاسبات، وزارة الاستثمار، البورصة، شركات الصرافة.. الحقيقة الـ analysts بتوعنا بذلوا مجهود جبار عشان يفصـ..

قاطعها آدم بنفاد صبر:

- باختصار أرجوكِ.

قالت بسرعة:

- وسط كل التدفقات النقدية اللى دخلت البلد خلال الاتناشر شهر اللى فاتوا، المحللين قدروا يميزوا مسارات منتظمة مرسومة باحترافية عشان تضلل أى عين بتحاول ترصدها.. مسارات متشابكة مختلفة فى الزمن، المسافة، الوسيط، حجم الـ cash اللى بينتقل.

والاحترافية دى فى حد ذاتها كانت من العلامات الملفتة للانتباه، اللى دعمت شكوك المحللين.

قال آدم باهتمام:

- عظيم.

-طرف الخيط كان عدد من الشركات والمشروعات اللى اتأسست فى مصر خلال السنوات الأخيرة، وتلقت تمويلات من مصادر خارجية بشكل legal تماماً وتحت سمع وبصر الجهاز المركزى للمحاسبات، ورغم كده حجم الإنتاج اللى قدمته المشروعات دى لا يتناسب إطلاقاً مع حجم التدفقات النقدية اللى حصلت عليها.

-مشروعات زى إيه؟

-أغلبها مشروعات متعلقة بالاستثمار العقارى وخدمات الاستيراد والتصدير.

-مين أصحابها؟

-منهم رجال أعمال من الصف الأول زى عاطف البنا وممتاز خشبة وناصر الجمال بتوع المقاولات، والصف التانى زى محمد العسقلانى، معاذ كريم، أنس عبد الفتاح، والمثلث دا مستحوذ على خرطة حلوة من تورتة استيراد اللحوم ومستلزمات المزارع من أعلاف وخلافه.. عبد الله قاسم وعمر الشاذلى ودول من شباب رجال الأعمال وأعمالهم لسه محدودة ولا تتجاوز معاملات الأسهم فى البورصة.. محمود ابو زيد صاحب مركز «ابو زيد» لعلاج الأمراض النفسية والعصبية.. حافظ الشبـ..

قاطعها آدم:

- محمود ابو زيد!

-أيوه يا مستر آدم.. دا (تنظر إلى شاشة أمامها).. أستاذ الطب النفسى بجامعة القـ..

-عارفه كويس.

حدق كلاهما فيه إذ شرد بعينيه للحظة قبل أن تتراكم ابتسامة مخيفة على زاوية فمه وهو يقول:

- وممتاز خشبة كمان! That makes sence.

غمغم عمرو متسائلاً:

-معرفة قديمة؟

(بشرود): - آه.

ونظر للمديرة الاقتصادية متسائلاً:

- إيه مصدر التدفق النقدى اللى وصل لـ محمود ابو زيد؟

أجابته:

- منحة وحيدة قدرها ١٠٠ مليون يورو مقدمة بتاريخ نوفمبر اللى فات، من مؤسسة Day Light للصحة النفسية.

- Day Light؟

-دى مؤسسة خاصة معنية بالتطوير فى مجالات الطب النفسى والعصبى حول العالم.

تساءل آدم:

-وإيه اللى لَفت انتباهكم للمنحة دى؟ غالباً دى دورية وبتروح لـ مؤسسات كتيرة.

ابتسمت الدكتورة فيبى مجيبة:

-هىَ دورية سنوية فعلاً، بس فيه حاجتين لفتوا الانتباه.. (تعد على أصابعها) الأولى ان مؤسسة Day Light ليها اشتراطات خاصة لازم تنطبق على المرشحين للمنحة، منها على سبيل المثال تحقيق نسبة معينة من التعامل مع حالات اختلال البرمجة العصبية.. وبمراجعة C.V. مركز ابو زيد لعلاج الأمراض النفسية والعصبية مش هتلاقى أصلاً تخصص علاج اختلال البرمجة العصبية لأنها من الحالات النادرة وغالباً مش موجودة فى مصر.

-والتانية؟

(تعد على أصابعها): - التانية هى إن واحد من الشركاء المؤسسين لـ Day Light هو بوب دايتون، أحد الشركاء الرئيسيين فى..

أكمل آدم معها بصوت واحد:

- جينرال إليكتريك.

ساد صمت مشحون لثوانٍ تبادل خلالها ثلاثتهم النظرات، ثم قال آدم بهدوء مثير:

- كَمِلى من فضلك.

تنحنحت الدكتورة فيبى وقال:

- بتتبع التدفقات النقدية اللى وصلت لكل مشروع من المشروعات المشكوك فى أمرها، بدأنا نلاحظ أنماط معينة تبادلية فى المسارات اللى التدفقات بتاخُدها.. مسارات لولبية.. مسارات عنقودية.. مسارات مستقيمة

أحياناً زى المسار بين Day Light ومركز ابو زيد.. الـ cash بيمر على عدد من المحطات لغاية ما بيوصل للهدف النهائى المطلوب يوصله من البداية.

حوالى سبع أنماط من المسارات بتتوزع بالتبادل بين الجهات الممنوحة، وبالمزيد من البحث اكتشفنا ان دا استمر يحصل على مدى السنين اللى فاتت.

والتقطت نفساً ملأت به صدرها، ثم تابعت:

- مجرد الوقوف على المسارات المصممة بدقة احترافية دى كان مؤشر قوى على إننا ماشيين فى اتجاه ممكن يوصلنا لشيء.. ممكن مايكونش الـ target اللى بندور عليه، لكن مكانش عندنا ترف تجاهله.. إستمرينا فى التتبع، وبدأنا نتأكد اننا على الطريق الصح لما بدأت الـ identity بتاعة الممولين الرئيسيين اللى فى نهاية الخيط تتكشف.

حدق فيها كلٌ من آدم وعمرو بعيون صامتة لا تشى بأى انفعال، فقالت بابتسامة ظافرة:

- عدد من الشركات والمؤسسات والبنوك هىَ فى واقع الأمر covers لاستثمارات كبرى لكيانات زى جينرال إلكتريك، كاتر بيلر، تاى الصينية، قطر للغاز.. وغيرهم.

تبادل آدم وعمرو نظرة طويلة، قبل أن يقول آدم باقتضاب:

- ممتاز.

وثَبّت عينيه على وجه فيبى الممتلئ وهو يردف:

- الـ report عندى يا دكتور، هَراجعه بالتفصيل..

المطلوب منِك ومن الـ team بتاعك الاستمرار فى البحث وإبلاغى بكل تفصيلة جديدة أول بأول.

- أمرك، مستر آدم.

ومع تلاشى هولوجرامها، استدار آدم بعينيه إلى مرؤوسه الشاب الذى بادره:

- التعليمات الجديدة هتوصل لغرف العمليات فى فروعنا حول العالم بالبحث عن مسارات مماثلة.

- برافو.

-طب والخطوة الجاية هنا؟

قال بصوت محايد:

- الملف يِتوَضَب ويتبعِت فوراً.. اللوا مُحيى هيفرح أوى بالقضية دى.

وأضاف:

- ومش عايز إسم محمود ابو زيد أو أى تفصيلة تخصه فـ الملف دا.

تساءل عمرو بحيرة:

- إشمعنى محمود ابو زيد؟!

-محمود هو طرف الخيط اللى هيوصلنا للبطارية بتاعتنا.. ولـ أمل الشافعى.

- نبعت له الرجالة بتوعنا، مستر آدم؟

هز آدم رأسه قائلاً:

- لأ.. دا تسيبهولى انا.

وتراقصت الابتسامة المخيفة إياها على زاوية فمه وهو يستطرد:

- هَبعتله صديق قديم.

في اللحظة التالية، ارتفع أزيز قوى، جَرَت على إثره أصابع آدم على لوحة المفاتيح التى تتوسط مكتبه، فانبعث هولوجرام لأحد معاونيه يقول بانزعاج:

- مستر آدم، تليفزيون بسرعة.

*****

(أمل الشافعى، فى ثوب أبيض من قطعة واحدة، متآلف مع لون شعرها القصير الرمادى، الأميل للأبيض، ويتناقض بشدة مع لون الخلفية السوداء الحالكة من وراءها.. الحزم فى عينيها المحاطتين بالتجاعيد، تتكلم بصوت هادئ لا يخلُ من جدية):

«التاريخ..

الحقائق التى درستموها فى المدارس.. قرأتموها فى القصص والروايات.. شاهدتموها فى الأفلام..

هل يمكن محو التاريخ؟!

كيف يمكن محو التاريخ؟!

حيرتنى هذه الأسئلة كثيراً فى شبابى، واعتبرت لفترةٍ ما أن زمن طمس التاريخ وحصول الأقوياء والمنتصرين على الحق الحصرى لكتابة التاريخ قد انتهى، مع وجود الإنترنت ومواقع التواصل، وموقع يوتيوب تحديداً.. حتى كان أن مررت بتجربة طويلة مرهقة، شاهدت خلالها بعينى ووعيى وكيانى، التاريخ وهو يُمحى ويستبدل كلمة كلمة، لقطة لقطة، وواقعة واقعة..

كيف يمكن أن يحدث هذا فى زمن السماوات والفضاء السيبرانى وإعلام الفَرد؟!

الإجابة تتلخص فى كلمة واحدة:

المصلحة!».

*****

قبلها بدقائق، كانت إطارات سيارة المهندس محمد

الدياسطى، مدير الصيانة بـ Egy- Nergy تنزلق بنعومة على المنحدر المؤدى لجراج المبنى الإدارى الرئيسى للشركة، بالحى الخامس –المخصص للمبانى الإدارية- فى بارادايس هايتس.. ارتسمت صورته وبياناته كاملة على الشاشة الهولوجرامية أمام رجلى أمن الجراج فى حجرتهما، بمجرد تعرف كمبيوتر البوابة على بصمته الحيوية لدى عبور السيارة إياها، بالإضافة لإشارة خلوها من أية أسلحة أو مواد متفجرة.

*****

«عندما تتطلب مصلحة العدد الأكبر من الناس طمس التاريخ، إزالة الحقيقة، سيحدث التواطؤ من العدد الأكبر من الناس.. سيشترك الجميع بالمسح، بالتزوير، بالصمت، بالتجاهل، بالنسيان.. وكلما اتسعت مساحة الشريحة التى تحتاج للنسيان، زادت كفاءة المسح والتزوير، وزادت درجة التجاهل والنسيان.. ومن يتوقف أمام الممحاة، سيُمحَى هو شخصياً!».

*****

تبادل رجلا الأمن نظرة دهشة لأن الموعد لم يكُ معتاداً لعودة أحد الموظفين بعد انصرافه، وبالرجوع للكمبيوتر، تكشف لهما –للدهشة!- أن المهندس الدياسطى، مدير الصيانة، لم يحضر لعمله أصلاً هذا اليوم–يوم إجازته الأسبوعية- للمرة الأولى منذ تعيينه بالشركة.

تابعا الدياسطى، عبر زجاج الغرفة، وهو يغادر سيارته

بعد أن أوقفها فى الجراج قليل السيارات فى هذه الساعة من الليل.. بدت لهما حركته جامدة وملامحه متخشبة على غير المألوف، قبل أن يومئ أحدهما للآخر، فينهض ليغادر الغرفة متجهاً نحوه قائلاً بتهذيب:

- مساء الخير يا باشمهندس.

*****

«رأيت بعينى المقالات والتحقيقات تختفى من الأرشيف، الفيديوهات تُزال من على يوتيوب، التاريخ تُعاد كتابته من جديد بيد من امتلك مفاتيح الحاضر من أجل السيطرة على المستقبل.. والأفظع هو أننى رأيت الذاكرة الإنسانية تُعاد تعبئتها.. أصدقاء وإخوان الأمس، الذين واجهوا الخطر والموت معنا جنباً إلى جنب، وصهرنا معهم الدم والنار والبارود.. صاروا أعداء اليوم.. الكراهية فى عيونهم والشراسة فى اتهاماتهم وشتائمهم.. كيف نسيتم؟! كيف جرؤتم؟!

كيف تدفع شعباً.. شعوباً كاملة، لنسيان ما رأوه بأعينهم، واستبداله بسيناريو كامل من تأليفك؟! الإجابة هى: الخوف.. شعب خائف هو شعب مستعد لكل وأى شيء».

*****

فى إثنى عشر موقعاً على أرض مصر (تسعة موزعة على جانبى وادى النيل، وثلاثة بدلتاه).. رصدت كاميرات أبراج الحراسة المنتشرة بطول الأسلاك الشائكة المحيطة بحدود المحافظات والمراكز والقرى،

والتى تفصلها عن المناطق الصحراوية التى تموج بتجمعات الهَمَج.. رصدت هذه الكاميرات المتصلة بالأقمار الصناعية، حشوداً ضخمة تزحف من جهة الصحراء، وتقترب –لأول مرة- من المنطقة المزروعة بالألغام التى تمتد بعرض مئات الأمتار بمحاذاة السور المحيط بحدود المحافظات».

اتسعت أعين ضباط حرس الحدود وهم يراقبون المشهد المهيب غير المألوف عبر شاشات المراقبة الهولوجرامية فى مكاتبهم، وشاركهم ذهولهم العساكر والجنود المعلقون فى أبراج الحراسة الذين بدأوا يرون الحشود عن بعد رأى العين وهى تغادر ظلام الصحراء وتزحف مقتربة.

لمسات سريعة متتالية على الشاشات الهولوجرامية، قامت بتكبير الصور عدة مرات.. الأجساد النحيلة معروقة الأذرع والسيقان، الوجوه السمراء بارزة العظام، العيون الحمراء التى تموج بغضبٍ وشراسة، الأسنان الصفراء الشبيهة بالقواطع.

لابد أن أكثرمن ضباط حرس حدود بأكثر من محافظة، ردد مشدوهاً وهو يحدق فى المشهد من مكتبه:

- إيه اللى بيحصل؟!

وفى غمرة الذهول، تأخر إطلاق صافرات الإنذار فى أغلب المواضع الاثنى عشر لدقائق، بلغت الحشود خلالها حواف المنطقة الفاصلة المكتظة بالألغام.

*****

«من سيتعرفنى منكم، سيذكر اسمى وصورتى مرتبطين بالإرهاب والفوضى والأناركية والخيانة وكُل ما تفننت كتب التاريخ التى كتبها المنتصرون فى إلصاقه بى، بعد إجهاض الحركة الثورية العظيمة التى اندلَعَت قبل خمسٍ وعشرين عاماً ضد أفظع صورة للظلم تعرضت لها البشرية على مدى تاريخها الطويل المليئ بالظلم».

*****

السفينة العملاقة التى تحمل على جانبها حروف EGY- NERGY عريضة، تمخر عباب أمواج البحر المتوسط، على بعد عدة أميال من ميناء مصراتة الليبى، متجهة إلى ميناء مارسيليا الفرنسى، وحاملة على سطحها وفى باطنها مئات الآلاف من أنابيب الطاقة المطبوع عليها E.N..

*****

«أنا أمَل الشافعى.. مواطنة مصرية، لست مجرمة ولا إرهابية ولا أسعى وراء الفوضى والخراب كما أخبروكم فى كتبهم وبرامجهم.. أنا فقط أتبع الفطرة الطبيعية التى خلقنا الله عليها، والتى لا تحتمل أن أعيش وأهنأ بحياتى على حساب آلام الآخرين.. حاولت وزملاء لى فى الماضى أن نوقِف هذه المأساة.. أن نجعل من عالمنا عالماً أفضل.. ولكننا أخفقنا، وتجرعنا هزيمتنا حتى الثمالة.. لم نستسلم، وعملنا بكد وجهد خلال العقدين

الماضيين، وانضم لنا الأحرار حول العالم، وغُدنا وكلنا تصميم على طى صفحة هذه المنظومة الشيطانية».

*****

في مكتب آدم المصرى، اختلس عمرو نظرة جانبية إلى ملامح رئيسه التى قُدَت من صخر، ولاحظ قبضته المضمومة المستقرة على المكتب، ثم عاد ببصره إلى هولوجرام أمل الشافعى أمامهم.

*****

قبل أن يميز رجل أمن الجراج تلك الحركة الخاطفة من أصابع المهندس الدياسطى، والتى ألصقت قرصاً وردياً صغيراً أسفل أذنه، دارت رأسه بسرعة وهوى فاقد الوعى بين ذراعى الأخير..

هَبّ زميله الآخر داخل غرفة الأمن واقفاً إذ رأى ما جرى عبر الجدران الزجاجية للغرفة، وهرع للخارج متجهاً نحوهما.. تعاون مع المهندس الدياسطى على حمل الجسد فاقد الوعى إلى داخل الكابينة القريبة، وقبل أن يعتدل ليأمر الكمبيوتر بالاتصال بالقسم الطبى، سمع تلك التكة الخافتة خلفه مباشرةً.. أدار رأسه ليلمح تلك الحلقة المظلمة، ولجزء من الثانية ميّز اللون الأسوَد لمسدس زميله المغشى عليه..

وفى الجزء التالى من الثانية، سمع الصوت المكتوم للطلقة التى غادرت اسطوانة كاتم الصوت لتستقر فى جمجمته.

*****

«خلال هذين العقدين اللذين استغرقهما إعدادنا للثورة الجديدة، تغير شكل العالم.. أصبح أكثر وضوحاً وسفوراً فى ظلمه وبشاعته.. أصبح امتصاص دماء الضعفاء لصالح الأقوياء شرعياً بقوانين ودساتير وعقود مكتوبة.. تحميه المؤسسات الدولية والمحلية.. وعليه، فبإرادة من الأنظمة الحاكمة، وبتواطؤ كامل من الطبقات العليا والوسطى من الشعوب، أصبح –فعلياً- نصف سكان العالم يعيشون على أنين وآلام النصف الآخر».

*****

عددُ من الأجسام الصلبة، حلقية الشكل، تطفو على سطح أمواج البحر المتوسط.. حجمها صغير، وسطحها معتم لا يعكس ضوء القمر أو النجوم، لدرجة أن ناقلة Egy- Nergy العملاقة تدنو منها من دون أن يرصدها أى من بحارتها أو أجهزتها.

*****

(لقطات متتالية على الشاشة المجسمة فى الخلفية تمثل مناظير وصوراً بالأقمار الصناعية لمزارع استخلاص السيال الحيوى.. المبانى والمحولات والأسوار الخرسانية الشاهقة).

«المزارع.. مزارع الطاقة، حيث يتم تمزيق الأجساد داخل الماكينات لانتزاع السيالات الحيوية وتحويلها لطاقة كهربائية.. أصبحت منتشرة فى قارات العالم الست.. تهدر آلات المصانع.. تتألق أنوار المدن العملاقة

ذات الشوارع والمولات.. يلهو الأطفال.. يتناجى العشاق.. يُعالَج المرضى.. تنمو شجرة الحياة على موسيقى الأنصال الحادة إذ تمزق لحم رجال ونساء لا ذنب لهم إلا أنهم فقراء».

(فيديوهات على الشاشة المجسمة فى الخلفية لأجسادٍ تتلوى ألماً).

«طُرِدوا من جنة مدن الطبقات الوسطى فى أمريكا وأوروبا وشمال إفريقيا وشرق آسيا.. إلى أحراش أمريكا الجنوبية، وغابات وثلوج آسيا، أدغال وصحارى إفريقيا».

(صورة لخريطة العالم، وثمة نقاط عديدة بالمئات، حمراء اللون، موزعة بكثافة فى إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، تخرج منها خطوط حمراء تمتد وتنتشر فى بقية مناطق وقارات العالم، تتكاثف وتتشابك حتى تتلون الخريطة كلها بلون أحمر دموى).

*****

صافارات الإنذار تشق صمت وظلام الليل، وتتداخل مع الصيحات الهادرة المنبعثة من أفواه بَصَلة والمئات من رفاق عشيرته إذ احتشدوا على بعد أمتار من حافة منطقة الألغام التى تفصلهم عن الأسوار المحيطة بحدود المحافظات.

وعبر المناظير المقربة والشاشات الهولوجرامية، رآهم الجنود من أبراج الحراسة، وضباط حرس الحدود فى مكاتبهم، يجلبون عدداً من الأنابيب الأسطوانية

يحشونها بأشياء لم يميزوها.

تساءل أكثر من قائد لأكثر من منطقة، غير مُصدِق، وهو يراقبهم عبر الهولوجرام إذ يرفعون فوهات الأسطوانات بزاوية حادة لأعلى:

- هُمَ بيعملوا ايه؟!

ومع آخر حروف سؤاله، دوت عشرات الأصوات المكتومة للقذائف التى غادرت فوهات الأسطوانات بزاوية حادة شبه قائمة لتقطع عشرات الأمتار لأعلى فى السماء المظلمة، قبل أن تتباطأ سرعتها، ثم تستسلم للجاذبية الأرضية، وتهوى بزاوية حادة مماثلة، لتسقط فى قلب المسطح المزروع بالألغام.

*****

«حسناً.. آن لهذا الكابوس أن ينتهى».

*****

المهندس الدياسطى يجلس إلى لوحة المفاتيح فى غرفة الأمن بجراج المبنى الإدارى لـ Egy- Nergy.. تجرى أصابعه على المفاتيح، بينما نظرة جامدة تظلل عينيه المثبتتين على الرموز المتتالية على الشاشة الهولوجرامية.

*****

«من نحنُ؟

نحنُ مجموعة من الأشخاص يرفضون العالم فى صورته البشعة القائمة، وهَدفهم هو عالم جديد لا يعيش فيه الإنسان على ألم أخيه الإنسان.. هَدفنا: عالمُ

أفضل».

*****

صافرات الإنذار تدوى على سطح ناقلة Egy- Nergy فى عَرض البحر، إذ التقطت راداراتها الأجسام المجهولة التى تقطع مسارها.. الارتباك يسود السطح، ويتناقش القبطان بعصبية مع ضباطه حول طبيعة الأجسام، وإن كانت ثمة جدوى من محاولة تعديل المسار.

*****

«لدينا رسائلُ ثلاث».

*****

هَوَت عشرات القذائف على المنطقة المزروعة بالألغام، والتى تفصل الأسوار المحيطة بحدود المحافظات عن الصحراء الشرقية، فى اثنى عشر موضعاً بطول وحول وادى النيل.. وعلى ارتفاع خمسة عشر متراً، تطايرت من كل قذيقة عشرات الأجسام الدقيقة، وتناثرت لتغطى كل مسطح المنطقة الملغومة تقريباً.

انفجرت الألغام بمجرد أن اصطدمت بها الأجسام الدقيقة الساقطة من عل.. مئات الألغام انفجرت بدويِ هائل بَلَغ مسامع أهالى القرى والمراكز الحدودية المتاخمة للحدود، سقط له أرضاً الجنود فى أبراج الحراسة، وتراجع ضباط حرس الحدود متفادين شظايا زجاج نوافذ مكاتبهم التى تهشمت إثر الانفجارات.

وقبل أن تتلاشى أصداء الانفجارات، فى المواقع الاثنى عشر، تعالت صرخات عشائر الهمج، ورآهم

الضباط والجنود والمراقبون يركضون بالمئات وربما بالآلاف على الرمال، وسط نيران الألغام، وهم يصرخون بهياج.. ومن ورائهم برزت الشاحنات العشر، تجاوزتهم بسرعة، واندفعت نحو أسوار الأسلاك الشائكة.

- إفتحوا النار.

انطلق الأمر هادراً من بين شفاه قادة حرس حدود المحافظات الاثنى عشر فى أزمنة تكاد تكون متطابقة، لتهدر بعدها بأجزاء من الثانية، أصوات طلقات الأسلحة الأوتوماتيكية.

*****

«رسالتنا للأنظمة والحكومات:

راهنا قديماً على كل ما ادعيتم تمثيله من قيم واحترام للحياة البشرية وحقوق الإنسان والعدل والمساواة، فكانت النتيجة أن خذلتمونا وتنكرتم لكل هذه القيم، وغضضتم الطرف عن الدماء التى أغرقت أرض مصر فى أفظع مذبحة جماعية عرفها التاريخ.. ومن أجل الاستقرار والمصالح والمكاسب السياسية والاقتصادية، أقمتم أنظمتكم على أساس من أجساد المعذبين داخل مزارع Egy- Nergy.

حسناً.. لا شيء شخصى هنا.. فقط وعينا الدرس وأدركنا طبيعة المعادلة السياسية التى أسقطتنا فى الماضى، وسنلعب هذه الجولة وفقاً لها.

السادة رؤساء وملوك وسلاطين العالم..

أنظمَتكم ودولَكم تواجه خطراً غير مسبوق..

ستسمونه كذباً إرهاباً، وستطلقون العنان لآلاتكم الإعلامية الجبارة لتفرد له ساعات البث التلفزيونى والألكترونى لمهاجمته وتفنيده. ستمارسون عملكم الأزلى فى تزييف الحقائق وخداع الشعوب.. ولكن لا شيء سيفيد هذه المرة يا فخامة الرؤساء والملوك ورؤساء الوزراء، لأننا درسنا نقاط قوتكم وضعفنا جيداً. وإذا كنتم قد لعبتم قديماً على رغبة الشعوب فى الاستقرار وخوفها من التغيير، فهذا دورنا فى الرهان على نفس الكارت.

ضرباتنا لن تتوقف لمنظومة الطاقة التى بنيتم عليها أنظمتكم، وثقوا بأننا نملك من القوة والتجهيز ما يحقق لنا هدفنا. سيكون عليكم أن تواجهوا شعوبكم بعجزكم عن توفير الاستقرار والأمان. هذه الشعوب التى ارتكنت للدعة والرفاهية لعقدين كاملين، لن تتحمل الحرمان طويلاً، وستجدون أمامكم فى الشوارع والميادين، مشاهد قديمة لم ترونها منذ ربع قرن».

*****

فى المواقع الاثنى عشر بدون استثناء، انهمرت نيران الأسلحة الأوتوماتيكية من أبراج الحراسة المنتشرة على طول الشريط الحدودى. ورغم تساقط العشرات منهم جثثاً، إلا أن المهاجمين استمروا فى الركض على رمال المنطقة العازلة التى انفجرت ألغامها، باتجاه أسوار الأسلاك الشائكة، والصرخات الهادرة تندفع من بين أسنانهم لتتداخل مع دَوِى الطلقات القادمة من أعلى

كالمطر، وعواء صافرات الإنذار.

وبينما هرع الطيارون نحو طائرات الهليوكوبتر الرابضة فى مواضعها بالاثنى عشر موقعاً، بدأ سقوط العساكر من أبراج الحراسة –لأول مرة- بنيران عكسية قادمة من أسفل.. من أسلحة حَمَلها المهاجمون القادمون من قلب الصحراء.. كيف ومتى حصلوا عليها؟ لم يملك أحد ترف التساؤل، وبالذات مع توالى سقوط الجنود.

جرى كل شيء بسرعة شديدة، فبيما كانت الاستغاثات تتدافع لقيادات الدفاع، ومراوح الطائرات الهليوكوبتر تدور استعداداً للقيام بدورها فى صَد هذا الهجوم غير المسبوق، كانت الشاحنات قد اخترقت سياج الأسوار الشائكة فحطمت جزءاً من محيطه، ثم لم يلبث المهاجمون أن بلغوا هذه الثغرة الضخمة.

عبروها، وتدفقوا بالآلاف داخل حدود المحافظات.

*****

«ستفكرون أننى مجنونة.. أو مرتزقة تبحث عن المال.. ستنبش مخابراتكم وأجهزتكم الأمنية الأرض بحثاً عن طرف خيط يقودهم إلىّ.. ولن يعثروا على شيء.. كل هذا مضيعة للوقت واستنفاذ لرصيدكم وتعظيم للتهديد الذى يضرب جذور أنظمتكم.

ما أعرضه عليكم قد يكون صعباً ولكنه ليس بمستحيل.. أوقفوا التعامل مع Egy- Nergy. توقفوا عن التهام أشلاء البؤساء فى مزارع الطاقة. أنا لا أهذى

ولا أحلم ولا أمزح. أتكلم عن منظومة عالمية جديدة للطاقة، تتجاور فيها الحلول التقليدية القديمة مع حلول جديدة مبتكرة. سيكون هناك الكثير من الارتباك.. الكثير من الضجيج.. الكثير من الخراء.. ولكن كل هذا يهون أمام خطر التفكك والفوضى الذى سيهدم أنظمتكم، وسنستميت نحنُ فى تحقيقه حتى تتوقفوا عن قتل الناس.

الوقت يمضى، ونحن لن نهدأ أو نتراجع، وخسائركم ستتضاعف فى كل دقيقة تتأخرون فيها فى اتخاذ القرار الصحيح».

(على الشاشة الهولوجرامية وراءها، بَث مباشر بالقمر الصناعى لانفجار عدد من الألغام البحرية فى بدن ناقلة Egy- Nergy فى عَرض البحر الأبيض المتوسط، وغرقها).

*****

«رسالتنا للشعوب هى:

معركتنا ليست معكم.. لم نخرج للإضرار بِكم ولتخريب حيواتكم وأوطانكم.. ولكنكم ارتضيتم أن تعيشوا على حساب آلام الآخرين، وانتظمت حياتكم على إيقاع الأنين.. تحصنتم داخل أسوار مدنكم، تاركين الملايين فى الصحارى والأحراش خارج هذه الأسوار تحت رحمة سفاحى Egy- Nergy.. يسمنونهم ثم يذبحونهم كالدجاج فى ماكيناتهم.. فَصِرتم شركاء للمجرمين والسفاحين فى جرائمهم، لذا ولضبط الميزان،

حَق عليكم أن تتحملوا نصيبكم مما عَمِلَت أيديكم.

ستكون فترة عصيبة، عليكم أن تتحملوها حتى تسقط منظومة Egy- Nergy وتحل محلها منظومة أخرى أكثر عدلاً ورحمة. لن تكون هناك طاقة. لن تكون هناك رفاهية. لن تكون هناك خدمات. لن يكون هناك أمن وأمان. كارثة قطار شَرم الشيخ لن تكون الأخيرة. لن تأكلوا وتشربوا وتناموا آمنين قريرى الأعين بينما الأبرياء والمستضعفون يتمزقون إرباً فى مزارع الطاقة. من أجل عالمٍ أفضل ستعانون وتدفعون ثمن طمس التاريخ الملوث بالدم والعار.

لسنا ضدكم. ولم نخرج للإضرار بكم وتخريب حيواتكم وأوطانكم. ولسلامتكم، ابتعدوا عن منشآت ومقرات ومحطات تموين Egy- Nergy.

ما يمكننى أن أنصحكم به مخلصة هو التعجيل بالخلاص.

انزلوا الشوارع. احتشدوا. تظاهروا ضد Egy- Nergy كما فعلنا قديماً. طالبوا أنظمتكم السياسية برفع المعاناة عنكم بأن تتوقف عن التعامل مع Egy- Nergy وأن تبدأ على الفور فى الانخراط فى منظومة جديدة. اضغطوا.. طهروا أنفسكم من العار الذى لطخكم به جيل الآباء قبل خمسٍ وعشرين عاماً. افعلوها، إن لم يكن انتصاراً لآدميتكم، فرحمةً بأنفسكم، وتعجيلاً بالفَرَج.

وإلى ذلك الحين، ستعانون».

(على الشاشة الهولوجرامية من ورائها، بَث مباشر

بالقمر الصناعى لاجتياح آلاف المهاجمين من عشائر الهَمَج للقرى الواقعة على حدود المحافظات والمدن فى مصر والصين وعدد آخر من الدول الإفريقية والأمريكية الجنوبية).

*****

«رسالتنا الأخيرة للسفاحين:

كل منشأة، كل موظف، كل عامل فى Egy- Nergy حول العالم، مهما حَقُرَ شأنه، هو هدف لنا. إن لم يسقط فى هذه اللحظة، فهو عرضة للسقوط فى اللحظة التالية.. لا أحد بمأمن.. رجال ونساء.. شباب وشيوخ.. كفاكم ما ملأتم به بطونكم من أجساد البؤساء المعذبين فى مزارع الطاقة.. لا أحد بمأمن، إلا من يلزم داره ويبعد عن هذا الكيان المجرم.. انجوا بأنفسكم..

وقد أعذر من أنذر.

أما الرؤوس الكبيرة».

*****

إطارات سيارة فان سوداء ذات زجاج داكن تدور بسرعة متزايدة لتنهب أسفلت الشوارع بباراديس هيتس.

*****

«جوليا فرانكلين..

جان بيير تيرار..

راجا جوسنال..

وونج لى..

ديمترى إيفانوفيتش

و..

آدم المصرى».

*****

اندفعت الفان السوداء بسرعة شديدة باتجاه البوابة التى تتوسط أسوار المبنى الإدارى لـ Egy- Nergy ببارادايس هايتس.

رصدها كمبيوتر الأمن، لدى تجاوزها حاجز خمسمائة متر تفصلها عن البوابة الخارجية، فأطلق إنذاراً انتبه له طاقم الحراسة، ورأوا الفان المندفعة كالرصاصة.

عَوَت صافرات الإنذار، وانهمرت نيران أسلحة الأسوار الأوتوماتيكية نحو الهدف الذى رصده الكمبيوتر، ولكن جسد الفان المدعم بالدروع تلقى الطلقات من دون تأثر.

ثم كانت الطامة الكبرى، عندما فوجِئَ أفراد طاقم الحراسة المتأهبين والمدججين بالأسلحة، بالبوابة المصفحة المجهزة لصد هجوم بالصواريخ، تنفتح أمام أعينهم أوتوماتيكياً. فى مكتبه، نقل رئيس الطاقم عينين مذهولتين بين هولوجرام المشهد عند البوابة الخارجية، وبين شاشة الكمبيوتر التى تنبئ بأن أمراً داخلياً يحمل كود أحد موظفى الشركة، محمد الدياسطى مدير الصيانة تحديداً، هو الذى تسبب فى فتح البوابة.

صكت أصوات الطلقات المتتالية أذنيه. وثب من مقعده إلى النافذة العملاقة التى تحتل جداراً كاملاً من

حجرة مكتبه، والمطلة على الساحة الأمامية الشاسعة الممتدة أمام واجهة المبنى الأمامية، لتقع عيناه على الفان الداكنة تمرق عبر مصراعى البوابة الألكترونية التى تتوسط الأسوار. الرصاص ينهمر عليها من مسدسات رجال الأمن.. يتقافزون من أمامها.. يحاول أحدهم الاستئساد والثبات أمامها فاتحاً نيران سلاحه، قبل أن تدهسه عجلاتها بلا رحمة..

عجلاتها التى كانت فى اللحظة التالية تتسلق الدرجات الرخامية القليلة، ثم تخترق الأبواب الزجاجية لمدخل البناية.

*****

«فأقول لهم شيئاً واحداً أخيراً».

*****

دوى الانفجار الهائل، فارتجَت مبانى بارادايس هايتس كلها لأول مرة فى تاريخها، وتحطمت أغلب نوافذها، وشاهد كل من تصادف وجوده على كورنيش الأسكندرية وشواطئ قرى الساحل الشمالى، كرة ضخمة من اللهب تنبعث فى قلب سماء المنتجع الفاخر.

وفى قاعة مكتب آدم المصرى، انتفض جسد عمرو وشعر وكأن الانفجار دوى على بعد خطوات منه.. انكفأ أرضاً وهو يحمى رأسه بذراعيه من شظايا زجاج النوافذ المهشمة. أما آدم المصرى، فظل ثابتاً فى مكانه.. رفع عمرو عينيه إليه، فرآه جالساً فى مقعده، منتصب الظهر، لم تمسسه شظية واحدة من الشظايا المتطايرة من

زجاج النافذة التى تبعد عنه خطوات قليلة.. عيناه لا تفارقان العينين الهولوجراميتين لأمل الشافعى وهى تقول بصوت قاطع:

«بدأت القيامة.. قيامتكم!».

*****

(قبل خمس وعشرين عاماً):

الإيقاع الذى صنعته ضربات الكفوف على ظهور الدفوف صنع قدراً محسوساً من البهجة، انساب من قلب الميدان حيث تتحلق خيام المعتصمين، إلى أركانه الستة، وساعدت السماعات والمايكروفونات المنتشرة هنا وهناك على وصول الإيقاع المبهج إلى مسامع الشجعان الذين تمترسوا لحماية الميدان من هجمات الداخلية عند مداخل شوارع قصر العينى ومحمد محمود وطلعت حرب وقصر النيل وشامبليون وميدان عبد المنعم رياض وكوبرى قصر النيل..

ومن مقر إحدى الشركات السياحية بالطابق الأرضى بإحدى البنايات المطلة على الميدان، تصاعدت روائح شهية، اقترنت بخروج أوانى طهى عملاقة من الألومنيوم تتصاعد منها أبخرة ساخنة، وانهمكت مجموعات من الشبان والشابات فى تعبئة الآلاف من أطباق الفوم الأبيض بأنصبة متساوية من حبيبات الأرز الأبيض، وقطع من لحم الضأن المسلوق، وأرغفة الخبز البلدى.

روح محببة من البِشر و المودة والدفء سادت بين الجميع، وانعكست على ابتساماتهم الراضية وعيونهم التى التمعت ببريق بهجة وسعادة، إذ تتخطف الأيدى الأطباق البيضاء الرقيقة التى انتشر الشباب ليوزعوها على المعتصمين.. الكثير من الـ «مبروك» والـ «ألف

مبروك» و«مين؟» و«ولد والا بنت؟» و«ماشاء الله لا قوة إلا بالله» و«يتربى فـ عزه»..

الأشداق متكورة، والأسنان والقواطع والضروس تمضغ وتطحن بحركة ميكانيكية منتظمة، شهية طيبة، وضحكات هنا وهناك، والحمد لله تملأ القلوب.

وهناك، فى قلب الميدان، كانوا متحلقين حول واحدة من جذوات النار التى انتشرت فى مواضع عِدة طلباً للدفء فى برد يناير القارس.. يأكلون ويتضاحكون.. فرغ أحمد بشير الهلالى من التهام محتويات طبقه سريعاً رغم بنيانه النحيف، تجرع من علبة « كولا كان» بين أصابعه، ثم قال محدثاً خالد عباس الذى جلس عن كثب يداعب حبيبات مسبحته الكهرمانية الزرقاء بأصابع يده السليمة (الأخرى مثبتة بجبيرة مربوطة إلى كتفه بعد أن اخترقتها رصاصات الداخلية إثر استبساله فى صد محاولتهم فض الاعتصام، قبل أيام):

- اللى اعرفه ان العقيقة خروفين للولد وخروف للبنت.

ودار بسبابته ١٨٠ درجة مشيراً للميدان من حولهم مستطرداً بابتسامة خبيثة:

- عايز تقولى ان كل اللحمة دى، خروفين بس يا شيخ خالد؟!!

ضحِك الشاب ذو اللحية الخفيفة ضحكة خافتة وقال:

- الله أكبر يا أستاذ بشير.

تدخلت أمل قائلة بابتسامة عريضة:

- بشير مش بيحسِد.. هوَ بيخَرجِم بس على خناقة

أيديولوجية يهضم بيها اللقمة اللى أكلها.

هتف بشير ضاحكاً:

- لا المرادى انا بَحسِد بجد.. فلوسهم كتيرة أوى يا أمل!

ضَجوا بالضحِك، وساءل بشير خالداً:

- بأمانة ربنا يا شيخ.. دبحتوا كام خروف؟

أجابه الشاب بابتسامة هادئة:

- هَسألَك الحاج.. هوَ اللى شحنهم م المزرعة على هنا.

لَوَح بشير بكفه الخالى فيما حوله قائلاً بدهشة مصطنعة:

- بس دا فيه عيد أضحى داخل كمان ٣ أسابيع! السؤال هنا: هل فرحة الدكتور محمد عباس بحفيده تساوى انه يضحى بالسيزون الغالى دا؟

رغم الصخب المحيط المنبعث من خيام ومجموعات المعتصمين، إلا أن نوعاً محسوساً من الصمت ساد للحظة ثقيلة بعد كلمات بشير المشحونة بسخرية استشعرها الجالسون، واربَدَت لها ملامح خالد، قبل أن يقول بهدوء:

- العقيقة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحاج عباس انتهزها فرصة لإطعام أكبر عدد ممكن من المساكين طمعاً فى الثواب والأجر من الله.

نقلت أمل عينيها بين وجهه الجاد وملامحه الصافية، وبين الابتسامة الساخرة التى ارتسمت على شفتى بشير وهو يقول متهكماً:

- دا غير طبعاً انه فـ ظروف زى دى يُعتبر جهاد بالمال برضه.

مالت أمل على أدهم الجالس صامتاً إلى جوارها، وهمسَت:

- أنا مش لسه قايلة انه بيحرجِم على خناقة أيديولوجية؟

خفض أدهم علبة الكولا عن شفتيه، وهز رأسه من دون أن يعلق، بينما عيناه مثبتتان على بشير وخالد الذى قال:

- وجهاد بالمال يا أستاذ بشير.. ربنا يتقبل بس.

-قولتيلى انتو معرفة قديمة؟

تساءل أدهم وهو يومئ إلى بشير، فأجابته أمل:

- من أيام الجامعة.

رفع حاجبيه قائلاً:

-بس هو محامى.. وانتى إعلام!

قالت:

- بشير الهلالى كان من رموز العمل الطلابى، وكان سهل تلاقيه فـ أى فاعلية فـ أى كلية فـ أى وقت.

وارتسمت ابتسامة حالمة على شفتيها وهى تستطرد:

-كان شعلة نشاط.. وكل مكان يروحه لازم يعمل قلق.

أدار أدهم رأسه إليها، ورمقها بنظرة متفرسة، قبل أن يقول مبتسماً:

- دى مش مجرد معرفة بقى.. دا كمان فيه إعجاب!

انتبهت للهجته وما وراءها، فتلاعبت النشوة فى

أعماقها وطَفَت على ابتسامتها وهى تقول:

- بنات كتير بيحبوا الاستايل الشجاع دا.

قال بدهشة مصطنعة:

- وياترى الاستايل الشجاع دا كان بيحب إيه؟!

غمزت بعينها قائلة:

- عيب عليك.. كان واقع لشوشته.

-فعلاً!

قالت ضاحكة بدلال:

-أهو عندك اهو اسأله.

-طب مَحصَلش ليه

(تبتسم): - هو ثورى وانا إصلاحية.

-والإصلاحية دى بتعمل ايه هنا فـ الثورة؟!

لم ترد.. تجمدت الابتسامة على شفتيها، وذابت عيناها فى أثير الذكريات.

لم يَغِب هذا الانفصال عن عينيه الثاقبتين، فصمت بدوره لثوانٍ، تأمل خلالها انعكاس شعلة النار المتوهِجة عن كَثَب، والذى ترقرق على بؤبؤى عينيها الأسودين السابحين.. رغم أنه لم يكُ يبعد عنه بأكثر من ثلاثة أمتار، خُيِل له أن صوت خالد يأتى إليه من بعيد، ممتزجاً بمؤثرات أخرى كثرثرة وضحكات المعتصمين المنتشرين فى المكان، وهتافات بعضهم ممن أخذتهم الحماسة وراحوا يطوفون بأركان الميدان مرددين هتافات التنديد بـ Egy- Nergy.

- لا إله إلا الله.. حروف قليلة ولكنها ثورة حقيقية من

أجل الحرية فى عالم سادته العبودية.. من أجل العدل فى عالم ساده الظلم والجور.. من أجل الرحمة فى عالم تحكمه القسوة.

- يمكن بتكفر عن غلطة قديمة.

قالتها بصوت خافت داعب أذنيه، بينما لا تزال ترمق الماضى بعينين غائبتين.. رمقها بنظرة طويلة متفحصة وكأنه يسبر أغوارها ببصره، ثم غمغم متسائلاً:

- غلطة إيه؟!

أطرقت برأسها أرضاً لثوان، قبل أن تتسلل أصابعها إلى جيب سترتها، ثم تخرج حاملة علبة سجائرها.. دست واحدة بين شفتيها، بينما تبحث بأصابع يسراها عن قداحة.

- معاك ولاعة؟

ومع آخر حروف سؤالها، اشتعل الطرف الحر لسيجارتها تلقائياً أمام عينيها.. ومضة من الدهشة لمعت فى عينيها، قبل أن تبتسم وتسحب نفساً طويلاً من السيجارة توهج له طرفها، ثم تدفع بسحابة من الدخان عبر طاقتى أنفها، وتهز رأسها لأدهم قائلة:

- مَبقِتش اندهِش على فكرة.

ابتسم بدوره من دون أن يرد.. تناول منها السيجارة التى مَدَت بها أصابعها إليه، أشعلها بذات الكيفية، وطفق ينافسها فى إطلاق سحب الدخان.

(لم يلحظ أى منهما العينين الخضراوين اللتين تقرآن حركة شفاههما من على بعد بضعة أمتار مُذ بدأت

المحادثة بينهما، وقد اتسعتا من فرط الدهشة لدى اشتعال طرفى السيجارتين من دون قداحة أو أعواد ثقاب).

قال خالد مخاطباً بشير:

- هى دى الحرية الحقيقية.. ألا يكون المرء عبداً لمخلوقٍ غيره أياً كان، وتكون عبوديته للخالق وحده عَزَ وجَل.

والإسلام.. الثورة القادمة من عند الله لكسر قيود عبودية الناس للناس، وقصرها على العبودية لرب الناس، وحده لا شريك له.

- التغييب.

قالتها بحسمٍ، وهى تنفث دخان سيجارتها.. مرت لحظة من الصمت بينهما، أدارت خلالها عينيها إليه لتجده يحدق فيها مستطلعاً المزيد، فتابعت:

- أنا فضِلت سنين بَشتغل فى إنتاج برامج ترفيهية.. برامج المسابقات العبيطة اللى غرقت الفضائيات آخر كام سنة.. عارفها؟

أومأ برأسه وهو ينفث دخان سيجارته بدوره.. سحبت نفساً جديداً وقالت:

- كنت عايشة لوحدى بعد وفاة ابنى وجوزى، وكان لازم اعمل حاجة.

-ومن المنطلق دا.. أى ثورة ضِد أى ظلم، هتلاقى ليها أصل فى الإسلام يا أستاذ بشير، بما فيه ثورتنا ضِد Egy- Nergy.

من المنطلق دا.. ثورتنا إسلامية.

دى قناعتنا، وانت ليك قناعتك اللى بنحترمها، واحنا أصلاً دلوقتى معركتنا واحدة، ومفيش مجال تتضارب فيه قناعاتنا المختلفة.

دفعت المزيد من الدخان وقالت:

- شوية شوية مكتبى بدأ يتعرِف عند أصحاب المحطات، وبدأوا يدونى شغل انفذهولهم.. الفلوس كانت كويسة وسريعة.. كان ممكن افضل كدا لغاية ما اموت.. لحَد ما ربنا حَط فـ طريقى احمد خشبة.

وصمتت للحظات عادت خلالها لتغوص بعينيها فى فيض من الصور والذكريات والأصوات، قبل أن تردف بشرود:

- الله يرحمه.. عن طريقه عرفت قضية Egy-Nergy.. رجلى جَت فـ اللعبة.. ومن ساعتها عالمى، زى ما بيقولوا، انقلب رأساً على عقب.. سِبت شغلى وبيتى، واتعرضت لمطاردات من الشركة ومن النظام لمدة سنتين.. سنتين بَتنقِل من مكان لمكان ومن محافظة لمحافظة.. كنت مع الجروب اللى معايا بنحاول نحشد لمشهد زى دا.

وأومأت برأسها باتجاه الميدان المحتشد بالمتظاهرين.

- خلال السنتين دول، اكتشفت الحقيقة المرة.. إن الناس، الشعب، فـ ماتريكس تانى منفصل عن العالم الحقيقى.. عايشين بكل كيانهم جوا البرامج اللى على نفس نمط البرامج اللى بَنتِجها.. الأغانى والرقصات،

الألوان والأحلام والفلوس الكتيرة اللى بنوعِدَك انها هَتدخل جيبَك لو اتصلت على الرقم بتاعنا واشتركت معانا وجاوبت على أسئلتنا السهلة البسيطة.

وارتسمت ابتسامة مريرة على شفتيها وهى تعلق ساخرة:

- أسئلة فى مستوى الطالب المتوسط.

إبراهيم جودة، المراسل الصحفى العشرينى، يلتهم طعامه بنهمٍ واضح، وإلى جواره تربع الشيخ فتحى، الشاب الثلاثينى الملتحى الذى تعلو عينيه الخضراوين وحاجبيه الكثيفين، زبيبة صلاة ضخمة.. يرشف الشاى الساخن من كوب بلاستيكى مستقر بين راحتيه، يتابع المناظرة بين بشير وخالد بنصف اهتمام، بينما تركيزه الحقيقى على ما يدور بين أمل وأدهم.

- يا شيخ خالد، انت راجل طيب.

قالها بشير بلهجة تفوح منها السخرية.. رمقه خالد بحدة، بينما هو يردف:

- لو سألت بابا فـ ساعة صفا كدا، هَيقولك ان البيزنس بتاعه كله مبنى على الكلمة دى.. إسلامية.

-من فضلك يا أستاذ بشير.

تركز بصر أدهم على وجه أمل المستدير وهى تقول بجمود:

- مَحسِتش بحجم جريمة التغييب اللى اشتركت فيها غير لما بدأت رحلة الكفاح ضد Egy- Nergy.. سنة كاملة بنحاول نتواصل مع قطاعات شعبية، والنتيجة

أقرب للصفر.. مش بسبب الملاحقات الأمنية.

-أومال؟!

-بسبب ان الناس كانت بتسمعنا كأننا بنتكلم عن بلد تانية.

لَوَح بشير بعلبة الكولا المستقرة فى راحته أمام عينى خالد، وهو يتابع:

- حتى الكولا كان اللى الشركة بتاعتكم بتنتجها.. مكة كولا.. منتج رديئ وغير صحى، ولا يُقارَن حتى بالكوكاكولا المحلية.. بس عشان دا «بديلك (الشرعى) عن البيبسى والكوكاكولا، المنتجات الغربية الصليبية الصهيونية».. بيشتغل وبيوزع وبيبيع زى الفل.. عشان الناس تشرب وتنبسط وتدخل الجنة باتنين تلاتة جنيه تَمَن الكانزاية دى. والدكتور محمد عباس وشركاؤه يكدسوا الملايين فى حساباتهم فـ البنوك.. يعنى رأسمالية متوحشة برضه، بس بلحية وبتفوح منها ريحة المِسك.

أطلقَت أمل الدخان مجدداً وقالت:

- محدش اهتم.. بالعكس.. أغلب ردود الأفعال كانت عدائية وعنيفة.. كأنهم بيعترضوا علينا عشان مش عايزين يعرفوا.. والإعلام كان تحت سيطرة النظام بالكامل.

وتنهدت مرددة:

- سنة كاملة.. كنت على وَشَك اليأس.

سألها أدهم بخفوت:

- وإيه اللى جَد؟

صمتت للحظة، ثم أدارت عينيها إلى خالد الذى كان يقول مخاطباً بشير بانفعال:

- إحنا مش بنخدع حَد.. إنتو النخب العلمانية والليبرالية اللى مش فاهمين الشعب دا بيفكر ازاى.. من فضلك سيبنى اكمِل.. الشعب المصرى متدين بطبعه.. متدين.. ومش بيقبل حد يخاطبه خارج الإطار الدينى والروحانى اللى حياته مرتبطة بيه.. عشان كدا بتلاقيه دايماً مُلتَف حوالينا وبيقبل منا اللى مابيقبلوش من غيرنا.. عشان عارف اننا منه وبنتكلم نفس لغته.. عشان عارف اننا فى كل اللى بيصدر منا بنبتغى وجه الله عَز وجَل.. سواء كانت مياه غازية أو منتجات لحوم أو أفكار أو (ملوحاً بكفه فيما حوله) ثورات.

أومأت برأسها تجاهه وهى تهمس لأدهم:

- حصل اللى بيقول عليه.

نظر لها أدهم مستفسراً، فاستطردت:

- بشير اتصل بيا.. قال لى ان الدكتور محمد عباس، رجل الأعمال والقيادى الإخوانى، والد خالد، طالب يقابلنا.

-وقابلتوه؟

أومأت برأسها وهى تقول:

- بعد سلسلة إجراءات أمنية بوليسية، وتبديل عربيات، وندخل من مول ونخرج من بابه الخلفى، وفى الآخر قابلناه فى شقة صغيرة ورا العمارة اللى فيها مكتبه فى

مدينة نصر.

حَدَق فى وجهها منتظراً المزيد، ولكنها أطبقت شفتيها وغابت بعينيها وأذنيها مجدداً فى أثير الذكريات.

«مش هَطوِل عليكى يا أخت أمل.. إحنا متابعين تحركاتِك من فترة طويلة.. actually من ساعة حادث اغتيال الباشمهندس احمد خشبة فى اسكندرية، ورغم كل الجهود اللى بذلتيها انتى والأخ بشير خلال الستة اللى فاتت، إلا إن النتيجة ضعيفة جداً.. ليه؟ لأنكم لوحدكم، رغم عدالة قضيتكم اللى هىَ قضية كل المصريين وكل الشرفاء فى العالم.. مجهوداتكم فردية، والنوع دا من المعارك محتاج استراتيجيات مختلفة».

التقطت نفساً عميقاً من الهواء البارد ملأت به صدرها ثم تابعت:

-قال لنا انهم فى الجماعة على استعداد يدعمونا ويحطوا إمكاناتهم واتصالاتهم لخدمة قضيتنا.

«الـ offer بتاعنا هو اننا نشيل الليلة.. بمعنى اننا هَنحُط كل إمكانياتنا كجماعة ليها أعضاء وأنصار ومحبين فى كل أنحاء العالم، فى خدمة القضية.. إحنا عندنا إمكانيات مادية وإعلامية وسياسية لم نكشف عنها بعد، بالإضافة لمخزون بشرى لا ينضب.. كل دا هَنوجهه لتحقيق هدف محدد هو إسقاط Egy-Nergy».

«هَتبقى فيه غرفة عمليات لإدارة المعركة، فيها خبراء استراتيجيين وسياسيين وإعلاميين.. بمجرد موافقِتِك

هَنبتدى نشتغل عليكى طول، على تحوِيلِك من شخص لرمز مناهِض لجرائم Egy- Nergy. رمز الناس تقتنع بيه وتلتف حوله وتمشى وراه لآخر الدنيا».

- مقابل؟

تساءل أدهم، فدفنت أمل ما تبقى من سيجارتها فى الأسفلت المترب وأجابته:

- سألته، واستنكر سؤالى بشدة.

«التاريخ يشهد لنا اننا دايماً كنا فى طليعة الحركة الوطنية يا أخت أمل.. إنتى إعلامية وقارية تاريخ كويس.. إحنا طول عمرنا شايلين قضايا الأمة فى قلوبنا وعقولنا، وعلى مدار الأنظمة الحاكمة، أجيال مننا دفعت الثمن من دماءها وحياتها وأموالها واستقرارها.. ثمن محدش غيرنا يقدر يتحمله، لأننا جماعة ربانية، موصولة بالله عز وجل، وصمودنا مصدره إيماننا».

قال أدهم بلهجة ساخرة وهو ينفث دخان سيجارته:

- وصدقتيه؟

تنهدت قائلة:

- مَكُنتِش املك خيارات أفضل.

«أنصحِك ماتتأخريش فى اتخاذ قرارِك.. اللى ماتعرفيهوش ان الأمن رصدِك بالفعل من أكتر من إسبوعين، ومكتفى بمراقبتِك لغاية ما يتوصل لباقى عناصر الشبكة بتاعتِك، ولولا الإجراءات الأمنية اللى الإخوة نفذوها فى طريقكم لـ هنا ونجحِت بفضل الله فى تضليل المراقبة، كان زمان اللواء جمال المناوى نائب

رئيس الأمن العام بيشرب قهوته معانا دلوقتى».

- وبعدين؟

(بشرود): - بعدين كل اللى انتَ شايفه دا.

أدار عينيه فيما حوله.. فى فتحات الخيام التى يتبدى من بينها ساكنوها وقد تربعوا عاكفين على مصاحفهم.. فى اللحى مختلفة الأحجام والأطوال وربما الألوان، فى اللافتات التى حَمِلَت شعارات الثورة ضد Egy- Nergy والتى انكمشت مساحتها لصالح اللافتات العملاقة البراقة التى حمِلَت الشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» بخط كوفى بديع، وشعار السيفين والمصحف الشهير.. فى مظاهرة المنتقبات التى عبرت عن قرب، وارتفعت منها الأصوات النسوية الرفيعة مرددة المزيد من الهتافات التى تتوعد وتستبشر بقرب نصر الله.

نفث المزيد من الدخان مغمغماً:

- المشهد بيتغير.

أومأت برأسها ببطء، فتابع:

-فين باقى الناس اللى كانت معانا فـ مظاهرات الجمعة اللى فاتت واللى قبلها؟

دارت بعينيها بدورها فيما حولها، قبل أن تستقرا داخل عينيه.. قالت بتخاذل:

- مش كل الناس تقدر تعتصم وتبات فى الشارع.. إستنى عليهم للصبح.

هز رأسه نافياً وهو يقول:

- مش بَتكلِم عن الليلة دى بس، الميدان من ٣ تيام مفيهوش غير (لوَح بكفه فيمن حولهم من ملتحين ومختمرات ومنتقبات) دول.

وثبَت عينيه عليها مستطرداً بحسم:

- اللى بيروَح مَبيرجعش.

لم تعلق.

ظَلَت تبادله النظرات، بينما الميدان من حولهم على حاله من صخب وضجيج وهتافات وخُطب حماسية تجلجل عَبرَ سماعات المايكروفونات المنتشرة هنا وهناك.. مَد كفه ليربت على أصابعها مطمئناً إذ رأى القلق يلتهم ملامحها.

- مَتخافيش.

لمعت عيناها بدموع استطاعت حبسها بصعوبة بينما هو يتابع هامساً:

- طول ما احنا مع بعض، متخافيش.

إبتسامة امتنان شاحبة جَرَت على شفتيها، واستكانت أصابعها فى راحته.

وعلى بعد خطوات، كان فتحى -أخضر العينين- قد نجح فى امتصاص وتصفية الخلاف الذى تصاعد وكاد يتطور لشجار بين بشير وخالد اللذين تصافحا وتعانقا وسط تهليل المحيطين.. قال الأول للثانى مبتسماً:

- نَويت تسمى ابنك إيه؟

ابتسم خالد بدوره وهو يداعب حبيبات مسبحته الكهرمانية الزرقاء قائلاً:

- نِضال ان شاء الله، تيمناً بنضالنا هنا.. نِضال.

ربَتَ فتحى على كتفه السليمة غير المضمدة وهو يقول بودٍ:

- بارك الله لك فيه يا أبا نَضال.

*****

بعد سِت ساعات وخمسٍ وثلاثين دقيقة، انعقد فيديو كونفرانس طارئ ضَم الشركاء الستة المؤسسين لـ Egy- Nergy.

فى غضون هذه الساعات السِت، كان العالم حرفياً قد انقلب رأساً على عقِب. بلغ عدد التفجيرات التى جَرَت خلال الدقائق الخمس التى استغرقها عرض فيديو البيان الذى ألقته أمل الشافعى على الهواء مباشرةً، واستهدَفت مصالح Egy- Nergy، ما يزيد عن المائة تفجير فى عشرات المواضع حول العالم، كما وَرَد فى التقارير الإخبارية التى انهمرت كالسيل. طائرات وناقلات برية وبحرية، محطات تموين السيارات، ومقرات عديدة للشركة، أخطرها تفجير المقر الرئيسى لـ E. N. المصرية فى بارادايس هايتس، الأمر الذى أفضى لسقوط عدد من موظفى ومسئولى الشركة بين قتيلٍ ومصاب.. بالإضافة طبعاً لأعمال الشغب العنيفة التى صاحبت تدفق وهجوم الآلاف من الهمج على القرى الحدودية المحاذية لتجمعاتهم فى كلٍ من مصر وتركيا وتونس والعراق ورواندا والمكسيك والأرجنتين.

هيمنت الأخبار وتطوراتها وأرقامها على مساحات البث التليفزيونى للمحطات الفضائية الإخبارية وغير الإخبارية، مواقع الإنترنت، واشتعلت مواقع التواصل الاجتماعى على الفور بنقاشات وتحليلات ونشر لينكات وأخبار حملت من الحقيقة –للمرة الأولى (!)- أكثر مما

حَمِلت من المبالغة، ربما لأن الأحداث كانت من الضخامة بما غطى وزايد على أية مبالغات.

في ساعات قليلة بدأ العالم ينتبه للصورة الكاملة لذلك الخطر الذى بدأت نُذره تتعالى منذ شهور، وإن ظلت الصورة الكاملة حبيسة أروقة ومكاتب أجهزة الاستخبارات العالمية، التى تتابع تطورات الهجمات المتصاعدة على منشآت وأفراد Egy- Nergy حول العالم.. وانفجرت فجأة موجة من التساؤلات الممزوجة بالرعب حول طبيعة وحجم وقدرات تلك الجهة التى استطاعت تنفيذ عشرات العمليات الإرهابية فى عشرات الأماكن على سطح الكوكب، براً وبحراً وجواً فى توقيت واحد تقريباً، والمدى الذى يمكن أن تصل إليه هذه الجهة فى تهديدها للنظام العالمى.

أُعلِنَ عن انعقاد جلسة طارئة لمجلس الأمن، وأعلِنَت حالة الطوارئ فى العديد من دول العالم، ونزل الجيش فى شوارع العديد من العواصم والمدن للسيطرة على الفوضى التى صاحبت هجمات الهَمج الذين عاثوا فساداً فى أحياء المدن والقرى التى زحفوا عليها.

وفى مصر، استغرق القرار السياسى بنزول الجيش ساعات، عجزت خلالها قوات مكافحة الشغب عن صَد هذا الهجوم الضارى المسلح، وفوجئ المدنيون من سكان المحافظات الحدودية لأول مرة بهذه الكائنات المتوحشة الشبيهة بالبشر تجتاح شوارعهم، بمناظر مرعبة وروائح كريهة وأصوات مخيفة غير مفهومة.

انفجرت الفوضى، وسالت الدماء أنهاراً، وتعالت الصرخات ممتزجة بدَوِى طلقات أسلحة رجال الشرطة وتعزيزات مكافحة الشغب، والتى لم تفلح رغم كل شيء فى احتواء الخطر.. وفى بارادايس هايتس، وبعد تفجير مقر Egy- Nergy، امتلأت الشوارع الفسيحة المحفوفة بالأشجار بمدرعات القوات الخاصة التى انتشر جنودها المتشحون بالسواد والأقنعة حول وداخل المولات والأندية والكومباوندات وفنادق الدرجة الأولى، فى نفس الوقت الذى سرت فيه موجة عكسية محمومة من النزوح من الأحياء السكنية إلى مطار بارادايس هايتس الدولى.

بدا واضحاً انعكاس هذه الحالة من التوتر فى نظرات وكلمات الشركاء الستة، ربما باستثناء آدم المصرى الذى حافظ على رباطة جأشه، والشريك الروسى الذى أخفت ملامحه المحايدة أية انفعالات متوقعة. لساعة كاملة انخرطوا فى نقاش مُطَوَل، استعرضوا فيه إنفوجرافيك كامل للأحداث منذ بدايتها، والنتائج التى توصلت إليها أجهزتهم الاستخباراتية سواء بالعمل الميدانى أو بالتنسيق مع الاستخبارات الحكومية، قبل أن يقول الصينى بغتة:

- هل لى أن أتساءل كيف نجوتم، مسترآدم من تفجير مقركم الرئيسى؟

نفث آدم سحابة من دخان سيجاره، ثم أجاب بهدوء:

- الانفجار دمر المبنى بالكامل.

حدق الشركاء الخمسة -كلُ من مقر شركته- فى صورته الهولوجرامية وقد جلس إلى مقعدٍ وثير واضعاً ساقاً على ساق، ومحاولاً إخفاء توتره بهذا الهدوء وهو يستطرد:

- وهو يبعد بضع مئات من الأمتار عن مقرى الخاص الذى يضم المقر الإدارى الفعلى للشركة.

وفى قاعة مكتب آدم المصرى، انتفض جسد عمرو وشعر وكأن الانفجار دوى على بعد خطوات منه.. انكفأ أرضاً وهو يحمى رأسه بذراعيه من شظايا زجاج النوافذ المهشمة.. أما آدم المصرى، فظل ثابتاً فى مكانه، وعيناه لا تفارقان العينين الهولوجراميتين لـ أمل الشافعى.

تساءل وونج لى، الشريك الصينى، مجدداً:

- لماذا مقركم تحديداً، مستر آدم؟

راحت جوليا فرانكلين، الشريكة الأمريكية،تقضم أظافرها بحركة عصبية بينما تعلقت عيون الجميع بملامح آدم التى ظلت جامدة للحظات، قبل أن تنفرج شفتاه عن الجواب:

- الاختراق حدث بمساعدة من داخل الشركة.. كمبيوتر الأمن أرسل تحذيراً بأن أحد الأكواد الكبرى أصدر أمراً بفتح أسوار المبنى قبيل لحظات من اختراق السيارة المفخخة لها.

قالت الأمريكية بعصبية:

- هذا لا يعطى تفسيراً.

تابع آدم وكأنه لم يسمع احتجاجها:

- لدينا تصور من واقع خبرة سابقة قريبة أن سيطرة ذهنية ما تمَت على عناصر محددة من داخل شركتنا، وأجبرتها على المشاركة فى أكثر من عملية من العمليات الإرهابية الموجهة ضدنا.

قال الهندى جوسنال بصوتٍ رخيم:

- تتحدث عن البطارية ذات السيال الحيوى القادر على الإيحاء، التى هربت من مزارعكم قبل شهور.

أومأ آدم برأسه موافقاً، فتساءل الفرنسى تيرار:

- هل هذا أمر مؤكد؟

أطلق فيضاً من دخان السيجار من طاقتى أنفه الدقيق وهو يجيب:

-نحن نتحرك فى الظلام، مسيو تيرار.. ما هو مؤكد لدينا أن هذه البطارية وقعت فى أيدى أعدائنا منذ زمن، وقد استغلوها كما شرحت أكثر من مرة لتحقيق أهداف خطيرة، كلها داخل مصر، وهو ما يجعلنا نفكر فى دورٍ لها فى العملية الأخيرة قبل ساعات.

قالت جوليا من بين أسنانها:

- كل هذا الـ **shit** خرج من عندكم.

نظر لها آدم ببرود وقال:

- هَلُمِ يا مس فرانكلين.. ما جرى ويجرى ليس وليد مصادفة أو تخطيط شهور.

وصمت لحظة وكأنما يستجمع أفكاره، ثم استطرد:

- هذا التحرك قديم.. كل هذا التنظيم.. كل هذا المال.. كل هذا الإعداد.. كل هذه الدقة.

وضغط على حروفه مردفاً:

- هذا مجهود سنين فائتة.. وكان ليخرج إلى العلن إن عاجلاً أو آجلاً، بالبطارية الهاربة أو بغيرها.

قالت بصوت كالفحيح:

- ما كان له أن يخرج لولا تمكنهم من التسلل إلى الشبكة الرئيسية من عندكم.

ضاقت حدقتاه وهو ينظر لها ملياً، قبل أن تنفرج شفتاه عن ابتسامة مخيفة إذ كشفت بهذه الزلة أن لها عيناً فى شركته، بينما تدخل الروسى إيفانوفيتش للمرة الأولى قائلاً بصوتٍ أجَش:

- الموقف دقيق جداً أيها السادة، ولا يسمح بإهدار الوقت ولا المجهود فى هذه المشاحنات. دعونا نسأل السؤال الصحيح: ما الذى يمكن فعله لمواجهة هذا التهديد؟

ساد الصمت لوهلة بينهم، قبل أن يقول تيرار:

- جائنى اتصال قبل ساعة واحدة من مدير مكتب نائب رئيس مخابرات الاتحاد الأوروبى، يطلب عقد اجتماع عاجل بشأن التفجيرات للتنسيق والتبادل المعلوماتى.

سأله آدم باهتمام:

-متى؟

-أنا على متن طائرتى بالفعل، وسأصل فيينا فى غضون ثلاثين دقيقة.

تدخلت جوليا قائلة ببرود:

- الخطوة الأولى لمواجهة هذا التهديد هو تشتيته.

استدارت خمسة أزواج من العيون إليها، وقد جلست منتصبة الظهر فى مقعدها، وانحسر ثوبها الفاتح عن ركبة برونزية معتنىً بها.

قال وونج لى:

- اشرحى «تشتيته» من فضلك، مس فرانكلين.

نقرت بأظافرها المطلية بمانيكير أبيض اللون على مسند المقعد وهى تقول:

- عند حدوث ثقب فى باطن السفينة، وتتسرب المياه إليها، فإن الخطوة الأولى تكون عزل الجزء الذى تسرب إليه الماء عن بقية الأجزاء الجافة لإنقاذها.

تبادل آدم وشريكه الروسى نظرة خاطفة لجزء من الثانية، عادا بعدها إلى فرانكلين التى قال لها تيرار:

- ولكن المياه غمرت جميع أجزاء السفينة.

هزت خصلاتها الشقراء قائلة:

- ليس بعد.

وأشارت بسبابتها الطويلة إلى هولوجرام آدم مستطردة:

- التهديد خرج من مصر، من عِند صديقنا مستر مصرى. هروب البطارية ذات الإكتوبلازم الخارق حدث فى مصر. تسرب المعلومات والبيانات حدث فى مصر. أمل الشافعى التى ألقَت بيان التهديد هى إرهابية مصرية شهيرة.

ردَّ جوسنال:

- ولكن الهجمات الإرهابية حدثت فى العالم كله.

تابعت متجاهلة تعليقه:

- ولها –أمل- ثأر قديم معروف مع الإدارة المصرية لـEgy- Nergy.. ثأر عاد من جديد ليطالنا جميعاً.

نقل تيرار بصره بينها وبين آدم، قبل أن يقول:

- أرجو أن تكونى أكثر تحديداً، مس فرانكلين.

صمتت للحظة حدقت خلالها فى عينى آدم مباشرةً، ثم قالت بحزم:

- ما أريد قوله هو أن على المستر مصرى حل مشاكله مع مواطنته الإرهابية، من دون أن يورطنا معه.

تساءل الهندى بدهشة:

- كيف يكون ذلك؟

أجابت من دون أن تنزع عينيها من عينى آدم الذى بادلها تحديقاً بتحديق:

- أتحدث عن الانفصال، مستر جوسنال.

ساد الصمت ملياً بعد آخر حروف كلماتها. دارت هى بصرها بينهم لتستطلع أثر اقتراحها على صفحات وجوههم، قبل أن تقول مفسرة:

- الانفصال خطوة حتمية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

وعادت ترمق آدم بنظرة ساخرة وهى تردف:

- حتى يفرَغ مستر مصرى ومسز شافعى من مشاكلهما العائلية.

قال الفرنسى:

- هذا اقتراح خطير، مس فرانكلين.

أزاحت خصلة من شعرها تدلت على جبينها، قائلة:

- الأزمة أخطر، مسيو تيرار.

-وأشك أنه سيجدى فى حل الأزمة.

أومأت برأسها تجاهه وهى تقول:

- أنتَ بالذات، مسيو تيرار ستكون أكبر المستفيدين.. أنت الشريك المفوَض عن حكومات الاتحاد الأوروبى، صاحبة الحصةً الأقل فى مزارع الطاقة حول العالم.. ليست لديكم مناطق خاضعة لسيطرتكم بحجم المناطق الواقعة تحت سيطرتنا فى أمريكا الجنوبية أو تحت سيطرة شركائنا الأعزاء (مشيرة بكفها نحو الشركاء الروسى والصينى والهندى) الذين يتقاسمون المزارع الآسيوية، أو المستر مصرى الذى يستحوذ وحده على المزارع الإفريقية، ليست لديكم إلا شرائح صغيرة هنا وهناك لا تغطى الاستهلاك الفرنسى وحده.

وأدارت وجهها إلى الشركاء الآسيويين الثلاثة، مستطردة بابتسامة جذابة:

- حتى أنتم أيها السادة.. بالرغم من امتلاككم لحصص ضخمة من المزارع الآسيوية والسوق العالمية، إلا أن ما يزيد عن ٤٠٪ من أرباحكم تذهب لجيب مستر مصرى، ثمناً لشحنات العقار المخدر لحواس البطاريات، الذى تحتكر إنتاجه واحدة من شركاته، ويشترطه القانون الدولى لمزاولة نشاط استخراج طاقة الإكتوبلازم.. بالإضافة لحصوله على امتياز تغطية استهلاك دول الخليج الواقعة جغرافياً فى نطاقكم.

قال تيرار معترضاً:

- ولكن هذه هى شروط التعاقد الذى انبنت عليه شراكتنا منذ بدايتها.

قالت بصرامة:

- التعاقد لم يَنص على أن يَجُر علينا الشريك المصرى مشاكل ملفاته القديمة التى لم يحسن إغلاقها.

-ومازلت أصر على أن هذا الاقتراح لن يفيد فى التصدى لهذه الموجة الإرهابية، التى رأينا جميعاً أن نطاقها يشمل دُوَل العالم كلها.

مع آخر حروف كلماته، (وكأنه كان ينتظرها) انبعث فى الفراغ هولوجرام لخريطة العالم وقد تراصت عليها قارات العالم السبع، وتلونت بدرجات متفاوتة من اللون الأحمر تزداد ظلمة بالاقتراب من مصر والشمال الإفريقى، والعكس بالابتعاد عنه.

قالت جوليا:

- هذا الداياجرام لِنِسَب أحجام وأعداد ونوعيات وأماكن الأهداف التى استهدفتها العمليات الإرهابية منذ بدأت قبل شهور. مصر وحدها حَظِيَت بما يزيد عن ٢٥٪ من الحجم الكلى للعمليات التى تنوعت بين استهداف فِرَق الصيادين، اعتداءات على المقرات، التغلغل فى المنشآت وتخريبها، استهداف باصات الموظفين بالمتفجرات، ثم التطور المزدوج الأخير بتهييج تجمعات الهَمَج وإمدادهم بالسلاح وإدخالهم فى صدام مع قوات الأمن «داخل حزام المدن». وأيضاً تفجير المقر الرئيسى

للإدارة المصرية.

تقاطعت نظرات الشركاء الخمسة، بمن فيهم آدم نفسه، على الدايجرام المتقن المجسم، بينما صوت جوليا يعلو:

- قارة إفريقيا –المزرعة المصرية- وحدها لها نصيب الأسد من حجم وعدد العمليات الإرهابية بنسبة تقترب من الـ ٤٢٪.. وبالابتعاد عن هذه المنطقة الملتهبة، نلاحظ انخفاض نوعية وحجم العمليات، وكم الخسائر وأعداد الضحايا، حتى لتصِل لِنِسَب منخفضة جداً فى شرق وشمال آسيا، والساحل الغربى بأكمله لأمريكا الجنوبية، وتكاد لا تُذكَر فى أستراليا.

تحركت أعين الشركاء الأربعة، الروسى والصينى والهندى والفرنسى، لتستقر على وجه آدم الذى احتفظ بجموده، وراح ينفث سحب دخان السيجار بكثافة من بين شفتيه، وعيناه لا تفارقان وجه جوليا التى رمقته بتحدٍ متابعة:

- مع التأكيد على أن ارتفاع نسبة الخسائر فى مصر وإفريقيا لا يعزو إلى ضعف كفاءة قوات الأمن.. سواء القوات الحكومية أو أمن E. N. المصرية.. السبب الرئيسى الذى توضحه الأرقام هو أن الاستهداف الرئيسى لبيزنس مستر مصرى.

وارتسمت ابتسامة متهكمة على زاوية شفتيها وهى تقول:

- وقد يجد مستر مصرى فى هذا تحديداً-وأقصد استهداف الإرهاب لأعماله- فرصة للهروب من اقتراح

الاستقلال، وذلك بإلقاء تهمة الإرهاب على عاتق من يحاولون النجاة بحمولتهم من الغرق. سيقول إن المستفيدين من جراء الإرهاب هم الذين يدعمونه من البداية. سيتهمنا نحن تحديداً بأننا من خطط ونفَذ من أجل الاستقلال ببيزنس استخراج الطاقة الحيوية عن Egy- Nergy العالمية.

والتمعت عيناها:

- ولكن هذه اللعبة القديمة لن تنطلى على أحد، عزيزى مستر مصرى.. لقد خرج الشر، على مرأى ومسمع الجميع، من عِندَك، من سندرتك القديمة، ليضرب أعمالنا ومجتمعاتنا.. وهو ليس بالأمر الجديد، فالإرهاب يكاد يكون منتجاً شرق أوسطياً خالصاً.. لكن الجديد هذه المرة أننا لن نقف مكتوفى الأيدى أمام هذا الخراب.

وأدارت عينيها إلى الشركاء الأربعة الآخرين قائلة بحزم:

- الانفصال قرار استراتيجى أيها السادة. ليس علينا أن نسدد فواتير خصومات الشريك المصرى القديمة. فَلنغلق أبوابنا على أنفسنا، ونتعامل مع الجيوب الإرهابية التى تسللت لبيوتنا من هناك (وأومأت إيماءة خفيفة باتجاه آدم) حتى تنتهى العاصفة.

أنهت كلامها، وران بعدها صمت ثقيل لما يقرب من الدقيقة الكاملة، قبل أن يقطعه وونج لى قائلاً:

- ما تقولينه ليس بالأمر الهين، مس جوليا.. واتخاذ قرارات بهذه النوعية فى مثل هذه الظروف العصيبة،

قد لا ينطوى على الحكمة.

-الظروف العصيبة هى التى تفرض القرارات غير التقليدية، مستر لى.

وقال جوسنال:

- وماذا عن توريد العقار المخدر للبطاريات؟

أدارت جوليا عينيها إلى آدم وهى تجيب بصرامة:

- سيحدد المستر مصرى رقماً يناسبه ليبيعنا تركيب وحق إنتاج هذا العقار.

عادت النظرات لتتقاطع من جديد على وجه آدم، قبل أن تتساءل الأمريكية بصوتٍ قاطع:

- ما قولك إذن فيما سمعت، مستر آدم؟

*****

- أنا أيضاً أوَد سماع قولك، مستر مصرى.

قالها الشريك الروسى وهو يرمق هولوجرام آدم بنظرة ثاقبة، فنفث الأخير دخان سيجارته صانعاً سحابة كثيفة ثم قال:

- أما سمعتنى أقوله باجتماع أمس، مستر إيفانوفيتش؟!

ارتسمت ابتسامة خفيفة على الشفتين اللتين تتوسطان وجهاً أحمر، وخرج الصوت من بينهما أجشاً:

- لا أتكلم عن الرَد الدبلوماسى الذى ألقيته على مسامع هؤلاء الحمقى بالأمس لتكسب وقتاً يا صديقى.

ابتسم آدم بزاوية فمه وهو يتساءل:

- هل تراهم حمقى حقاً؟

-بالتأكيد.

حدق آدم فى صورته الهولوجرامية متسائلاً باهتمام:

- لِمَ، مستر إيفانوفيتش؟

أجابه الروسى وهو يداعب شاربه الكَث الذى طغى الشيب على شقرته:

- لأنهم لا يرون أبعد من أنوفهم. حتى لو نجحت لعبتهم وفككوا الشركة الأم وانفرد كل شريك بنصيب من الكعكة، فلن يصد عنهم هذا تلك الموجة التخريبية.

هذه الموجة أعلى منا جميعاً، ولن نجتازها إلا بعمل مشترك.

- هلا حَددت من تقصد بـ «هُم»؟

قال إيفانوفيتش على الفور:

- الأمريكان.

-وماذا عن الباقين؟

-معلوماتى أنهم فوجِئوا بالعرض الأمريكى.

-كلهم؟

-الصينى والهندى تحديداً.

-وماذا عن تيرار؟

هز إيفانوفيتش رأسه قائلاً:

- لا عِلمَ لى.. ولكن.

وصمت لحظة مفكراً، ثم استطرَد:

- بدا لى مبالغاً فى معارضته المستمرة لـ فرانكلين، ومخالفاً لما نعرفه عنه جميعاً من تبعية لها.. بدا لى وكأنه..

أكمل آدم:

- يؤدى دوراً.

مرت لحظة أخرى من الصمت، تبادلا النظر خلالها، قبل أن يتساءل إيفانوفيتش:

- ولكن لماذا؟

أجابه آدم بهدوء:

- روتين شرطى طيب، شرطى سيئ.

- أتعتقد هذا حقاً؟

قال آدم بهدوء:

- متأكِد.

ونفث سحابة أخرى من دخان السيجار، ثم تابع:

- ماقام به الاثنان يشبه عرضاً رديئاً على غرار إعلانات السِلع التجارية فى الفواصل الإعلانية. واحد يطرح الأسئلة والتحفظات، والآخر يقوم بالإجابة على الأسئلة وتفكيك التحفظات. وفى النهاية يتضح الـ offer كاملاً أمام جمهور المشاهدين.. ثلاثتكم، مستر إيفانوفيتش.

موافقاً، هز الروسى رأساً ضخماً أشقر اللون وهو يقول:

- يمكننى أن أرى.

عاد الصمت يلفهما لبرهة من الوقت، قبل أن يتساءل إيفانوفيتش:

- هل أكرر سؤالى بخصوص ما تنتويه، مستر مصرى؟

أطلق آدم الدخان مجدداً، ثم قال:

- أخبرنى أولاً، مستر إيفانوفيتش: ألم تفكر فى العرض

الأمريكى؟

-سبق وأخبرتك يا صديقى أننى لا أرى سبيلاً لاجتياز الأزمة إلا العمل المشترك.

-وماذا عن التحرر من ثمن شحنات العقار المخدر؟

صمت إيفانوفيتش للحظة ثم أجاب:

- النظام، فى هذه المرحلة على الأقل، أولى بالاهتمام والحماية من المكسب المادى. لو سقط النظام الذى يدير أعمالنا وندور فى فلكه، فسيضيع كل شيء، وليس فقط النسبة التى تُستقطع من أرباحنا لشراء العقار المخدر.

هز آدم رأسه، وقال من بين الدخان:

- أنتَ رجل حكيم، مستر إيفانوفيتش.

ابتسم الروسى مجدداً وهو يقول:

- من لا يستوعِب طبيعة وموازين العالم من حوله لا يستحق أن يكون أحد اللاعبين على ساحته.

وأومأ برأسه مستطرداً:

- هذا بالمناسبة أحد الدروس التى تعلمتها من سلفك الراحل، وصديقى القديم، المستر فودة.

-رحمه الله.

اتسعت ابتسامة إيفانوفيتش وهو يقول:

- هل أكرر سؤالى للمرة الثالثة؟

ارتفع فى هذه اللحظة أزيز مميز فى قاعة مكتب آدم الذى التقى حاجباه للحظة، وسرى انفعالٌ ما فى قسمات وجهه لم يَغِب عن ملاحظة الروسى.

- هل يمكننا أن نستكمل الحديث المهم فى وقتٍ لاحق، مستر إيفانوفيتش؟

- بكل تأكيد، مستر مصرى.. سأنتظر اتصالك.

انقشع هولوجرامه من أمام عينى آدم الذى اعتدل فى جلسته، وأطفأ ما تبقى من سيجاره، مردداً:

- Answer.

وفى اللحظة التالية تشكل هولوجرام جديد أمام عينيه لوجه ستينى حليق، خصمت الصبغة والعقاقير والأنظمة الغذائية وممارسة الرياضة ما لا يقل عن العشر سنوات من عمره الحقيقى، تتوسطه عينين خضراوين ثاقبتين أسفل حاجبين كثين مصبوغين بالسواد.

- فخامة الرئيس.

قالها آدم باحترام وهو يهب واقفاً، فقال رئيس الجمهورية بنبرة هادئة:

- مساء الخير يا آدم.

*****

لم تحسب إيمان كَم قضت من الوقت مغمورة فى مياه البانيو الدافئة، بين رغاوى الصابون عَطر الرائحة، بعد عودتها إلى تلك الشقة المطلة على البحيرة الصناعية بقلب الكومباوند المقام على أطراف الغردقة، والتى اتخذتها خالتها مقراً مذُ انتقلوا لها قبل عشرة أيام وفقاً للجدول الزمنى الذى وضعه أحدهم –لم تهتم بالسؤال عن هويته- لتأمينهم، ويقتضى التنقل من مكان لآخر بانتظام حرصاً على سلامتهم وسرية وجودهم.

قبل ساعات تزيد عن الثمانى والأربعين، كانت تشعر بخوف يرتعد له جسدها وهى تغادر فيلا المهندس محمد الدياسطى، تحتل مقعد القيادة إلى جوار رفعت فى السيارة المتوقفة أمام البوابة. الطرق الخالية فى هذه الساعة المبكرة من الصباح. ثوانٍ من القلق أمام ضابطة الجوازات الشابة العشرينية بمطار بارادايس هايتس، والتى تفحصت بياناتها المرتسمة على الشاشة الهولوجرامية أمامها.. خاطر مخيف عَبَر ذهنها إذ تتساءل ما إذا تسبب أى خطأ مفترض فى عملية التلاعب فى قاعدة البيانات التى أبدلت بياناتها ببيانات أخرى لُفِقَت ببصمتها الحيوية.

(بدهشة): - مين اللى عنده القدرة انه يلعب فى قاعدة بيانات حكومية؟!

(بثقة): - قولتلِك ماتقلقيش، الناس بتوعنا دراعاتهم فى كل حِتة.

كذا راجعت الحوار الذى دار بينها وبين خالتها قبل أشهر، ثم لم يلبث أن ارتخى قلبها عندما ابتسمت لها الضابطة وهى تناولها الشريحة الدقيقة التى تحمل بيانات جواز السفر قائلة:

- رحلة سعيدة.

زرقة صفحة البحر المتوسط التى ملأت النافذة المجاورة لمقعدها هدأت من نفسها نوعاً، أسبلت جفنيها وغابت لدقائق بينما الطائرة تشق طريقها شرقاً لتهبط بعد ساعتين فى مطار دُبَى، ومن هناك استقلت ورفعت–بهويات جديدة-طائرة مصر للطيران التى نقلتهما لمطار شرم الشيخ خلال ساعتين أخريين، حيث أقلتهما ليموزين مستأجرة إلى المنزل الآمن الجديد المتفق عليه.

دقائق أخرى لم تحصها، سحبها الخدر خلالها بنعومة لملكوت النوم، وكادت أن تغيب فيه لتستكمل إغفاءة طائرة دُبَى، قبل أن تشعر بأنفاسها تتثاقل وبضلوعها تتشابك داخل صدرها، ففتحت عينيها بغتة وهى تشهق لتملأ رئتها بالهواء عَطر الرائحة، وخطفت نظرة لتتأكد من أن الباب الذى يربط الحمام بغرفة نومها مفتوح.

استكملت الشاور، وغادرت البانيو لتجفف جسدها وتلتحف ببشكير أبيض عريض.. جلست أمام مرآة التسريحة لتمشط خصلات شعرها المبتلة، ثم لم تلبث أن تجمدت للحظة وهى تحدق فى الجسد الضئيل الذى استقر على المقعد فى ركن الغرفة، قبل أن تعاود عملها

وقد تعرفت صاحبته رغم الظلال التى أخفت وجهها.

- بقالِك كتير؟

أجابتها أمل باقتضاب:

- مش لابسة ساعة.

قالت إيمان من دون أن تنظر إليها:

- خير؟

-إنتى كويسة؟

(بلامبالاة): - كويسة.

مالت أمل للأمام قليلاً ليدخل وجهها المُنهَك دائرة الضوء الهادئ المنبعث من أبليك قريب. حدقت بعينين باهتتين فى انعكاس وجه ابنة شقيقتها على زجاج مرآة التسريحة.. تساءلت:

- عملتى ايه؟

قالت إيمان بلهجة ساخرة:

- مَبتتفرجيش على تليفزيون؟!

تجاوزت أمل سخريتها ورددت:

-الدياسطى عمل معاكى ايه؟

حدقت إيمان فى انعكاس وجه خالتها.. فى عينيها المنهكتين اللتين أطلَ منهما قلق واضح، ثم التفتت إليها بجسدها، لتقرأ العينين بنظرة متفحصة وكأنها تستوثق من صدق القلق المنبعث منهما، قبل أن تقول:

- تقصدى إيه؟!

وحكَت فروة رأسها متسائلة بحيرة مصطنعة:

- تقصدى مثلاً اذا كان عَصلَج معايا، وعرض التايم

سكادجيوال للخطر وكدا؟

نظرت لها أمل بثبات.

- والا تقصدى اذا كان جنتلمان.

ونهضت واقفة وهى تنزع البشكير من حول جسدها.

- وهو بيشيل هدومى من عليا حتة حتة والا لأ؟!

هوى البشكير متكوماً على الأرض، ووقفت هى عارية تماماً أمام خالتها، بوشم فارسى مثير يزين أحد كتفيها.

كالفحيح، خرجت الكلمات من بين أسنانها وهى ترمقها بعينين متسعتين بتوحش:

- قلقانة على إيه بالظبط يا أمل.. قوليلى وانا اطمِنك.

أشاحت أمل بوجهها عن عريها، وقالت بصعوبة:

- قلقانة عليكى.

ضحكت إيمان قائلة بتهكم:

- لسه فاكرة تقلقى؟!

وتقدمت خطوة باتجاهها، وأحاطت ذقنها بأصابعها لترفع وجهها إليها مردفة بابتسامة تفوح بالإغواء:

- قلقانة على الطُعم بتاعِك، عشان العمليات القادمة؟!

حدقت أمل فى وجهها بعينين محايدتين وشفتين مطبقتين، فمالت إيمان بجذعها نحو أذنها، ليمتلئ صدرها –أمل- برائحة غسول الجسد التى تفوح بقوة من جسدها.. سمعتها تهمس بنعومة:

- متخافيش.

ثم لعقت شحمة أذنها بطرف لسانها، فسرت قشعريرة باردة فى جسد أمل، ونأت بوجهها الذى ارتسم عليه

مزيجٌ من صدمة واشمئزاز، مغمغمة:
- كفاية.
ضحكت الشابة بخلاعة وهى تتراجع قائلة بسخرية:
- قرفانة من ايه؟! انتى مش كان طلبك مومِس؟!
قالت أمل بصوت متحشرج:
- مَحصَلش.
رفعت إيمان حاجبيها، وقالت بدهشة مفتعلة:
-إوعى تكونى بتبعتينى اشترى بطاريات طول الفترة اللى فاتت، وانا اللى فهمت غلط.
- أنا مَاسبتكيش تروحى لوحدِك.
هزت رأسها قائلة بسخرية:
- صحيح، صحيح.. الدكتور رفعت اسماعيل بيتدخل دايماً فى اللحظة المناسبة..
واستدارات عائدة إلى التسريحة بخطوات متأودة، فوضعت على جسدها قميصاً أبيض اللون ملقى جانباً من دون أن تهتم بإغلاق أزراره.. جلست إلى مقعد التسريحة واضعةً ساقاً على ساق، أشعلت سيجارة سحبتها من علبة مستقرة على سطح التسريحة، ومالت برأسها للوراء، وهى تضم شفتيها كعادتها لتنفث الدخان فى صورة عمود مائل بزاوية لأعلى.
عادت برأسها إلى خالتها التى لم تنزع عينيها من عليها.
نظرت لها إيمان وقد ذهبت عنها ابتسامتها العابثة ومود التهييس، وعادت قسماتها الفاتنة لجمودها

المعتاد.. نفثت الدخان مرة أخرى وتساءلت بجدية:

- جاية ليه يا أمل؟

بدت أمل لوهلة وكأنما تستجمع إرداتها، قبل أن تجيب بصوت متحشرج:

- قولتلِك.

(ببرود): - ليه دلوقتى؟!

-أنا خالتك.

تقلصت ملامح إيمان استخفافاً واستسخافاً لما تسمع، وقالت بسخرية جافة:

- بس دى مش أول «طلعة» يا تانت.

-فـ كل مرة كنت بَموت من الخوف.

-فـ كل مرة بتبقى عارفة انا رايحة فين وهَتعرَض لإيه.

-مش انا اللى بَقترِح.

-بَس كله بموافقتك.

صمتت أمل وأطرقت برأسها أرضاً، فأطلقت إيمان عمود الدخان وكررت سؤالها:

- ليه المرادى يا أمل؟

لم ترد، فتابعت الشابة:

- بلاش دا.. قوليلى ايه اللى أخَر فيض الأمومة كل دا؟

مَلأت أمل صدرها من الهواء البارد الذى أزال المكيف أولاً بأول ما علق به من دخان السيجارة، ثم نهضت بصعوبة وهى تقول:

- تصبحى على خير يا إيمى.

وأولتها ظهرها متجهة نحو باب الغرفة، نصف المفتوح، قبل أن يستوقفها صوت ابنة أخيها:

- أقولِك انا ايه.

تجمدت أمل فى مكانها من دون أن تلتفت إليها، فتابعت:

- عشان فـ كل مرة كنتى بتخافى مشاعرِك تغلبك، وتطلبى منى ما اشترِكش فى «العملية».

مضت لحظة من الصمت.

- Am I right؟

لحظة أخرى من الصمت الثقيل بدت كما لو كانت دهراً.

كررت إيمان سؤالها بصوت بدا لدهشة أمل، رغم اشتداد حِدَته، حاملاً نبرة أقرب للاستعطاف.. رفعت رأسها وكأنما تنصت مفتشة عن أصداء عالقة فى الفراغ لهذه النبرة، قبل أن تجيب السؤال بإيماءة خفيفة من دون أن تستدير أو تلتفِت.

رغماً عنها، سرت رعدة فى بدن إيمان، لم يطفُ منها شيء على وجهها، اللهم إلا سرعة اندفاع عمود الدخان من بين شفتيها الشهيتين المتكورتين.. قالت بصوت جاهدت لتحفظ نبراته:

- زمان، من حوالى سنة، فيه واحدة قالتلى «الصح بيفضل صح طول عمره.. الخير بيفضل صح.. العدل بيفضل صح».

دفعت المزيد من الدخان الأبيض بعنف لينتشر فى الفراغ.

- «الشرف بيفضل صح».

وانغرست نظراتها فى ظهر العجوز المتوقفة قبيل خطوات من باب الغرفة.

- فاكراها يا أمل؟

التفتت أمل إليها رُبع التفاتة، نظرت لها من وراء كتفها.. لم تلمح إيمان تلك اللمعة فى عينيها، والتى تشى بانفعالٍ مكبوت.. فقط سمعتها تجيب بنبرة أدهشها هدوءها:

-الضرورات تبيح المحظورات.

ارتعشت شفتا الفتاة للحظة، قبل أن تتقوسا بقوة على السيجارة، فتسحبا منها نفساً طويلاً، ثم تدفع الدخان وتردد:

- الضرورات!

-آه، الضرورات.

قالتها أمل، ثم استكملت استدارتها لتواجه إيمان العارية إلا من قميص مفتوح الأزرار بكامل وجهها، واستطردت بحزم:

- الثورة.. العدل.. الخير.. الحق.. حياة الملايين.

تكورت دمعة سميكة فى عين إيمان اليسرى.. هزت رأسها متفهمة، وغمغمت كأنها تحدث نفسها:

- والحاجات دى خليتنى مباحة.

فغرت أمل شفتيها لتقول شيئاً ما، قبل أن تطبقهما

مُحَدِقةً فى ابنة شقيقتها التى خفضت عينيها، وضمت طرفى قميصها الأبيض حول جسدها.

شعرت بقبضة باردة تعتصر قلبها، وراودتها رغبة جارفة فى التقدم منها واحتوائها بين ذراعيها.. زمت شفتيها، وانقبضت عضلات وجهها وكأنها تخوض صراعاً ضد عاطفتها.

أغمضت عينيها لثوان لتستجمع إرادتها، قبل أن تفتحهما لتكشفا عن نظرة جامدة.. قالت:

- إيمان.

لم ترد الشابة التى انسال خيطٌ لامع من مقلتها على وجنتها، ولم تند عنها حركة واحدة توحى بأى استجابة لنداء خالتها، والتى لم تأبه لهذا التجاهل، وتساءلت بصوت جاف:

- إنتى إيه اللى خلاكى تسيبى بيتِك وشغلك وحياتِك وتيجى ورايا؟!

*****

- عامل ايه فـ القلق اللى حاصل دا يا آدم؟

-الحمد لله، سيادتك.. بنتعامل.

ابتسامة خفيفة ارتسمت على الشفتين الهولوجراميتين للرئيس وهو يقول:

- بلاش الرسميات.. دى مكالمة شخصية، مش رسمية.. واتفضل اقعد.

جلس آدم إلى مقعده قائلاً:

- آخر مرة سيادتك شرفتنى بمكالمة شخصية كانت من أكتر من سنة، فى جنازة حياة.

تمتم الرئيس أن «الله يرحمها» ثم قال:

- إحنا اللى بيننا أكتر من مجرد علاقة بين رئيس ومستثمر يا آدم.

أومأ آدم برأسه، فتابع الرئيس:

- عشان كدا فضلت ان المكالمة تكون شخصية، بعيد عن ودان الكُل.

ردد آدم باهتمام:

- الكُل!

-أنا عندى التكنولوجيا اللى تخلينى افتح خط هاتفى محدِش فـ العالم يقدر يتتبعه أو يتنصت عليه.. بما فيه أجهزتى الاستخباراتية اللى بتعمل دا كإجراء دستورى.

ابتلع آدم فضوله، وهز رأسه مغمغماً:

- أكيد.

إبتسم الرئيس مجدداً وهو يقول:

- بيعجبنى فيك انَك بتِعرف إمتى تسأل وإمتى ماتسألش، رغم انى سامع «ليه؟» كبيرة بتتردد فى ذهنك.

ابتسم آدم بدوره وهو يقول:

- ثقتى فى حكمتكم غير محدودة، معالى الرئيس.

-وثقتى فى ذكاءك برضه غير محدودة، عزيزى آدم.

وتراجع فى مقعده واضعاً ساقاً على ساق وهو يستطرد:

- الموجة المرادى عالية.. أعلى بكتير من الموجة القديمة اللى عديناها زمان، وبَنينا من بعدها –فـ خمسة وعشرين سنة بس- مصر الجديدة الشريكة فى حكم العالم.

صمت آدم وأنصت بإمعان للصوت العميق، هادئ النبرات، إذ يتابع:

-التقارير اللى بتوصلنى طول الوقت من أجهزة الدولة مقلقة.. مش بَس بسبب نقص توريدات الطاقة وما ترتب عليه من أزمات معيشية وتعطل أنشطة اقتصادية واستثمارات ركيزية.

توالى حوادث ضخمة بحجم حوادث قطار شرم الشيخ، وزحف الهمج على المحافظات، تسببوا (مع نقص خدمات أساسية) فى تسارع هبوط الروح المعنوية عند قطاعات كبيرة من الشعب.. الشعب الخايف بيبقى عجينة طرية فـ إيد اللى يعرف يشكِلها.. دى قاعدة ذهبية فى العلوم السياسية، ودا اللى بتلعب

عليه أمل الشافعى.. خَدت بالك؟
انبعث صوت أمل الشافعى مُسَجَلاً:
«ستكون فترة عصيبة، عليكم أن تتحملوها حتى تسقط منظومة Egy- Nergy وتحل محلها منظومة أخرى أكثر عدلاً ورحمة.. لن تكون هناك طاقة.. لن تكون هناك رفاهية.. لن تكون هناك خدمات.. لن يكون هناك أمن وأمان.. كارثة قطار شَرم الشيخ لن تكون الأخيرة.. لن تأكلوا وتشربوا وتناموا آمنين قريرى الأعين بينما الأبرياء والمستضعفون يتمزقون إرباً فى مزارع الطاقة.. من أجل عالمٍ أفضل ستعانون وتدفعون ثمن طمس التاريخ الملوث بالدم والعار..
لسنا ضدكم.. ولم نخرج للإضرار بكم وتخريب حيواتكم وأوطانكم.. ولسلامتكم، ابتعدوا عن منشآت ومقرات ومحطات تموين Egy- Nergy.»
- الشعوب مَعندهاش عزيز ولا غالى، والنظام، أى نظام سواء كان نظام سياسى أو منظومة إنتاج طاقة، اللى بيفقد قدرته على حماية مصالحها، بيفقد أسباب وجوده، وبيتباع فـ ثانية.
«ما يمكننى أن أنصحكم به مخلصة هو التعجيل بالخلاص..
انزلوا الشوارع.. احتشدوا.. تظاهروا ضد Egy- Nergy كما فعلنا قديماً.. طالبوا أنظمتكم السياسية برفع المعاناة عنكم بأن تتوقف عن التعامل مع Egy- Nergy وأن تبدأ على الفور فى الانخراط فى منظومة

جديدة.. اضغطوا.. طهروا أنفسكم من العار الذى لطخكم به جيل الآباء قبل خمس وعشرين عاماً.. افعلوها، إن لم يكن انتصاراً لآدميتكم، فرحمةً بأنفسكم، وتعجيلاً بالفَرَج..

وإلى هذا الحين، ستعانون».

أومأ آدم قائلاً:

- هى واللى كتبلها البيان بتاعها كانوا واعيين لأنهم يوجهوا مشاعر الخوف والغضب عند الشعوب باتجاه .E ..N

-ويرموا الكورة فى حِجر الحكومات والأنظمة.

«ما أعرضه عليكم قد يكون صعباً ولكنه ليس بمستحيل.. أوقفوا التعامل مع Egy- Nergy. توقفوا عن التهام أشلاء البؤساء فى مزارع الطاقة.. أنا لا أهذى ولا أحلم ولا أمزح.. أتكلم عن منظومة عالمية جديدة للطاقة، تتجاور فيها الحلول التقليدية القديمة مع حلول جديدة مبتكرة.. سيكون هناك الكثير من الارتباك.. الكثير من الضجيج.. الكثير من الخراء.. ولكن كل هذا يهون أمام خطر التفكك والفوضى الذى سيهدم أنظمتكم، وسنستميت نحنُ فى تحقيقه حتى تتوقفوا عن قتل الناس.

الوقت يمضى، ونحن لن نهدأ أو نتراجع، وخسائركم ستتضاعف فى كل دقيقة تتأخرون فيها فى اتخاذ القرار الصحيح».

- لعبة مش بطالة.

-واتلعبِت تحت عينينا من غير ما نحِس.

قالها الرئيس بلهجة غلب عليها الامتعاض، فأسرع آدم يقول:

- إحنا لسه ورقنا فـ ايدينا.

حدق الرئيس فى وجهه، ثم قال ببطء:

-المعلومات اللى عندى ان الوضع فى Egy- Nergy وبالذات المصرية، من سيئ لأسوأ..

قال آدم:

- حقيقى..

وزفر مستطرداً بلهجة حملت مزيجاً من التوتر والمرارة:

- ٧٠٪ من حملات الصيد توقفت تماماً بسبب عمليات التخريب وقنص الصيادين.. الـ ٣٠٪ الباقيين، نُصهم على الأقل بيتم إلغاوه بعد انطلاق الحَملة لمجرد الاشتباه فى وجود فَخ.. تم غلق باب التعاقدات الجديدة.. التوريدات انقطعت عن أغلب عملائنا، باستثناء الجهات العسكرية وبعض الصناعات الحيوية.. المخزون الاستراتيجى بيتناقص.. أسهمنا اتخسف بيها الأرض فى بورصات العالم، أغلب الفروع ومنافذ الخدمة أغلِقَت، و٩٠٪ من الموظفين فى إجازة مفتوحة.

وصمت للحظة ثم أردف:

- المشكلة اننا عريانين أودامهُم تماماً.. حتى بعد ما نقلنا لشبكة تانية وتالتة، وقمر صناعى تانى وتالت.. الـTrojansبتاعهم بيتحرك معانا، وبينقلهُم كل غَطسة

بتخرج عندنا.

انتبه لنظرة الرئيس، فاستدرك بسرعة:

- باستثناء الشبكة الخاصة بمقرى الشخصى دا (ملوحاً بكفه فيما حوله).. الشبكة مُصَمَمة بحيث انها تبقى معزولة تماماً، حتى عن شبكة Egy- Nergy نفسها، وبيحميها نظام كمبيوتر طوره فريق مبرمجين من عندنا، هو الوحيد من نوعه فى العالم كله.

-(س-١٨).

ردد الرئيس مبتسماً، فابتسم آدم بدوره مؤَمِناً:

- بالظبط.

أطلق الرئيس ضحكة خفيفة وقال:

- دايرة البوب آرت دى مش هَتتكسر شكلها.

وصمت للحظة، ابتلع خلالها ضحكته ثم أردف بجدية:

- عايزك تشوف الفيديو دا.

انبعثت نقاط مضيئة فى الفراغ، تضاعف عددها خلال ثوانٍ ثلاث، واحتشدت صانعة صورة هولوجرامية لـ بَصَلة فى ثوب برتقالى اللون، وقد تورَم وجهه فى أكثر من موضع، وأحاطت دائرة داكنة بعينه اليسرى.. واقفاً فى مواجهة الكاميرا، يتكلم بسرعة وبكلمات غير مفهومة.

- دا؟!

قاطع الرئيس سؤاله:

- واحد من الهمج اللى شاركوا فى الهجوم على المدن الحدودية، قوات مكافحة الشغب قبضت عليه مع

مجموعة من زمايله قرب حدود محافظة قنا.. كان بيحاول يرجع تانى للصحرا.

وصمت للحظة ثم أردف:

- كانت فيه آثار دم على الأسمال اللى لابسينها، وكان معاهم أشوِلة دقيق مطبوع عليها «كارفور» وصفايح جبنة وزيت وسكر وكده.. وباستجوابهم عرفنا انهم من المجموعة اللى هَجمِت على مركز التسوق دا، واللى نتج عن هجومها دا مصرع وإصابة العشرات بالإضافة لنهب وحرق المجمع عن آخره.

- هوَ بيقول ايه؟!

تساءل آدم محاولاً تمييز الحروف المتداخلة التى تتدافع خارج الشفتين المتقرحتين.

قال الرئيس:

- بيعيد أقواله اللى اعترف بيها للمحققين، واللى زملاؤه كرروها بشكل أو بآخر.

ظهرت كلماته بحروف عربية سليمة أسفل الصورة الهولوجرامية، كترجمة الأفلام الأجنبية:

- «الأخ أبو أنس.. ربنا خلقنا.. لا فرق بين عربى ولا عجمى إلا بالتقوى.. الجنة والنار والخير، الظلم.. اللى بيظلمنا همَ الباشاوات اللى بيرمولنا المَدَد كل شهر.. بيخطفوا ولادنا.. ولاد الكلب الكفرة خطفوا ابويا وقتلوه».

ردد آدم بدهشة:

- أبو أنس!! إسلاميين!!

-من حوالى ٦ أسابيع، قوات حرس الحدود أحبطِت محاولتين لإدخال شحنات أسلحة، واحدة قادمة من السودان عن طريق دَرب الأربعين، والتانية من ليبيا على طريق جغبوب- الفيوم.. الطيران قصف الشاحنات ودمرها عن بكرة أبيها.. بعدها بإسبوع، وصلتنا معلومات استخباراتية مؤكدة، مفادها انه فى نفس توقيت رصد وقصف الشحنتين، دخلت البلد من الحدود الشرقية، شحنة تالتة حجمها يوازى حجم الشحنتين اللى قصفناهم.

غمغم آدم:

- الشحنتين كانوا طُعم.

- والشحنة الأصلية دخلت من بوابة سينا، ودا كان تخطيط سليم لأن البوابة دى كانت الأقل خطراً بعد كسر شوكة الإسلاميين واستئصال وجود الجماعات الإرهابية من خمسة وعشرين سنة.. التواجد الأمنى المكثف هناك وتوقف العنف والاطمئنان للجانب الإسرائيلى، خلق نوع من التراخى الأمنى، سَهِل دخول الشحنة ومرورها وسط الدروب والجبال لغاية ما خرجت من سينا وبعدها فص ملح وداب.

- والشحنة دى استخدمت ضِدنا.

- مش بالظبط.

حدق آدم فى وجهه بتساؤل، فتابع:

- السلاح دا هوَ اللى اسْتُخدِم فى الهجوم على قوات حرس الحدود فى اتناشر موقع من الجمهورية.. فيه حَد

أدخل السلاح ووصله للهمج اللى مستوطنين الصحرا الشرقية، ودربهم على استخدامه وخططلهم الهجوم اللى قاموا بيه خطوة بخطوة.

-والحد دا هو الأخ أبو أنس.

قالها آدم بلهجة تقريرية، وصمت للحظة ثم أردف بشيء من الحيرة:

- بس الإسلاميين خلاص، اتصفوا وانتهوا من زمان، من بعد فض الاعتصام ومواجهات سينا وليبيا.

هولوجرام ثالث تشكل فى الفراغ لوجه كث اللحية، أشيبها، حاد القسمات، قاسى النظرات.

قال الرئيس مُعلِقاً:

- دى صورة معمولة بالكامل على الكمبيوتر.. مابتشبِهش عليها؟!

تفرس آدم فى الصورة المجسمة من دون أن ينطق بحرف، فتابع الرئيس:

- أبو نِضال.. الأب الروحى لجماعة «وعد الله».. الميليشيا الإسلامية اللى اتجَمَّعِت من الجيل التانى من فلول الإخوان وداعش والقاعدة اللى ما اتصفيتش فى معارك سينا.. هدفهم المعلن هو الخلافة والشريعة والجو دا، إنما فى الحقيقة بيأجروا سلاحهم للى يدفع.

أدار آدم عينين ملتمعتين إليه وهو يردد:

- أبو نِضال؟! تقصد..؟!

-هوَ بعينه.. نجم الميدان القديم، خالد عباس.

-وهُما نفسهم اللى بينفذوا الهجمات ضد منشآتنا

والرجالة بتوعنا؟!

هَز الرئيس رأسه نافياً وهو يقول:

- بنسبة كبيرة: لأ.. الهجمات ضد Egy- Nergy تكتيكياً وتكنولوجياً أعلى بكتير من قدرات الصراصير دول، وإن كانت التقديرات انهم بيلعبوا فى نفس الفريق.. وضِد نفس الفريق.

-إحنا.

تابع الرئيس:

- أنا دَعيت لاجتماع طارئ لمجلس الدفاع الوطنى بمجرد ما بدأت الأحداث، وبناءً عليه، الجيش بدأ انتشاره لحماية المنشآت الحيوية، ومنها مقرات Egy-Nergy.. وفى خلال ساعات هَيكتمل انتشار القوات.

قال آدم بهدوء:

- إسمحلى يا ريس.. قرار متأخر.

-متأخر؟

ردد الرئيس رافعاً حاجبيه، فأومأ آدم مُعقِباً:

- الأحداث بقالها شهور، والعناصر بتاعتنا بتقع مرة ورا مرة جوا مصر وبرا مصر، وكان واضح جداً ان فيه حوار كبير بيترتِب، وانا شخصياً اتكلِمت مع اللوا مُحيى أكتر من مرة وطالبته بتعاون أكبر قبل ما الموضوع يوسَع.. وفـ كُل مرة كان بيبقى متعنت ورافض التعاون بشكل غريب، رغم انى فكرته اننا كلنا فى مركب واحدة، وان ارتباط النظام بـ E. N. ارتباط عضوى.. بس كأنى بادَن فـ مالطة!

لو الاهتمام دا كان بدرى عن كدا.. من شهور أو أسابيع فاتوا، مكانش الوضع انحدر للدرجة دى.

أنصت له الرئيس بتركيز حتى أنهى كلماته، وتفكر فيها للحظات قبل أن يقول:

- إنتَ بنفسك قولتها يا آدم.

اللوا مُحيى.

التقا حاجبا آدم وهو يحدق فى عينى الرئيس الخضروان، بينما التقط الأخير نفساً عميقاً، ثم تابع:

- فيه قلق حاصل فى الدواير الداخلية للنظام بقاله فترة.. تحركات.. تحالفات.. تربيطات.. تصعيد لأسماء بعينها.. كراسى بتتنِطر، وكراسى جديدة بتيجى مكانها.. فيه لوبى جديد فى السُلطة بيأسِس نفسه، وبيمِد جذوره جوا مفاصل النظام، بقاله حوالى سنتين.

-وهدفه؟!

مَط الرئيس شفته السفلى مجيباً:

- هَيكون ايه؟ السُلطة طبعاً.

-سيادتك قولتلى انهم already فى السُلطة.

-مش كفاية.. عايزين يبقوا هُمَ السُلطة نفسها.

تساءل آدم بحذر:

-هُمَ مين تحديداً؟

صمَت الرئيس للحظة، ثم أجاب باقتضاب:

- الجنرالات.

قال آدم مصدوماً:

- بس دول بتوعَك يا ريس!

-السُلطة هىَ الريس.

-دول مليونيرات!

-السُلطة -مش الفلوس- هىَ الريس.

-حتى لو.. برضه على الوضع دا، هُمَ السُلطة نفسها.. معاليك كنت واحد منهم.

-كُنت.

قالها الرئيس ثم استطرد مفسراً:

- الحَرَس القديم مش راضى عن تقسيمة التورتة الحالية، عايز يرجع تقسيمة زمان.

- واللوا مُحيى جزء من اللوبى دا.

-مُحيِي الدين ذو الفقار أحد أخطر عناصر اللوبى دا بحكم موقعه الاستخباراتى.. قنوات المعلومات بتصُب وبتخرُج من عنده.

تفكر آدم قليلاً ثم قال:

- وطبعاً الأحداث الحاصلة دى فرصة ممتازة لخلخلة وضع السُلطة الحالية.

-بالظبط.

-يعنى اللعبة دى من ترتيبهم؟!

هَزَ الرئيس رأسه نافياً وأجاب:

- لأ.. المعلومات اللى وصلتنى من مخابرات الرئاسة، ودى إدارة مستقلة بتتبعنى بشكل مباشر وبعيدة عن نفوذ مُحيى وجماعته، انهم اتفاجئوا بالهجمات دى ومش عارفين مصدرها، وإن كانت جَتلهم على طبق من فضة.. هُمَ فاهمين كويس ان استقرار النظام الحالى

قائم على الارتباط العضوى –على حَد قولك- بينه وبين Egy- Nergy مصدر الطاقة اللى انبنِت عليها التنمية.. وبالتالى فالضربة الموجهة لـ Egy- Nergy هى ضربة موجهة لسويداء النظام.

وضاقت حدقتاه وهو يردف:

- الـ plan بتاعتهم هى التلاعب بالمعلومات، تعطيل إجراءات وقرارات مهمة، منها مثلاً اعتماد مقرات ومحطات Egy- Nergy منشآت حيوية تمِس الأمن القومى، ويحق لها وفقاً للدستور حماية من عناصر القوات المسلحة.. عارف الـ economic report اللى انتَ بعتت نسخة منه لرئاسة الجمهورية من ساعة؟

قال آدم:

- بعتت نسخة لسيادتك ونسخة للِوا مُحيى.

-لولا النسخة اللى وصلتنى، ماكنتش هَعرف عنه حاجة.. التقرير كان هَيفضل فى إيميل مُحيى.

الإرهاب يستفحِل، والتنمية تتراجع، والاضطرابات تزيد فى الشارع لغاية ما تؤدى لسقوط النظام الحاكم.. بعدها تبدأ صفحة جديدة.. يخرج الملف، وتبدأ عملية مكافحة إرهاب حقيقية لاستنقاذ E. N. وتحقيق الاستقرار للنظام الجديد.

وابتسم بمرارة مستطرداً:

-نفس اللعبة اللى لعبتها مع الإخوان من خمسة وعشرين سنة، بتتلعِب عليا انا دلوقتى!

غمغم آدم بشيء من الشرود:

- وجوليا فرانكلين بتلعب معايا نفس اللعبة!

ورفع عينيه إليه متسائلاً:

-سيادتك بتقول اللوبى دا بدأ يتحرك من سنتين؟

أومأ الرئيس مؤكِداً، فقال آدم:

- إسمحلى اسأل.. ليه ماقضيتش على التحرك فى بدايته؟! ليه استنيت عليه لغاية ما استفحِل وبقى بيشكِل تهديد؟!

-الموضوع مش زى ما انت متخيل.

وضغط على حروف كلماته متابعاً:

- الصورة من سنتين مكانِتش واضحة زى ما هىَ واضحة دلوقت.. الأجهزة بتاعتى رفعتلى تقارير دورية بالتحركات والتغييرات، لكن البازل كانت ناقصاه قطع مهمة، ماكتملِتش إلا لما بدأت الأزمة الأخيرة.. طريقة التعاطى والتفاعل ونتائجهم ألقِت ضوء كاشف على اللوحة ككل.

حتى بعد ما الموقف بدأت أبعاده تتضح.. مكانش هَينفع الحل الصدامى.. مواقعهم حساسة، والصدام نتيجته كارثية بالنسبة للدولة.

شبك آدم أصابعه أسفل ذقنه وهو يتساءل:

- أومال إيه الحل اللى مايتسببش فى نتيجة كارثية؟

-هُمَ، رغم اللى حققوه، لسه فى طور التكوين، ولولا ان الأزمة الأخيرة أجبرتهم على الخروج من الشقوق وكشف أنيابهم، كانوا هيفضلوا فى الظل لغاية ما يستكملوا قوتهم.

من ناحيتى أنا، عملت scanning لأجهزة الدولة السيادية، وتوصلت لخريطة لمواطن الخطر ومواطن الأمان.. بس أول خطوة قبل أى إجراء هو التخلص من تهديد الإرهاب اللى بيضرب أخطر مرافق البلد.

ثمُ، بغتة، سدد نظرة غريبة إلى آدم متسائلاً:

- أدهم أخباره ايه؟

ران الصمت لوهلة أطبق آدم خلالها شفتيه، فتابع الرئيس:

- كل اللى بيحصل دا كان ممكن تجنبه، لولا إصراره من ٢٥ سنة ان محدِش يمِس أمل الشافعى.

غمغم آدم:

- دا كان شرطه الوحيد ساعتها.

-وياترى هو لسه متمسِك بشرطه دا بعد اللى حصل واللى بيحصل؟

صمت آدم للحظة، ثم أجاب ببطء:

- أتصور انه ساعة الجَد هَينحاز للصَح.

رمقه الرئيس بنظرة متفحصة، فأردف:

- زى ما عمل زمان.

-أتعشم.

ومال للأمام قليلاً واستطرد بحزم:

- مايقدرش على سوبرمان غير سوبرمان.

تساءل آدم:

- الجنرالات عرفوا حاجة عن البطارية اللى هربت؟

هز الرئيس رأسه نافياً وهو يقول

- لغاية دلوقتى، لأ، بس ابتدوا يشموا خبر.. مَتنساش ان معاهم محللين استخباراتيين على أعلى مستوى.. عشان كدا مُحيى فى مكالمته الأخيرة حاول يستوضح منك.. همَ حاسين ان فيه صلة –صلة زمنية على الأقل- بين هروب البطارية، والهجمات الأخيرة، بس مش قادرين يحددوها لسه.

ابتسامة خفيفة ارتسمت على شفتى آدم وهو يقول:

- دا انا اتصالاتى مِتراقبة بقى.

ابتسامة مماثلة غزت شفتى الرئيس وهو يُعقِب:

- عشان تعرف انى مش قاعد حاطط إيدى على خدى.

وتلاشت ابتسامته وهو يستطرد بنبرة جادة:

- اللى بيكلمك دلوقتى مش رئيس الجمهورية يا نور.. اللى بيكلمك، صاحبك وشريكك القديم اللى حطيت إيدَك فـ ايده وبنيتوا مع بعض مصر جديدة.. عالم جديد أفضل.

كل اللى احنا بنيناه على وشك انه يضيع، ومَعندناش حل غير اننا نقاوم، وان كل واحد يقوم بدوره.. دورى متوقف على دورك، ودورك متوقف على دور أدهم.

فاهمنى يا نور؟

تنهَد آدم قائلاً:

- فاهمك يا فتحى.

*****

بلغ طول الطابور الممتد أمام مدخل محطة تموين وخدمة السيارات، والتى تعلوها E. N. عريضة متألقة، ما يزيد عن السبعة كيلومترات من السيارات مختلفة الطُرُز والجنسيات والألوان، قضى راكبوها ساعات من الترقب والملل بسبب أسلوب التقطير الذى تتبعه إدارة المحطة بُناءً على تعليمات عقيد الجيش الذى شَغَل مكاناً فى المبنى الإدارى باعتباره مسئولاً مؤقتاً عن أمن تلك المحطة العملاقة التى تُعَد كبرى محطات الإسكندرية، وتخدم قطاعاً واسعاً من الكورنيش.

سيارتان فقط مسموحٌ لهما معاً باجتياز بوابة الدخول الوحيدة فى السياج المكون من عددٍ من الحواجز الأسمنتية المرصوصة، والذى تم ضربه حول المحطة استجابةً للتعليمات التى أصدرها مجلس الدفاع الوطنى للتعامل مع التهديدات الأخيرة الموجهة ضد منشآت Egy- Nergy.

يتم تفتيش السيارتين بدقة بأجهزة الكشف عن المتفجرات والأسلحة، ثم يسمح لهما الجنود المدججون بالسلاح بالدخول والتزود ببطاريات الطاقة فقط (وهى الخدمة الوحيدة التى أصبحت متاحة فى المحطة توفيراً للوقت وحِفظاً للأمن فى هذا الظرف الدقيق) فالخروج بعدها مباشرةً من البوابة المخصصة، ثم يُسمَح بعدها للسيارتين التاليتين بالدخول، وهكذا دواليك..

هذا التقطير الذى أصر عليه سيادة العقيد، ضارباً بعرض الحائط اعتراضات مدير المحطة الذى لم ير سبباً لهذا التعنت الأمنى لأن حجم المحطة كبير ويسمح بإدخال عدد أكبر من السيارات فى وقتٍ واحد بعد خضوعها للتفتيش والكشف، وأن هذا الـ..

- إنتَ هَتعلِمنى شغلى؟!

كذا قاطعه سيادة العقيد بغلظة، أحدثت مع مظهره العام ذى الكتفين العريضين والقامة الفارعة المدثرة بالزى العسكرى، والشارب الكَث الذى يعلوه منظار شمسى داكن، مفعولها فى نفس مدير المحطة، الشاب العشرينى الدَمِث، والذى توقف فوراً عن الجدال واستأذن فى الانصراف لمتابعة تنفيذ التعليمات.

هذا التقطير تسبب فى تزايد وتكدس أعداد السيارات فى وقتٍ قياسى، وامتد الصف «المزدوج» بنصف طول الكورنيش، بالنظر لتكدس المحطات الأخرى الأصغر حجماً فى أنحاء عروس المتوسط.. ومع مرور الساعات والتقدم البطيئ، وارتفاع نبرة التذمر والسخط على الفشلة «البهايم اللى مش عارفين ينظموا محطة تموين».. بدأ الصف يفقد انتظامه وتماسكه، هذا الانتظام الذى جسَد محصلة تطور اجتماعى وأخلاقى ونظامى فى حياة المصريين استمر لعقدينِ من الزمن.

بدأ الأمر بمحاولات فردية من قادة بعض السيارات لترك مواضعهم المتأخرة فى الصف، ومحاولة اختراقه من مواضع متقدمة قريبة من مدخل المحطة.. ثم

تطورت هذه

المحاولات الفردية لتصبح جماعية، وتكدست مئات السيارات بلا انتظام أمام المدخل صانعة كتلة عشوائية متداخلة.. تصاعدت أصوات الكلاكسات بين تحذيرات وشتائم، واشتعلت المشادات بين قائدى وركاب السيارات، سرعان ما تحولت لعراك بالأيدى انتشر كالنار فى الهشيم، تبُودِلَت الشتائم والضربات، وحاول بعض قائدى السيارات التقدم وعبور بوابة الكشف عن الأسلحة والمتفجرات عنوةً، الأمر الذى قابله العساكر بمنتهى الشدة والحزم بُناءً على أوامر الضابط الشاب الذى يصحبهم، فأغلقوا البوابة تماماً بالحواجز المعدنية، وانتزعوا قادة السيارات المتجاوزة من داخل سياراتهم، وانهالوا عليهم بالعصى والصواعق الكهربية.

ارتفعت الصرخات وتداخلت مع الهتافات والشتائم التى انصبت على «ميتين أم الهَمج اللى مايعرفوش النظام» و«البقر اللى ماسكين المحطة والبلد كلها» و«الجزارين اللى بيقطعوا فـ لحم الغلابة!» و«النظام الفاسد المبنى على دم الغلابة».. وشيئاً فشيئاً امتزجت الهتافات والشتائم وتوحَدت فى هتاف واحد قديم، بدا لكِبار السن من الحاضرين كما لو كان قد بُعِثَ منذ زمنٍ قديم يجاوز الربع قرن.

«الشعب يريد إسقاط النظام».

بدأ تائهاً بين الهتافات والشتائم الأخرى، قبل أن تتلقفه الألسنة وتتشبث به، فيتفوق على أقرانه ويتردد هادراً

من مئات وربما آلاف الحناجر.. تلاحمت الأجساد، ووجد ضابط البوابة وعساكره أنفسهم أمام كتلة تتماسك، والهِتاف ينطلق من آلاف الأزواج من العيون الغاضبة قبل أن تتقاذفه الأفواه والألسنة.

«الشعب يريد إسقاط النظام».

صاح الضابط بصوت جهورى:

- كله يثبت مكانه.

ولكن صوته ذاب وسط الأصوات الهادرة التى تشجع أصحابها وبدأوا يتقدمون نحو البوابة، فما كان منه إلا أن استل طبنجته الميرى من حزامه، ورفعها ليطلق عِدة أعيرة نارية فى الهواء، تعالت لها شهقات الخوف، وخفض الآلاف رؤوسهم بحركة غريزية.

*****

ظل إبراهيم جودة جالساً خلف مكتبه فى المقر الجديد لموقع Egypt Now الذى يحتل طابقاً كاملاً بالعاصمة الإدارية، يتابع الشاشة الهولوجرامية التى تنقل بثاً مباشراً لواحدة من قنوات الإنترنِت، وقد استند على قبضتيه المضمومتين أسفل ذقنه.

«حادث الإسكندرية لم يكن الوحيد من نوعه، فقد تكررت حوادث شبيهة بالتزامن فى بعض محطات تموين السيارات فى بعض أحياء القاهرة القديمة، ومحافظات الشرقية والمنوفية وبورسعيد، وشَهِدَ حى الأربعين بالسويس اشتباكات عنيفة اضطُرَت معها قوات مكافحة الشغب لإطلاق الأعيرة المطاطية والغاز المسيل للدموع، الأمر الذى تسبب فى سقوط مصابين وأُلقِىَ القبضُ على عددٍ من العناصر المثيرة للشغب، والتى قامت بتكسير وإحراق عددٍ من السيارات والتعدى على قوات الأمن».

بصوتٍ خفيض أمر الكمبيوتر بتغيير القناة، فتماوجت الشاشة الهولوجرامية لتتحول إلى بَث المحطة الأجنبية التى طلبها.

«وفى تجاوب مفاجِئ مع دعوة الإرهابية المصرية المعروفة أمل الشافعى، انتشرت على عددٍ من الصفحات الشبابية بمواقع التواصل الاجتماعى حول العالم دعوات للتظاهر ضد أنظمة Egy- Nergy لإنتاج الطاقة بزعم مخالفتها لحقوق الإنسان، واستجاب لها

عددٌ كبير من الشباب فى عواصم ومدن العالم».

(مشاهد متتالية لمظاهرات شبابية حاشدة ترفع لافتات بلغات مختلفة فى عددٍ من الشوارع والميادين).

- **CNN**

«فى مؤتمرها الصحفى قبل ساعات، قالت ليندساى إيزاك، المتحدثة باسم البيت الأبيض، إن الرئيس الأمريكى روبرت دى سيلفا قد دعا لاجتماعٍ عاجل لمجلس الدفاع الوطنى لاتخاذ قرارات لمواجهة حالة الفوضى المتفاقمة فى الشوارع الأمريكية، ولمحاصرة أزمة النقص الحاد فى الطاقة.. وكان الكونجرس قد اجتمع فى وقتٍ سابق وتقدم عددٌ من النواب الجمهوريين باستجوابات حول جدية البيت الأبيض فى مواجهة التهديدات التى تتعرض لها Egy- Nergy المورِد الأساسى للطاقة الأمريكية».

- **France 24**

«ما يزيد عن الأربع سنوات عاشتهم أمل الشافعى فى فرنسا قبل ثمانية عشر عاماً، حيث استقرت فى شقة صغيرة بضواحى نيس، عملت خلالها فى حانوت لبيع الأنتيكات يملكه أحد المغاربة.. وقد انتقل مراسلنا إلى هناك حيث أقامت هذه الإرهابية الخطيرة لسنوات والتقى بعددٍ من جيرانها الذين أجمعوا على أنها كانت سيدة لطيفة مهذبة، ولكنها كانت قليلة الكلام، ولم تَبدُ عليها أية ميول عدوانية أو متطرفة من أى نوع».

- **.R. T**

«وربط بيان الأمن الداخلى، الذى ألقاه السيد يوشكا مينهوف فى مؤتمره الصحفى بين التفجير الأخير الذى استهدف أحد مقرات Egy- Nergy بميدان بودونسكى، شرق موسكو وبين دعوات التظاهر التى بدأت تنتشر بين شباب الجامعات، ودعا جموع الشباب الروسى بعدم الانسياق وراء دعوات العنف والتخريب وتغليب المصلحة العامة، وأكد أن قوات الأمن ستتعامل مع أى بوادر للشغب بأقصى قدر من الحزم».

- **المُدُن..**

«إحنا جيل مختلف، جيل لسه ماتلوِثش ومش هيسمح ان حَد يلوثه.. ومش هَنقبل الجرايم اللى الجيل اللى قبلنا سكت عليها.. إحنا مش نازلين نتظاهر عشان نقص الطاقة.. لأ.. نازلين عشان رافضين نعيش على حساب قتل وتعذيب الغلابة.. منظومة Egy- Nergy لازم تسقط وتحل محلها منظومة تانية مفيهاش ظلم، مفيهاش تعذيب، مهما كان التمن.. حتى ولو البلد كلها وقعت معاها، فدا أحسن ما ناس تموت عشان احنا نعيش».

- **الجزيرة..**

«دكتور أيمن، حضرِتك شايف الصورة ازاى؟».

«الصورة واضحة مِش محتاجة استنتاجات وتخرصات.. العالم كله شاف الفيديو بتاع أمل الشافعى، المناضلة اللى ضحِت بسنين عمرها فى سبيل القضية اللى آمنِت بيها.. اللى بيحصَل دا ثورة مشروعة ضِد

قتل وتعذيب البشر، زى الثورة القديمة اللى حصلت من خمسة وعشرين سنة.. أنا مش مصدَق اننا لسه بنتجادِل فـ بديهيات زى دى!!».

«ولكِن اسمحلى يا دُكتور، الثورة اللى حصلت من خمسة وعشرين سنة مكانش فيها عنف أو إرهاب».

«أوَ ليسَ خطف وتعذيب الناس عنف وإرهاب؟!».

«وما ذنب الأبرياء الذين يسقطون فى أعمال العنف والتفجير؟».

«تقصدى مين بالأبرياء؟! صيادين Egy- Nergy والا موظفينها اللى بيستقبلوا الطلبات وبينظموا عملية بيع نتاج تعذيب الناس وتكديس أرباحها فى حسابات الشركة؟!».

- ما انت كنت عايش فـ كوكب تانى طول السنين اللى فاتوا يا ابن القحبة.

قالها إبراهيم وكأنه يبصق وهو يرمق الوجه الهولوجرامى المحقون بالبوتِكس، والشعر الأسود المصبوغ بعناية، بنظرة مشمئِزة.

تساءلت سكرتيرته آسيوية الملامح، الواقفة خلفه تدلِك ظهره بأصابع دقيقة ماهرة:

- تعرفه يا مستر ابراهيم؟

أشعل سيجارة وهو يقول:

- قواد اقتصادى، والشحنة الثورية اللى واكلاه دى مدفوعة الأجر بالكامل.

-منين؟

نفث الدخان فى الفراغ مجيباً:

- كاتر بيلر.. بيشتغل مستشار اقتصادى هناك من أكتر من سنتين.

وفى اللحظة التالية، ضاقت حدقتاه وهو يحدق فى شريط الأخبار الذى حمل بحروف كبيرة:

«عاجل: الرئاسة المصرية تُعلِن عن خطاب رئاسى خلال ساعات».

- البوب هَينقِل قطَع الشطرنج.

وسحب نفساً جديداً نفث دخانه بعمق، ثم التفت إلى عددٍ من محرريه ومراسليه الشبان الواقفين عن كثب، يتوسطهم معتز حشاد وسألهم:

- عرفتوا هَتعملوا ايه؟

أومأ الشباب بوجوه ممتقعة قليلاً، من دون أن ينبس أىٌ منهم ببنت شفة.

*****

خلال أيامٍ معدودات من بعد تلكم الفترة العصيبة التى ضربت فيها التفجيرات العالم، ونالها واحد من أضخمهم، خَلَت بارادايس هايتس من سكانها تقريباً.

ولأول مرة فى حيواتهم الناعمة المترفة، قضى ساكنوها من صفوة المجتمع المصرى من رجال السياسة والمال والفن والإعلام، ساعاتٍ طويلة مؤلمة، مكدسين فى صالات مطار بارادايس هايتس الدولى التى – بدورها- امتلأت عن آخرها لأول مرة منذ تشييدها، فتناثر الرجال والنساء بثيابهم الفاخرة باهظة الأثمان، الشيوخ والأطفال، البنات والشباب الذى نحتت ساعات ممارسة الجيمنازيم أجسادهم.. تناثروا على المقاعد التى عجزت عن استيعاب أعدادهم، فتكوموا على الأرض إلى جوار حقائبهم وأغراضهم التى أعدوها على عجل وسط أجواء من الرعب الهيستيرى بسبب الانفجار الرهيب الذى زلزل منازلهم وهشم زجاج نوافذها، وهشم معه إحساسهم بالأمان داخل مدينتهم الحميمة.

تكوموا (من لم يملك منهم طائرةً خاصة) لساعات بانتظار أماكن خالية بطائرات جاهزة لتحملهم إلى أى مكان فى العالم «بعيد عن المخروبة دى!» على حد قول مدام شروق، زوجة عمرو عزام، بينما سيارتهم منطلقة عبر شوارع بارادايس هايتس التى حولتها مدرعات الجيش والشرطة لثكنة عسكرية.

لم يفه عمرو بالكثير طيلة الدقائق التى استغرقتها

السيارة فى قطع المسافة بين المجاورة التى تقع فيها فيلته والمطار.. تنقلت عيناه المتوجستان حيث قبع خلف عجلة القيادة، بين المنازل والفيلات المظلمة الخالية من سكانها على جانبى الطريق، والمدرعات كاكية اللون، والحواجز العسكرية التى توزعت هنا وهناك، وتمترس حولها جنوذ شاكو السلاح.

فقط قال معلقاً على عبارة زوجته:\

- الدنيا كلها خربانة، مش عندنا بس.

عالماً فى أعماقه أن الوضع فى مصر هو الأسوأ على الإطلاق بسبب كثافة العمليات الإرهابية المتواصلة، وأن سيدنى ربما كانت أكثر أمناً من سواها، الأمر الذى جعلها مقصداً لأغلب المتكومين على مقاعد وأرضيات صالات المطار، مما زاد من صعوبة الحصول على تأشيرة لدخول الأراضى الاسترالية.

- إحنا **N** .E... ومكتب العلاقات العامة استخرجلنا التأشيرات بمنتهى السهولة.

خرجت الحروف آلياً من بين شفتيه رداً على تساؤلات زوجته القَلِقة، والتى لم تَكف إجابته فيما يبدو لطمأنتها، فألقت نظرة على الطفلين الجالسين فى الأريكة الخلفية، ثم عادت تنظر له وهَمَسَت:

- هَتحصلنا إمتى؟

ثالث تفتيش عِند ثالث حاجز أمنى يتوقفون عنده فى طريقهم للمطار.. الأجساد الفارعة مفتولة العضلات داخل الثياب كاكية اللون، الوجوه القاسية خلف

المناظير الشمسية الذكية، الأسلحة مخيفة الشكل، وأجهزة التفتيش تدور حول السيارة، تفحص كل مليمتر منها، بما فى ذلك الحقائب المكدسة فى الشنطة الخلفية، تنتهك الأصابع القوية الخشنة خصوصيتها بسرعةٍ وخبرة، قبل أن تضيئ المصابيح الخضراء الدقيقة فى أجهزة التفتيش، ويلفظ الضابط بصَك الغفران:

- اتفضلوا.

قال لها بعد الانتهاء من تنفس الصعداء:

- لسه مِش عارف.

لمست كفه بأصابعها قائلة برقة:

- هَتسيبنا نسافر وَحدنا فى الظروف دى؟

-لما توصلوا بالسلامة هَتلاقوا الناس بتوعنا مستنيينكُم فى مطار سيدنى، ومرتبين كل حاجة.

كررت بإصرار ناعم:

- هَتسيبنا وحدنا فى الظروف دى؟

ألقى نظرة جانبية سريعة على وجهها الجميل الذى يؤطِره شعرٌ ذهبى ناعم، ثم عاد بعينيه إلى الطريق الفسيح الممتد أمامه وهو يتنهد قائلاً:

- فى الظروف دى، مَينفعش اسيب مكانى.

التقى حاجباها الكثيفان وهى تقول بحنق:

- مُتمسِك أوى بالشركة حتى وهىَ بتقع؟!

واستطرَدَت مشيرة بسبابتها خدوش دقيقة لا تكاد تبين فى مواضع متفرقة من بشرة وجهه:

- مِستَنى إيه يحصَلَك تانى؟!

أعاده سؤالها فى ثانية واحدة لتِلك اللحظة الرهيبة التى لم تَمضِ عليها أيام قلائل.

وشعر وكأن الانفجار دوى على بعد خطوات منه.. انكفأ أرضاً وهو يحمى رأسه بذراعيه من شظايا زجاج النوافذ المهشمة.

تحَسسَ بأنامله ما تبقى من آثار خافتة بعد معالجته من شظايا الزجاج الدقيقة التى انغرست فى بشرته إثر الانفجار.. غمغم بشرود:

- انتى مش فاهمة حاجة.

قالت كلاماً عصبياً كثيراً، لم يستمع لـ ٩٠٪ منه، إذ ظلت تفاصيل المشهد تناوِش ذاكرته.

أما آدم المصرى، فظل ثابتاً فى مكانه.. رفع عمرو عينيه إليه، فرآه جالساً فى مقعده، منتصب الظهر، لم تمسسه شظية واحدة من الشظايا المتطايرة من زجاج النافذة التى تبعد عنه خطوات قليلة.

ولم تغادر ذهنه حتى وهو يودعهم فى صالة المسافرين، ثم يقف أمام زجاج صالة الإقلاع ليراقب طائرتهم وهى تنزلق على ممر الإقلاع ثم ترتفع محلقة باتجاه الغرب.

لم يفصلها عنه إلا نظرات الوجوم والاتهام التى تطايرت من أعين المتكدسين بصالات الانتظار فى طريقه للمغادرة لدى سماعهم «Egy-Nergy» التعريفية التى خاطبته بها ضابطة الجوازات.. تبخرت أفكاره مع

تلك الهمهمات التى لسعت أذنيه لاقترانها بتلك النظرات النارية، وتركز تفكيره وإرادته فى ساقيه اللتين اتسعت خطوتهما على بلاطات البورسلين اللامعة فراراً من طاقة الغضب التى تفور من حوله، ولم يتوقف لتِلكَ السبة البذيئة التى لَعَنت المِهبَل الذى خرج منه كل عامِل بـ Egy- Nergy الملعونة «اللى وَدِت البلد فـ داهية».

وبمجرد أن غادر المطار بعد أن اطمأنَ لإقلاع الطائرة، ملأت كابينة سيارته نغمة من نغمات الهاتف يعرفها جيداً، فلم يطلب من كمبيوتر السيارة تعريف المتصل.

- Answer.

قالها بصوت حَمِلَ لمحة من التوتر، وحدَقَ بعدها فى الوجه الهولوجرامى الذى تجمع أمامه، بشعر أشقر يكلل بشرة برونزية لامعة.

- مساء طيب، مستر عزام.

-مساء طيب، مس فرانكلين.

- هل اتصالى فى وقتٍ غير مناسب؟ لقد تأكَدت من أنك انتهيت من وداع أسرتك.

قال بشيء من الحِدة:

- هل تراقبوننى؟!

أجابته بهدوء:

- هذه طبيعة عملنا، مستر عزام.. وأنت أكثر من يعلم.

قال بارتباك:

- لقد فاجأنى اتصالِك فحسب.

خرج صوتها بارداً كالثلج من بين شفتيها الرقيقتين:

- لو أنَك أبلغتنى بردَك على عرضنا فى الموعد المتفق عليه، لما اضطررتنى لمفاجأتك باتصالى، مستر عزام.

*****

- أحسن دلوقتى؟..

هَز يحيى الجوهرى رأسه ببطء، وفرد ظهره بصعوبة.. وجهه شاحب، عيناه حمراوان، العرق ينسل من بين منابت شعره ليبلل وجهه وثيابه، وبقايا من قيء عالقة بشفته السفلى.. ألقى نظرة على البركة الصفراء المقززة، خارج معدته، وغمغم وهو يمسح شفتيه بمنديل دُسَ فى يده:

- آسف.

ربَت الجارد الشاب، ذو المنظار الداكن، على ذراعه وهو يقول برفق:

- Never mind, bro..

قال بوهَن: -ممكن اشرب؟

هَز الشاب رأسه قائلاً:

- غلط يا مان.. انت اللى كَحولك كدا انك خَدت درينك.. مَينفعش حاجة تدخل معدتك بعد ما أكسِست.

قالت المرأة الثلاثينية ذات الشعر المصبوغ بالأزرق، والسيجارة الطويلة بين شفتيها، وهى تعيد مناديلها إلى حقيبة يدها:

- يالا هَوصلك.

-خليكى انتى.

- Come on.. حَظر التجول لسه خلصان، ومش هتلاقى تاكس دلوقتى.

لم يجد فى نفسه قدرة أو رغبة فى مزيدٍ من الجدل،

سار بجوارها مستنداً إلى ذراع الجارد منتفخ العضلات وعبر ثلاثتهم ممراً قصيراً محفوفاً بالأشجار، مؤدياً لبوابة الحديقة المُلحقة بتلك الفيلا القديمة بالمريوطية.. الموسيقى الصاخبة لم تتوقف لحظة، يهتز على إيقاعها العشرات من الشبان والشابات على نجيلة الحديقة بحركات هيستيرية عنيفة، متماشية مع كرنفال الأضواء الملونة المتراقصة التى لم يقلل ضوء الشروق من جنونها.

استقر إلى جوارها فى سيارتها الإماراتية الصنع، شكر الجارد بورقات مالية نزعها من حافظته ودسها فى يده من دون أن يَحصِها.

سألته وهى تضبط مسار الطريق إلى منزله بنقرات على الخريطة المرتسمة على شاشة كمبيوتر السيارة:

- إنتَ مش متخيَط فـ الفلوس والسوق واقع والبلد متنيلة بنيلة؟!

أومأ برأسه وهو يرجع بها للوراء ليريحها إلى مسند المقعد.. شعر بالحركة الناعمة للسيارة وهى تنزلق عجلاتها على الأسفلت، بينما صوت رفيقته يأتيه من بعيد:

- مَحدِش عارف البلد رايحة على فين.. قولتِلَك ان وائل قالى ان كل الرحلات والحجوزات لمنتجعات وفنادق مصر اتكنسِلت؟! متخيل ان منتجع الواحاااات البحرية نسبة إشغاله دلوقتى: زيرو!!

خطر بباله أن يسألها عمن يكون وائل، غير أنه لم يجد

لديه فضولاً يكفى لكسر حالة الخدَر التى سرت فى جسده وسؤالها.. أكيد جوزها.. وتعلق بصره بالفقاقيع البرتقالية اللطيفة التى راحت تتدافع أمام عينيه فى السماء الصافية خارج زجاج السيارة.

- كريم ابن اختى قالى كلام خوفنى أكتر.. هوَ وزمايله فـ الكلية نازلين فـ مظاهرات يوم الجمعة الجاى.. وقالى ان شباب كتير نازلين يتظاهروا ضِد Egy- Nergy عشان حاجات كتيرة كدا مَفهمتهاش.. شتمته وعملتله بلوك.. الكلب الفاشل، بدَل ما يقعد يذاكرله كلمتين!

تسللت إلى أنفه رائحة دخان سيجارتها المعطرة، فبعثت مع مشهد الفقاقيع الملونة شيئاً من البهجة فى أعماقه، لم تعكر صفوها ثرثرتها.

- عارف إيه أكتر حاجة بحبها فيك، ومبلاقيهاش فـ حَد من صُحابى ولا فـ جوزى نفسه يا يحيى؟

فقاقيع زرقاء وحمراء وصفراء.. فقاقيع بألوان قوس قزح.. فقاقيع كثيرة، كثيرة جداً.

- إنك بتسمع.. إنى بَتكلِم وافضفض، وانا عارفة انك بتسمعنى.. انك care تسمعنى.

ابتسم، رَدَ عليها بشيء ما لم يتبينه جيداً، ولكنه جعلها تنفجر ضاحكة بصوت رفيع مائع وتقول:

- ودمَك خفيف.

لفحته أنفاسها بينما شفتاها تنطبقان على شفتيه، ولكنه تقريباً لم يرها.

كانت عيناه مثبتتين على الوجه الجميل ذى الشعر

الأحمر والمنظار الزجاجى الذى يجعله more sexy، والذى احتشدت الفقاقيع لترسمه فى عَرض السماء الصافية.. خفق قلبه لمرآه، ومد كفيه ليحتويه بينهما، ثم جذبه نحوه وسكب على شفتيه قبلة طويلة أودعها كل ما اختلج به قلبه من انفعال.

تَلقت المرأة الثلاثينية ذات الشعر المصبوغ بالأزرق هذه القبلة التى لم تك مقصودة بها. اجتاحتها حرارتها، فاقشعر لها جلد ذراعها وخرجت تنهيدة مسموعة من أعماق صدرها. فتحت عينيها لتحدق من بين رموشها الطويلة فى وجهه، قبل أن تبتسم ثم تحرك جسدها لتغادر مقعدها وتعتلى جسده المستلقى على المقعد المجاور، بينما السيارة يقودها الكمبيوتر عبر شوارع القاهرة شبه الخالية فى هذه الساعة المبكرة من الصباح.

لَم يدرِ كيف ولا متى بلغ منزله.

سار ببطء بين قطع الأثاث، عبارات الترحيب المسجلة تنسكِب من سماعات النظام الصوتى لكمبيوتر الشقة إلى داخل رأسه، يعبر فراغ المعيشة، فتنزاح الستائر التى تغطى النافذة العريضة أوتوماتيكياً ليفترش ضوء النهار المكان.

- موبايل.

قالها بصوتٍ جاهد ليكون مسموعاً، غير أن الكمبيوتر المُعَد بالفعل لالتقاط وتحليل الهمسات لم يكُ بحاجة لهذا المجهود.. تلقى الأمر وحلله فى أجزاء محدودة من

الثانية، ثم أطلق الإشارة إلى الهاتف النقال الملقى بإهمال على الكومود بغرفة النوم.

سمع يحيى نغمة رنين هاتفه ولمح أضواءه من موقعه فى مدخل الغرفة، فارتسمت على شفتيه ما بدت وكأنها ابتسامة امتنان خافتة، وقال:

- Calls.

فى اللحظة التالية، تردد صوت رضوى –زوجته- فى فراغ المكان:

- وبعدين يا يحيى.. وبعدين! فـ الظروف المنيلة دى، تخلينى اسهر طول الليل قلقانة عليك؟! حرام عليك يا أخى.. طب احنا ماجيناش على بالك تطمِن علينا، وانتَ عارف ان القلق أصلاً بدأ من عندنا فـ اسكندرية؟!

خلع قميصه من دون أن يكترث لعتابها المتصل، أو حتى يلقى نظرة على صورتها الهولوجرامية المُسجلة.. فَكَ حزامه فتراخى حول كرشه، وارتمى كجثة على فراشه.

انتهَت المكالمة بـ «كلمنى بليز يا يحيى»، وتلاشى الهولوجرام إثر انتهائها، ليرتفع رنين مكالمة مسجلة جديدة بعدها بثوان.

لم يَر يحيى، الذى سرعان ما انزلق فى نعاسٍ عميق، الهولوجرام الجديد الذى تشكَل على بعد متر ونصف المتر منه، والذى حَمِلَ نفس الملامح الجميلة التى رآها فى خياله قبل ما يقرب من الساعة فى سيارة صديقته زرقاء الشعر، ولم يسمع صوتها الرقيق الذى سيطرت

عليه درجة من التهدج:

- هاى يا يحيى.. ازيك؟ أنا إيمان (تبتسم بصعوبة) يا ترى لسه فاكرنى؟! (لحظة من الصمت) وحشتنى.

*****

- دا سؤال جه على بالى كتير.

قالها الدكتور محمود أبو زيد بخفوت، وهو مضجع إلى مقعد سيارته التى انطلقت أوتوماتيكياً عبر إحدى حارات الأوتوستراد باتجاه الكوبرى المؤدى للمطار، فترددت عبارته على بعد مئات الكيلومترات فى أرجاء حجرة المعيشة بالشقة المطلة على البحيرة الصناعية التى تتوسط ذلك الكومباوند المقام على أطراف الغردقة.

نظرت أمل بعينين خاويتين إلى صورته الهولوجرامية التى تسبح فى فراغ حجرة المعيشة على بعد خطوات منها، ولم تعلق على قوله.

نقلت له صورتها الهولوجرامية التى تتوسط تابلوه سيارته، خضماً من مشاعر مكبوتة وراء قناع الملامح المحايدة.. تنهد متفهماً صمتها، وأدار وجهه ليرمق مدرعات وحواجز الجيش المتوالية على جانبى الطريق.

انبعث عبر سماعات السيارة صوت مقدمة النشرة الإخبارية بواحدة من إذاعات الإنترنت:

«وقد أعلن المتحدث الرسمى باسم وزارة الداخلية إلقاء القبض على ٢٧ عنصراً من العناصر التخريبية التى استغلت الاضطرابات التى نشبت فى عددٍ من المحافظات أمس وأمس الأول، وقامت بعمليات سلب ونهب وتخريب لعددٍ من الممتلكات العامة والخاصة».

تكلمت أمل أخيراً.. خرج صوتها هادئاً:

- ولقيت إجابة؟

هز رأسه ببطء بينما أصابعه تمسد خصلات لحيته التى غزاها المشيب بقسوة، قال:

- عشان مش عايزة تفضل لوحدها.

أومأت برأسِها مغمغمة:

- صَح.

ثم شردت بعينيها وهى تردف وكأنما تحادث نفسها:

- رغم غضبها ونقمتها وكراهيتها ليا وإحساسها انى السبب فى الكوارث اللى حَطِت على عيلتنا.. رغم كل دا، كانت ماسكة فيا زى الطفلة اللى ماسكة فـ هدوم مامتها.. تصور!!

«وكانت مظاهرات عِدة قد اندلعت إثر تردى الأوضاع المعيشية بسبب انقطاع إمدادات الطاقة لأيام عن بعض محافظات الوجه البحرى والقبلى، وتطور بعضها لأعمال شغب وتخريب تصَدت له قوات مكافحة الشغب، ونشبت اشتباكات نتج عنها سقوط قتيلين وعددِ من الجرحى، نُقِلوا إلى المستشفيات لتلقى العلاج اللازم».

أشعلت سيجارة، ونفثت دخانها قائلة:

- وانا برضه خذلتها.. جاتلى برجليها بتدوَر على الأمان، بتدوَر على الحُضن، على أم.. سابت حياتها ودُنيتها وجَت ورايا عشان آخدها فـ حُضنى.. وانا.. أنا.

نظر لها بانزعاج مردداً:

- إنتى رجعتى تدخنى تانى؟!

تابعَت من دون أن يبدوَ عليها أنها سمعته:

- وانا بَدَل ما اخُدها فـ حُضنى، خدتها من إيدها ورميتها بإيدى فـ أحضان الرجالة.. طلبت منها تروح تسلِم لهم جسمها ينهَشوه.. طلبت منها تبقى مومِس.. زيى زى أى قوادة.

قال محمود معترضاً:

- بلاش تقسى على نفسِك يا أمل.. إيمان كانت بتؤدى عمل ثورى مُهِم، وانتى ماكونتيش.. إإ.. إحنا ماكُناش بنبعتها لوحدها.. رفعت كان معاها فـ كل مرة، وبيحميها.

جاوبته نظراتها الزجاجية، فاستطرد برفق:

- تخيلى من غير الدور اللى لعبته إيمان مع رفعت.. كُنا هَنحقق اللى حققناه لغاية دلوقتى؟! كنا هَنوصَل للمراحل النهائية من ثورتنا فى الزمن القياسى دا؟!

شردت للحظة، ثم غمغمت:

- ساعات بَفكَر انه كان فيه كذا حَل تانى غير انى ارميها الرَمية دى.

هز رأسه قائلاً:

- أى حلول تانية معناها وقت إضافى.. وقت طويل.. والوقت الإضافى يعنى مزيد من الضحايا فى ماكينات Egy- Nergy.. مزيد من الأنين يا أمل.. فاكرة الأنين؟!

«بلغنا الآن نبأ وقوع اشتباكات بين القوة المخصصة لحماية مقر شركة Egy- Nergy بشارع جامعة الدول العربية، ومتظاهرين حاولوا اقتحام المقر والتعدى عليه باستخدام الحجارة وزجاجات المولوتوف.. وقد تعاملت

القوة مع هذه الاعتداءات باستخدام خراطيم المياه وقنابل الغاز، ونتج عن الاشتباكات سقوط عددٍ من الجرحى والمصابين وفقاً لبيان وزارة الصحة».

تابع:

- البلد مولعة، والمظاهرات بتنتشر زى النار فى كل حتة.. حتى المؤتمر اللى كُنت رايحه لتطوير عين شمس التخصصى اتلغى عشان مظاهرات طلبة الجامعة.

وازدرد لعابه ثم أردف بانفعال:

-العالم كله بيفور وبيغلى.. مسألة أيام و Egy- Nergy تسقط، والحلم اللى عشنا نحلمه خمسة وعشرين سنة يتحقق.

قالت:

- إنتَ حلِمت، وانا حلِمت.. بس هىَ كان حلمها مختلف.

تساءل:

- هىَ مِشيِت من إمتى؟

زفرَت بعمق مجيبة:

- امبارِح الصبح.

- تبقى نجحتى يا أمل.

صمتت مستعيدة الموقف كله فى ذهنها، ثم ساءلته:

- تفتكر هَييجى يوم وتفهم ان كل الكلام اللى قولتهولها دا عشان احميها؟!

صمت بدوره متفكراً للحظة، جرت خلالها عيناه على طريق المطار الذى غمره المغيب بلونه بدِفء مُحَبَب،

قبل أن يجيبها:

- حتى لو مافهِمتش، فهىَ وِسط الناس هَتفضل فى أمان، بالذات الكام يوم الجايين.. أفتكِر دا **fair enough** بالنسبالِك.

أومأت برأسها مؤيدة، فتساءل:

- الديك الرومى طَمِنِك عليها؟

أجابته بإيماءة أخرى، وسرحت قليلاً فى السماء الصافية الملونة بألوان الغروب من وراء زجاج النافذة العريضة، ثم قالت:

- بلغنى بِخَط سيرها من ساعة ما خرجت بره الكومباوند.

-وراجِت الـ..؟

-زى ما توقع بالظبط.

«وتهيب وزارة الداخلية بجميع المواطنين الالتزام بمواعيد حظر التجوال التى تضمنها قرار السيد رئيس الجمهورية وفقاً للسلطة التى خولتها له المادة رقم (٤٢) بالدستور بفرض حظر التجول على محافظات القاهرة الكبرى والإسكندرية وطنطا والشرقية ومحافظات القناة الثلاث والمنيا وبنى وسويف وأسيوط وقنا، لمدة اثنتى عشرة ساعة تبدأ من الساعة الخامسة مساءً للخامسة من صباح اليوم التالى».

هدير مراوح هليوكوبتر عسكرية تحلق على ارتفاع منخفض، أجبرت محموداً ليرفع صوته وهو يقول:

- أنا خلاص، داخل على المطار.

سألته:

- انتو لسه مانقلتوش من باراديس هايتس؟!

-عاليا والبنات مش هاين عليهم يسيبوا البيت.. مع ان كل جيراننا وصحابنا سابوا الهايتس بعد تفجير مقر Egy- Nergy.

نظرت له نظرة طويلة، ثم قالت:

- عارف يا محمود ان دى هَتكون آخر مكالمة بيننا لفترة ممكن تطول؟

أومأ برأسه، فتابعَت:

- العملية الجاية استراتيجية، وهتبدأ خلال ساعات ان شاء الله.

أومأ مرة أخرى.

«ونعيد التأكيد على أن رئاسة الجمهورية قد أعلنت عن خطاب رئاسى خلال ساعات للتعقيب على الأحداث الجارية».

أردفت:

- بإذن الله هَتكون الضربة القاضية.

(مغمغماً): - بإذن الله.

-عارف هَتعمِل ايه؟

ابتسم مجيباً:

-مذاكِر كويس، متخافيش.

ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتيها وهى تقول:

- هَشوفَك فى عالم أفضل بإذن الله يا محمود.

رغم المعنى الدارج لعبارتها، إلا أنه قرأ ما وراءها،

فاتسعت ابتسامته وهو يقول:

-خلى بالِك من نفسِك يا أمل.

أنهيا الاتصال، فتلاشى هولوجرامها من أمامه بينما السيارة تنحرف لتدخل إلى الطريق المؤدى لإحدى صالات الإقلاع.

أما هى، فظلت جالسة إلى أريكتها كتمثال، تراقب زحف الظلام على صفحة السماء.. لمعان متزايد كسا مقلتيها، وانعكس عليه نور القمر الفضى الصاعِد.. لم تنتبه لمرور الوقت، ولا للأضواء الذاتية التى انبعثت من جدران حجرة المعيشة أوتوماتيكياً مع غروب الشمس تماماً.

فى خِضم شرودها، تذكرت رفعت الذى لم يغادر غرفته مُذ انتقلوا إلى الشقة قبل أيام، وخطر ببالها أنه لم يتناول شيئاً من الطعام من بعد وجبة الإفطار التى أعدتها له بنفسها.. نهضت من جلستها متجهة للممر المؤدى إلى جناح النوم.. طرقت باب حجرته مرتين، ثم دفعته ودلفت إليها لتجدها خالية إلا من محتوياتها القليلة المستقرة فى مكانها.

- رفعت!

طافت بأرجاء الشقة بحثاً عنه من دون جدوى.. فاض قلبها بالقلق وهى تحاول استعادة تفاصيل اليوم علها تذكر متى غادر، عندما طرق فى هذه اللحظة رنين جرس باب الشقة الخارجى أذنيها.

توقفت، التفَتت تحدق بتوجس عبر الفراغ الفسيح

لغرفة المعيشة فى باب الشقة فى نهاية ردهة مدخل بركن الغرفة.

حدَدَ كمبيوتر الشقة موضعها، ثم نقل لها صورة مجسمة التقطتها كاميرا العين السحرية للواقف خلف الباب، لتجد أمامها هولوجرام لوجه وجسد مألوفين، اختلج قلبها لرؤيتهما.

عَبَرت فراغ المعيشة وردهة المدخل بسرعة وهى تأمر الكمبيوتر صوتياً بفتح باب الشقة، فاستجاب لها، ورأت الزائر يعبر المدخل متجهاً نحوها بقامة ممشوقة وابتسامة واسعة.

- زين!

هَمست بصوتٍ متهدج، وفى اللحظات التالية علا نشيجها بين ذراعيه المفتولين.

*****

(قبل خمس وعشرين عاماً):

«*أنا مش عايزاكم تيأسوا.*

مش عايزاكم تخافوا.

مش عايزاكم تتعبوا.

المشوار على أد ما هوَ طويل، على أد ما عزيمتنا حديد.

عزيمتنا أقوى من رصاصهم ومدرعاتهم ودخانهم.

أقوى من آلاتهم اللى الغلابة بتتقطع وتموت جواها.

هَتفضلوا كل شوية تسمعوا شائعات ان الشركة انهارت، وان دول كبيرة وصغيرة ألغت تعاقداتها معاها وان الإنتربول أمر بضبط حسن وكمال فودة.

إوعوا تصدقوا.

دى كلها إشاعات بتنشرها عصافير الشركة المدسوسين وسطكم، والغرض منها انها ترفع روحكم المعنوية على مفيش، فلما النصر يتأخر، تنهار بشكل أسرع.

الشركة لسه مانهارِتش.

والعالم لسه ما اتخلاش عنها.

العالم كله عينه عليكم دلوقتى، مستنى يشوف هَتضعفوا إمتى.

هَتستسلموا إمتى.

ليه؟

عشان انتصارنا على الشركة هَيكون البداية.

عشان البداية والنهاية هنا.. فـ مصر.

بداية العدل ونهاية الظلم.

على إيديكو يا مصريييين».

تقافزَت الكلمات الحماسية من بين شفتى أمل من فوق المنصة المنصوبة أمام هارديز عِند نقطة التقاء محمد محمود بميدان التحرير.. تلقفتها السماعات المتصلة بالمايك المُلتفة أصابعها حوله لتضخمها وتنشرها فى سماء الميدان الذى امتلأ لما يقرب من ثلاثة أرباع مساحته فى هذه الدقائق التى تسبق غروب الشمس. استجابَت الجموع لكلامها الحماسى بتصفيق تبدىَ فتوره بوضوح عندما استلم منها خالد عباس المايك، وحيا الجموع بصوته الرخيم «السلامُ عليكم»، فهَدرَت أصواتهم لترُج الميدان رداً على تحيته بأحسنِ منها.

انسلَت برشاقة، رغم ميل جسدها للامتلاء، من بين الأجساد المتراصة على المنصة وخلفها، وشقت طريقها بين تجمعات المعتصمين والباعة الجائلين الذين امتزجت روائح الكبدة والسجق والكشرى والبطاطا والذرة المشوية المنبعثة من عرباتهم البدائية.

تعلقت عينا أدهم بها لدى رؤيتها مقبلة عليه حيث وقف متكئاً على كوبستة السور المطلى بالبوية الخضراء أمام كنتاكى.. اتكأت إلى السور بجواره، وأشعلت سيجارة نفثت دخانها فى الفراغ المزدحم بالضجيج والروائح والأنفاس.. ران الصمت بينهما لبرهة من الوقت، تسيد خلالها الصوت المُكبَر لخالد عباس

الأجواء.

- يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وذروة سنامه الجهاد».

-إيه الأخبار؟

تساءلت وهى تدير رأسها لتنظر إليه، فأجاب بهدوء:

- لسه راجع.. خَدت جولة فى المنطقة كلها، ولَفيت على مداخل الميدان.. كل شئ هادى.. مفيش دبابير فى وِسط البلد.

-والناس بَره الميدان؟

صمت قليلاً ثم هَزَ رأسه قائلاً باقتضاب:

- فـ كَوكَب تانى.

-بيقولوا ايه؟

لم يرُد، وتشاغل بالتحديق فى حركة الجموع المتماوجة من حوله، فهَزت رأسها متفهِمة، وأطلقت دفعة من الدخان، ثم قالت:

- الأيام بتمُر، ومفيش حاجة بتحصَل.

وأومأت إيماءة عامة باتجاه المعتصمين مستطردة:

- كويس أصلاً اننا عارفين نحافظ على الشوية دول.

ازدادت نبرة خالد عباس المنبعثة من السماعات المنتشرة فى الميدان، حدةً وحماسة وهو يقول للجموع المحتشدة أمام المنصة:

- اللى انا شايفهم أودامى دلوقتى مش مجرد ثوار.. مش مجرد أحرار.. أنا شايف أودامى أخيراً، الجيل القرآنى الفريد اللى هو امتداد لصحابة رسول الله صلى

الله عليه وسلم.

التفت أدهم يرمقها بنظرة طويلة، ثم قال بهدوء صريح:

- «مفيش حاجة بتحصل» دى جُملة مش دقيقة.. اللى حاصل ان الشارع بره بيغلى، وخلاص استوىَ تقريباً.

-استوى؟!

تنهد مجيباً:

- مشهد المظاهرات المليونية اللى لسه ماعداش عليه أسابيع.. الهتافات والصمود والشجاعة ومواجهة الرصاص والموت بصدور عارية.. فاكراهم؟! كل دا انتهى.. اللى بره الميدان عايزين اللى احنا بنعمله دا يخلص بأى طريقة.. حتى لو الداخلية اقتحمِت الميدان وفَرَمِت المعتصمين فرم.

وأطرق برأسه قليلاً ثم سألها:

- إنتى عارفة ليه مفيش دبابير فى وسط البلد؟

تساءلت بصوتٍ خافت: - ليه؟

إبتسم مجيباً بمرارة:

-عشان الأهالى قايمين بالواجب وزيادة.. الميدان مِتحاصر باللجان الشعبية.

- حتى بعد ما عِرفوا اللى بيحصل لإخوانهم فى ماكينات Egy- Nergy؟!

- «إخوانهم» دى ملهاش مكان غير هنا (مشيراً بكفه نحو المنصة).. إنما بره الميدان احنا شوية عُملا وخونة.. فوضويين وإرهابيين.

تلا خالد عباس عبر المايك بصوتٍ منغوم:

- بسم الله الرحمن الرحيم: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باءَ بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير».

همست: - ازاى وصلنا لكدا؟!

لم يسمع تساؤلها الهامس بسبب الضجيج والزحام، ولكنه خمنه.

- الإنسان ساعة الإحساس بالخطر بيبقى عنده استعداد يصدق أى حاجة ترجعله أمنه الشخصى. ممكن يسلِم مخه لأى حد عنده قدرة يغسلهوله ويعبيه بمنظومة أفكار تبعد عنه الخطر دا.. حتى لو الأفكار دى كذب مفضوح.

والتقى حاجباه وهو يستطرد:

- والإعلام، إعلام الشركة وإعلام الدولة، لعب على النقطة دى كويس أوى.

ارتج الميدان حرفياً بهتاف «الله أكبر ولله الحمد» إثر صياح خالد عباس بصوت كالرعد:

- أنا شوفت وانتو شوفتوا بعينيكو المدرعات بتطير وبتتكسر وبتتحول لهباء منثور. حطمتها الملائكة التى أرسلها الله عز وجل لتقاتل معكم فى معرككتم العادلة.

ظل الهتاف يتردد مدوياً حتى بلغ مسامع المارة فى ميدان رمسيس، ورأت أمل الدموع تنهمر تأثراً من عيون الملتحين والمختمرات بالقرب منها.

التفتت إلى أدهم الذى مال نحوها محاولاً بلوغ مسامعها بصوته، بينما يشير بكفه تجاه المنصة:

- نفس اللى بيعمله خالد دلوقتى.

قالت من بين أسنانها:

- مش مصدقة ان الأنانية توصل بالناس للدرجادى! هُما دول المصريين اللى الأغانى بتتألِف على جدعنتهم وشهامتهم؟!

هَز رأسه وهو يقول:

- دا مِش رَد فعل يخص المصريين وحدهم يا أمل، أى إنسان أو أى تجمُع بشرى هيتصرف بأنانية لما يستشعر الخطر.. الأمريكان لما استشعروا الخطر بعد ١١ سبتمبر، سلموا دمغاتهم لماكينات الإعلام اللى عملت عليها شغل رخيص، يمكن أرخص من اللى الإعلام بتاعنا بيعمله هنا، وهُما شربوه عادى لأنهم خايفين، وقبلوا ان جيشهم يجتاح العراق وأفغانستان ويقتل الملايين ويدمر دول كاملة، مادام دا -زى ما الإعلام أكدلهم- هيرجعلهم إحساسهم بالأمان وهيمنع حصول ١١ سبتمبر تانية.

قالت بعناد:

-على الأقل دُول حصل عندهم تفجير أسقط آلاف الضحايا.. سبب يخليهم يخافوا ويصدقوا ويقبلوا القتل والتدمير شعوب تانية فى بلاد بعيدة.

ابتسم قائلاً:

- إنتى إعلامية وقارية، وعيب أوى لما واحد زيى فاقد الذاكرة أصلاً ومش عارف اسمه حتى، يفكرِك ان

الأمريكان فى الفترة المكارثية مارسوا الهيستريا وجنون التخوين فى قلب بعضهم.. الخوف هوَ السلاح الأول فـ إيد الحاكم.. الخوف هو الحاكم.

صاحت بحنق:

-والمصريين خايفين من إيه أكتر من انهم يتساقوا زى الغنم للشفخانة؟! إيه اللى ممكن يخليهم يقبلوا ان مصريين زيهم يعرفوهم وبيشوفوهم فى الشوارع والمطاعم والأسواق، يتعذبوا ويتقطعوا فى ماكينات إيجى زِفت؟! إزاى بعد ما كانوا معانا فى المظاهرات وواجهوا الموت والرصاص والخطر، ازاى ينسوا كل دا، يصدقوا ان اللى شافوه بعينيهم كان مؤامرة وخدعة وبتاع؟!!

قال بهدوء:

- خايفين من الدخول فى معركة هُما مش متأكدين انها تخصهُم.. معركة يعنى مخاطرة، ومقامرة بالحاجات القليلة اللى خرجوا بيها م الدُنيا.

-بس المعركة تخصهُم، وهُما already دخلوا المغامرة معانا!

-والنظام قِدِر يقنعهم بخطأ حساباتهُم، وان المعركة مش معركتهم.. ماتنسيش كمان ان اللى حواليكى دُول (مشيراً بكفه باتجاه الآلاف من الملتحين والمختمرات والمنتقبات فى ربوع الميدان) مش زى باقى خَلق الله.. شكلهم غير ولبسهم غير وكلامهم غير، ودماغهم (خابطاً بسبابته ووسطاه على جبهته مرتين) غير.

ألقت بقايا السيجارة فى بركة صغيرة من المياه الآسنة مجاورة لبردورات الرصيف، وهى تقول:

-أياً كان!.. النتيجة ان الشعب اللى ثرنا عشانه باعنا وباعهم وباع الضحايا الغلابة للشركة وللنظام وللعالم كله.

تجمدت بقايا السيجارة قبل سنتيمترات قليلة من بلوغها سطح بركة الماء الآسن، ثم بحركة خاطفة مستحيلة فيزيائياً، طارت فى الهواء ليستقر مبسمها بين شفتى أدهم اللتين تحركتا:

- نَفسِك قصير، لسه السيجارة ماخِلصِتش.

والتقط منها نفساً أخيراً توهج له طرفها الحر، ثم نفث الدخان فى وجه أمل قائلاً:

- واللعبة لسه ماخِلصِتش.

رغماً عنها ابتسمَت وهى تنظر له بإعجاب وقالت:

- ازاى يا سى أدهم؟!

قذف المبسم المتبقى وهو يجيب بجدية:

- إنتى بنفسِك قولتى «الأيام بتمر، ومفيش حاجة بتحصَل».. لو الوَضع دا استمَر فترة أطول، أكاذيب الإعلام هَتفقِد فاعليتها، وغضب الغاضبين من القلق ووَقف الحال هَيتحوِل للنظام العاجز عن حَسم المشكلة دى.

- والوَضع دا قابل فعلاً للاستمرار؟

«قادم قادم يا إسلام».

خرجت مندفعة بحماس من حلق الشيخ فتحى الذى

تلقى المايك من خالد عباس، فرددتها خلفه آلاف الحلوق، ودَبدَبَ معها ضعفها من الأقدام داخل الأحذية على أسفلت الميدان.

نظر أدهم عن بُعد إلى خالد، حيث وقف شامخاً مفرود القامة على المنصة، ذراعه المُضمَدة المربوطة إلى عنقه دليل شجاعته وبطولته، ثم التفت إلى أمل قائلاً:

- فيه زعامة جديدة بتتولِد.

-زعامة مبنية على الخرافات.

-بس كافية للمحافظة على اعتصام الآلاف.

-النظام والشركة مِش هيقعدوا ساكتين.

كوَرَ أصابع قبضته وهو يقول بحزم:

- الراجل فيهم يجرب.

حدقَت فى ملامح وجهه التى امتلأت بالتصميم، وشعرت بأنفاسها تتلاحق، قبل أن تقول فجأة:

- ما تيجى نتجوِز؟!

نظر لها بدهشة، فاغتصبت ضحكة مفتعلة وهى تقول بوجهٍ مُضرج:

- مادام الحكاية هَتطوِل.

انفرجت شفتاه عن ابتسامة دافئة وهو يقول

- تربطى نفسِك بواحِد مفلِس ومعندوش لا بيت ولا شغل؟!

أومأت برأسها من دون أن تتكلم.

- وماتعرفيش اسمه حتى؟!

همست بصوتٍ مختنق بالانفعال:

- عارفة حاجتين، مش عايزة اعرف غيرهم.

-اللى هُما؟

-انك أدهم.

وازدرت لعابها مضيفة بصعوبة:

- وانى بَحِبَك.

مرَت لحظة ثقيلة بدت لها دهراً، وذابت خلالها فى سواد عينيه المسلطتين على وجهها، قبل أن يمد هو يديه، فيحتوى كفيها، ويرفعهما إلى شفتيه ليلثمهما.

لم تَدر كيف مرَت عليها الدقائق التالية.. سارا متشابكى الأصابع عبر شارع طلعت حرب، مبتعدين عن هدير الأصوات المتحمسة التى يحدوها صوت الشيخ فتحى المجلجل. شوارع وسط البلد من حولهما فى حالة يرثى لها من الفوضى والقذارة وآثار مواجهات الأسبوع الفائِت مع قوات الداخلية.. أغلب المحلات مغلقة، وقد تهشمت أبواب وفاترينات بعضها، باستثناء محلات البقالة وبعض المطاعم، وثمة هرم من عِلَب الكشرى الفارغة مكوماً بجوار مطعم «توم آند بصل» بشارع طلعت حرب.

لكن كلاً منهما فعلياً، لم ير سوى عينى الآخر.

*****

(الشاشة تحمل فى ركنها سلوجان E. N.–Egypt Now- تنقل بثاً مباشراً من إحدى البنايات المطلة على كورنيش المعادى، يبدو النيل مظلماً مكتوماً وهو يمر فى طريقه الأزلى، تتصاعد من ضفته الأخرى سحب دخان كثيفة، وألسنة نيران أضفت إضاءة كابوسية على المشهد القاتم الشبيه ببورتريه لنهاية العالم).

(صوت المذيعة الشابة): - لاتزال الاشتباكات مستمرة فى أكثر من موضع داخل القاهرة وخارجها، وأرقام القتلى والمصابين الواردة من وزارة الصحة فى تزايد مستمر، وقد وصلوا خلال الساعات الأربع الأخيرة إلى أحد عشر قتيلاً ومائة وستة عشر مصاباً، بالإضافة لخسائر كبيرة فى الممتلكات العامة والخاصة.

(هدير مراوح طائرات هليوكوبتر).

- تمكنت العناصر المثيرة للشغب من إضرام النيران فى ثلاثة من مقرات Egy- Nergy بالهرم وميدان الحجاز ومركز التجارة العالمى الذى التهم الحريق أغلبه.

(أصوات هتافات وصرخات تأتى من بعيد).

- وفى الإسكندرية، حيث بدأ العنف، تعرض مقر الشاطبى للتخريب، وتعرض عددٌ من العاملين فيه لاعتداءات بدنية عنيفة، نتج عنها مصرع أحدهم بطعنة نافذة فى القلب.

(زخات من طلقات المدافع، وفرقعات قنابل الغاز المسيل للدموع).

- وقد أعلن المتحدث الرسمى باسم القوات المسلحة أن القوة المشتركة المؤلفة من عناصر من القوات المسلحة وقوات مكافحة الشغب، أحبطت محاولتين لاقتحام وتفجير محطات E. N. لتموين السيارات فى عين شمس وبنى سويف باستخدام سيارات أوتوماتيكية ملغومة. وذكر فى نفس البيان أن عدد المقبوض عليهم من العناصر المُخرِبة بسبب خرق حظر التجوال والاشتراك فى أعمال الشغب والتخريب وصل إلى أربعمائة وتسعة عناصر.

(«عاجل» ثابتة على شريط الأخبار، يليها تنويه على خطاب للرئيس بعد قليل).

- ومعنا الآن مراسلنا معتز حشاد من موقع أحد الاشتباكات بوسط البلد.. معتز.. سامعنى؟

(صوت شوشرة لاسلكية).

- معتز..

(بصوت خفيض يُسمَع بصعوبة بسبب الشوشرة): - سامعِك يا منال.

-تقدر تقولِنا انتَ فين دلوقت؟

-أنا فى مخزن قديم مهجور فى عقار بحى الأزبكية.

-ممكن توصف لمُشاهدينا الوضع عندك؟

(أصوات أنين وبكاء مكتوم): - الوضع هنا دقيق فعلاً يا منال.. إحنا عددنا سبعة، وكلنا اتعرضنا لإصابات مختلفة، منهم إصابة واحدة خطيرة على الأقل، بالرصاص الحى والخرطوش فى المظاهرة اللى

اتحركت من جامعة عين شمس باتجاه ميدان التحرير وتحولت لاشتباكات بعد تصدى قوات مكافحة الشغب لها فى ميدان رمسيس.

-الاشتباكات حصلت ازاى يا معتز؟

-مش سامعِك كويس يا منال، معلش.

-الاشتباكات بدأت ازاى يا معتز؟ يعنى إمتى المظاهرات اتحولت لاشتباكات.

-أأ.. صعب احدِد بالظبط لأنى كنت فى منتصف التظاهرة، والاشتباك مع قوات مكافحة الشغب بدأ عند الصفوف الأمامية.. فـ الأول سمعنا أصوات الطلقات عند المقدمة، وبعدها انهمرت علينا قنابل الغاز المسيل للدموع، فالمظاهرة فقدت تماسكها والمتظاهرين من شباب الجامعة تبعثروا فى شوارع الفجالة وغمرة والأزبكية.

-لكن يا معتز صور وشهادات الشهود أكدِت ان المتظاهرين بادروا بالهجوم على قوات الأمن.

-بَكررلِك وللسادة المُشاهدين يا منال.. من مكانى بالتظاهرة، ماشوفتِش بداية الاشتباكات (ثم همساً بصوت لا يكاد يُسمَع): بس شوفت بعينى زجاجات مولوتوف جاهزة ومُعبأة اتوزعت على الشباب المتظاهرين بمجرد بدء الاشتباكات.. (أصوات فرقعات عن بُعد).. أنا صورت مقاطع فيديو للاشتباكات اللى حصلت أودامى، وحاولت ارفعها على حساب القناة على يوتيوب، لكن فيه تشويش رقمى، غالباً من قوات

مكافحة الشغب، منعنى.

(أصوات أعيرة نارية تقترب).

- إيه اللى بيحصل عندك يا معتز؟!

(بتوتر شديد): - أعتقد ان القوات اللى بتمشَط الشوارع بتطارد بعض المخربين قريب مننا.. (همهمات قلقة).. الشباب اللى معايا هنا متخوفين من اكتشافهم لمخبأنا.. (الصوت يضعف مع ارتفاع أصوات الشوشرة).. للأسف، الظروف الصعبة الحالـ.. قد لا تسمح لـ.. بالتأكد من هويـ.. قبل.

- معتز.. انا صوتَك بيبعِد.. لا أكاد أسمعك.

(أصوات صرخات ممتزجة بدوى طلقات نارية تعلو رغم ارتفاع أزيز الشوشرة): - قوات الأمن تقـ.. يا منال.. هجو.. يف.. لا نـ.. أرجو أ.. لا.

(يذوب صوته مع بقية الأصوات الأخرى فى فيض الشوشرة).

- أتمنى لك ولمرافقيك السلامة يا معتز.

(الكادر ثابت لا يزال على بَث مباشر لمشهد سحب الدخان وألسنة النيران التى تلتهم المبانى على الجانب المقابل من كورنيش المعادى، بينما أصوات فرقعات ودفعات رصاص وهدير مراوح الطوافات العسكرية تتردد عن بُعد).

- أعمال عنف وتخريب.. نقص حاد فى إمدادات الطاقة نتج عنه قصور كارثى فى الخدمات المعيشية.. انهيار فى سوق المال.. وفى هذه الظروف العصيبة التى

تمر بها البلاد، لا يسعنا إلا تمنى السلامة لجميع المصريين، والدعاء لأن يحفظ الله أوطاننا. ونكرر لمشاهدينا أننا بانتظار إذاعة الخطاب الرئاسى الذى نوَهَت عنه رئاسة الجمهورية خلال الدقائق القادمة.

*****

بينما أسوار فيلته تلوح عن بُعد، قال محمود أبو زيد مُخاطِباً كمبيوتر سيارته فى محاولة يائسة أخيرة:

- تليفون.. البيت.

استقبل الكمبيوتر الأمر الصوتى للمرة الثانية عشر خلال الدقائق العشرين التى استغرقتها السيارة لقطع المسافة بين مطار بارادايس هايتس وحى الزهور الذى يقطن فيه محمود، مروراً بحواجز وحدات الجيش التى انتشرت فى الجزيرة. وللمرة الثانية عشر قام بتحليله وتنفيذه خلال أجزاء من الثانية، لينساب الرنين داخل أذنى محمود بمجرد أن لفظ آخر حروف أمره.

هذه المرة لم ينتظر انتهاء الرنين الرتيب، فقاطعه بأمرٍ آخر للكمبيوتر بإيقاف السيارة بمجرد عبورها البوابة التى تتوسط أسوار الحديقة، واقترابها من أبواب الفيلا نفسها.

توقفت السيارة على بُعد عشرين متراً من السلالم الحجرية المؤدية لمدخل الفيلا، قطعها محمود فى وثبات قصيرة نشطة رغم سنوات عمره التى تجاوزت الستين، قفز الدرجات الحجرية القليلة، ولم يتوقف ليندهش أو يتوجَس من الظلمة المخيمة على نوافذ الفيلا على غير العادة، أو من باب المدخل الخشبى المفتوح على غير العادة أيضاً.

- عاليا!!

غادرت حلقه متهدجة مثقلة بانفعال الدقائق الماضية

التى قضاها يحاول الاتصال بزوجته وابنته بلا جدوى.

غادرت صيحته لتتبدد فى الصمت والظلام المخيمان على الفيلا.. توقف فى مكانه.. هوى قلبه بين قدميه بينما الظلام غير المألوف يصفع عينيه، وامتزج خوفه بالدهشة لأن كمبيوتر الفيلا لم يُضئ المكان أوتوماتيكياً بمجرد تعرفه على بصمته الحيوية.

توقف فى مكانه، تلفت فى السواد المحيط، وهتف:

- إضاءة.

لا شيء.. ظل الظلام والصمت سيدا الموقف.. كرر أمره بصوت مرتعِش بلا جدوى.. كاد يفعلها للمرة الثالثة عندما انبعث صوتٌ عميق من ركن الريسبشن:

- ماتتعِبش نفسك يا محمود.

انتفض جسده من فرط الصدمة واستدار بحركة شرطية نحو مصدر الصوت.

- مين؟!

خرجت منه مبحوحة متحشرجة، وهو يحاول اختراق طبقات الظلام ببصره.. تابع الصوت:

- كمبيوتر فِيلِتَك اتمسحِت من عليه بصمِتك الحيوية.. إنتَ بالنسبة له unknowen.

بدا لمحمود أن صاحب الصوت يتقدم منه، فتراجع للوراء بحركة لا إرادية مكرراً بفزع:

- إنتَ مين؟

-خلاص كبرت ونسيت صُحابَك بتوع زمان يا محمود؟!

هنا، مَس الصوت شيئاً ما فى عقله.. شيء قديم لم يميز كُنهه بالضبط، ولكنه موجود فى موضعٍ عميق من سندرة ذكرياته.. تجمد فى مكانه مُحدقاً فى الخطوط الخارجية لجسد صاحب الصوت، والتى بدأت عيناه تميزها فى ظلام فراغ الاستقبال.

- الـ case القديمة بتاعتك؟!

هذا الصوت مر على طبلتى أذنيه من قبل، وحُفِظَ فى ذاكرته السمعية، ولكنه عاجزٌ عن استخراج بياناته.. وَد لو طلب منه أن يمهله وقتاً ليتعرف عليه من تلقاء نفسه، غير أن خوفه على أسرته لم يدع له ترفاً.. صاح:

- إنتَ مين؟!!

قال الصوت بلهجة آمرة:

- إضاءة.

اشتعلت الأضواء الذاتية، وأنوار الأباليك ووحدات الإضاءة كلها دفعة واحدة، فأغشى ضوؤها الساطع بصر محمود الذى أغمض عينيه بقوة، ثم جاهد ليغالب الضوء ويفتحهما بقدر المستطاع.

ومن بين جفنيه، بدأ يميز قامة وجسد صاحب الصوت.

ثوانٍ مرَت، ثم بدأت ملامحه تتضح.

هذه الملامح!

ضاقت حدقتاه وهو يتفرس فى وجه صاحب الصوت، ثم لم تلبثا أن اتسعتا عن آخرهما إزاء هذه الملامح التى بدت له –لمحمود- وكأنها ملامِح شبح بُعِثَ من زمنٍ

قديم.

همس مذهولاً:

- أدهم!!

*****

أوغل الليل..

خَلَت شوارع المُدن والقرى المصرية من المارة الذين انكمشوا فى بيوتهم عاجزين عن النوم، ساهرين أمام شاشات التليفزيون وقنوات الإنترنِت يتابعون الأخبار والتحليلات والتغطيات المتواصلة بانتظار خطاب رئاسى، أملاً فى بصيص من النور يضيئ هذه الظلمة الحالكة، ويُطمئِن قلوبهم أن الأمور لازالت تحت السيطرة وأن ثمة أمل فى عودة حيواتهم لنسقها المُعتاد.

وفى ذلك الكومباوند الضخم المقام على أطراف الغردقة، ملأ الصمت الشوارع والمنتديات المظلمة بسبب نقص إمدادات الطاقة، إلا من صراخ الرياح التى راحت تمرح عبر الطرقات الخاوية صانعة مؤثراً صوتياً ملائماً لهذه الوحشة.. وفى الطابق الأخير من برج الإدارة، أعلى أبراج الكومباوند، انفتحت ضلفتا المصعد بنعومة ليغادر نائب رئيس طاقم الأمن، متجهاً بخطوات ثابتة نحو السلالم المؤدية لمدخل السطح.. اشتعلت الأضواء الذاتية الخافتة مع تعرف الكمبيوتر على بصمته الحيوية، وقال هو مخاطباً حارس السطح عبر جهاز الاتصال الداخلى المثبت داخل أذنه:

- يا على.

لم يتلَق جواباً هذه المرة أيضاً كما حدث فى مكتبه قبل دقائق، بلغ باب السطح الذى انزلقت ضلفته بسهولة

إثر أمره الصوتى للكمبيوتر، فصفع الهواء البارد جسده، وبدا له الظلام بالخارج كثيفاً غير مُشجِع، ورغم ذلك خرج إلى العراء، ودار حول مبنى السلم، يد تمسك بمصباح يدوى، والأخرى لا شعورياً ملتفة حول سلاحه المستكين فى غمده.

- على!

أجابته الرياح بصرير بعث مزيداً من القشعريرة فى جسده.. جسده الذى تجمد فى مكانه بعدها عندما سقط ضوء المصباح اليدوى على جسدٍ مُمَدَد عن قرب، ميز فيه بسهولة أبعاد جسد مرؤوسه الذى يناديه من دون إجابة.

- على!

هرع نحو الجسد المستلقى، سقط ضوء المصباح على وجهه، فهالته ملامحه المُتشنجة وعيناه الجاحظتان يطل منهما الموت ممتزجاً بتعبير رعب حيوانى لم يره على أحدٍ من قبل طيلة سنوات عمره التى تناهز الخامسة والأربعين.. نَدَت منه شهقة فزع وهو يتراجع بحَدة مصدوماً وكأنه تلقى لطمة على وجهه.. هَب واقفاً وهو يشهر مسدسه بحركة غريزية، ويتلفت حوله بينما يده القابضة على المصباح اليدوى تديره لتمشط بضوئه الجهات الأربع المظلمة.

- القيادة.

قالها آمراً جهاز الاتصال لينتقل إلى الموجة التى توصله لرئيس طاقم الأمن فى مكتبه، بينما عيناه

تطاردان ضوء المصباح الذى يدور فى أركان السطح.. وفى اللحظة التالية انتفض جسده عندما لمح شيئاً ما لم يميزه بوضوح.. توقفت يده عن الدوران بالمصباح، وعادت به قليلاً للوراء ليستقر ضوؤه على ما بدا له جسداً نحيفاً يوليه ظهره، جالساً فوق حافة درابزين السطح، مُدلياً ساقيه من على ارتفاع يزيد عن المائة وعشرين متراً.

بحركة متشنجة رفع سلاحه نحو الدخيل الذى يفصله عنه ما يَقرُب من عشرين متراً وصاح:

- إثبت مكانك.

لم يُحرك الجالس إلى درابزين السطح ساكناً، وبدا وكأنه لم يسمعه أصلاً، الأمر الذى ضاعف الرعب فى قلبه، فتراجع خطوة للوراء وهو يهتف:

- حركة واحدة وهَفتح النار.

سمع صوت رئيسه يخاطبه عبر سماعة جهاز الاتصال:

- فيه حاجة عندك يا محمد؟

لم يرد محمد.

كان فى هذه اللحظة يحدق بعينين جاحظتين وقلبٍ ينبض بعنف شديد فى الجسد المألوف الواقف أمامه على بعد خطواتٍ ثلاث، يرمقه بعينين حمراوين تقذفان شرراً.. هذا الهيكل الضخم، الوجه اللحيم، النظرة المخيفة، ثم بقايا القماش المتسخ بالأتربة والملتف حول جسده. القماش الذى اشتراه بنفسه لتكفين عمه الراحل قبل سنتين، توطئةً لاستيلائه على ماله وحرمان

أبناء عمه المستضعفين من إرث والدهم والذى لم يتجاوز بيتاً متهالكاً بالقرية.

همس بصوت مختنق:

- عمى!

غادرت زمجرة مخيفة الشفتين المتقرحتين، فتراجع هو للوراء شاعراً بألم فظيع يعتصر الجهة اليسرى من صدره، ردد وهو يجاهد لالتقاط أنفاسه:

- مستحيل!

سمع رفعت الجالس إلى درابزين السطح فى عباءة داكنة صوت شهقته الأخيرة ثم ارتطام جثته ببلاطات السطح.

من دون أن يلتفت إليه، انفصل عنه إكتوبلازمياً وظل من وراء منظاره الداكن يرمق الكومباوند المظلم الممتد تحته على انخفاض عشرات الأمتار.. لم يستغرق الأمر دقيقة هذه المرة ليتوقف قلب الرجل من فرط الرعب.

انبعث الصوت عبر سماعة جهاز الاتصال فى صِيوان أذن الجثة:

- بتقول حاجة يا محمد؟

من موقعه هذا فى سماء الكومباوند، تصل إليه كل خلجة قلب وكل ارتعاشة قلق تصدر من الحمقى الآوين إلى مساكنهم.

الرِمَم الذين استباحوا جسده وأجساد أقرانه فى ماكينات الموت، تمزقهم وتفقأ عيونهم وأعضاءهم، من أجل أن يعيشوا هُم هذه العيشة المرتاحة.

لا يدركون رغم أملاكهم وبيوتهم الفاخرة وسياراتهم الفارهة وحساباتهم البنكية لأية درجة هم جبناء.. ضعفاء.. حقراء.. لا حيلة لهم أمامه.. ولا ملجأ لهم من قوته.

يسمع همهماتهم، دقات قلوبهم، همساتهم المذعورة، أنفاسهم المتلاحقة.

يدور بخليتيه البصريتين فى السماء المظلمة من حوله، والمدينة التى لا تقل شوارعها وبيوتها وقلوب سكانها عنها ظلمة من تحته.

ازداد عواء الرياح التى راحت تتجاذب أطراف عباءته بعنف.

القوة تعربد فى أعماقه وتمتزج بأمواج الكراهية السوداء، وبقدر من التوق..

تَوق حقيقى لمواجهة حقيقية متكافئة مع قوة أكبر.

التمع الوميض من وراء عدستى منظاره الداكن.

قوة لا يعلم ماهيتها، ولكنه على يقين من أنها موجودة، وأن المواجهة وشيكة.

إثر هذا الخاطر، سرت النشوة فى جسده.

وانشقت شفتاه عن ابتسامة مخيفة.

*****

نهاية الجزء الثانى

أكتوبر ٢٠١٥

* فكرة استخراج السيال الحيوى عن طريق التعذيب هى نظريّة مُتخيلة للدكتور أحمد خالد توفيق فى روايتيه "كليمنجارو" و"الظاهرة".

أعمال أخرى للكاتب شريف ثابت

الطيار- رواية- ٢٠٠٨

أنين- رواية- ٢٠١٠

مزاج صباحى- قصص- ٢٠١٠

تحت الأرض- رواية- ٢٠١١

نور العباسى- رواية- ٢٠١٣

عالم أفضل: الميلاد- رواية- ٢٠١٥

(قبل خمسة وعشرين عاماً):

وبينما قرآن الفجر يتصاعد من مايكروفونات، بلغت الطرقات على باب الشقة أذنيه.

ألقى نظرة سريعة على أمل المتمرغة فى نعاسها، ثم انسل بخفة من تحت ذراعها.. نهض من على المرتبة القديمة المتهالكة.. ارتدى بنطاله، وسار عارى الجذع، بقدمين حافيتين على بلاطات الموزايكو المتربة التى تناثرت عليها قِطع مختلفة من ملابسهما الداخلية والخارجية.. عَبَرَ الصالة العارية إلا من أريكة عرجاء، وفتح الباب المتهالك عالماً بمن يقف وراءه.

- صباحية مباركة يا عريس.

قالها إبراهيم جودة، المراسل الصحفى الشاب، بابتسامة لزجة وهو يومئ برأسه للدِبلة فى إصبع أدهم الّذى حدجه بجمود، قبل أن يقول ببطء:

- لسه الصُبح ماطلِعش.

-تبقى فجرية مباركة.

-عرفت منين؟

دَس إبراهيم سيجارة بين شفتيه وأجاب:

- مصادرى.

ومَد رأسه ليلقى نظرة عبر فتحة الباب على الصالة المظلمة، وقال:

- مِش هَتقولى اتفضل وتشربنى الشربات وكدا؟

تمالك أدهم أعصابه وتساءل بهدوء:

- حاجة مهمة أوى اللى مخلياك تتهور وتجيلى الساعة

دى؟!

وضغط عامداً على حروف «تتهور»، فابتسم إبراهيم معلناً عن وصول الرسالة المبطنة، وهز رأسه قائلاً:

- مهمة .. وجداً.

وأشعل السيجارة بعود ثقاب، نفث دخانها فى الهواء ثم أشار بطرفها المشتعل باتجاه أدهم وهو يردف:

- ليك انتَ بالذات.

التقى حاجبا أدهم وهو يقول:

- قول.

أدار إبراهيم رأسه فى بسطة السلم شبه المظلمة مردداً:

- هنا؟!

-إنجز.

استند إبراهيم بكتفه إلى الحائط المجاور، ونفث دخان السيجارة ببطء ثم قال:

- مش عايز تعرف اسمك الحقيقى؟

*****